طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

---

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# بغية الرّائد

## لما تضمّنه حديث أمّ زرع من الفوائد

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السّبتي

476 - 544 هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي

تحقيق

صلاح الدين بن أحمد الإدلبي

محمد الحسن أجانف    محمد عبد السّلام الشرقاوي

1395 هـ - 1975 م

طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# بغية الرائد

## لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي
476 - 544 هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي

تحقيق

صلاح الدين بن أحمد الإدلبي

محمد الحسن أجانف    محمد عبد السلام الشرقاوي

1395 هـ - 1975 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وعلى آله وصحبه والتابعين باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فان من دواعي الغبطة والسرور ان يرى هذا السفر النفيس عالم النور فى شهر رمضان الابرك ، بعد ان احتبس على رفوف خزائـــن المخطوطات ردحا طويلا ، وزاد تشوق العلماء اليه وتشوفهم الى مطالعـة فصوله الطريفـــة .

وأن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ تقدم هذا الكتاب المسمى ب : (( بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد )) للقاضـي عياض درة مدينة سبتة ومفخرة المغرب على مر العصور ، لتعتبره حلقة فى سلسلة مطبوعاتها الاصيلة ، فقد جاء طبعه بعد الجزء الاول والثاني من (( المحـــرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز)) لابن‌عطية ، وسيتلوه فى الايام المقبلة ان شاء الله الجزء الثالث من نفس التفسير باذن الله .

وما هذه الاعمال كلها الا حسنة جديدة تضاف الى سجل المآثـــر الخالدة لمولانا امير المؤمنين الحسن الثاني أيده الله ونصره ، اذ انهـــا تشرفت بامره المولوي ورعايته السامية .

والوزارة تغتنم فرصة صـدور هذا الكتاب لترفع الى السدة العالية بالله آيات الولاء والاخلاص ، سائلـةالله عـــز وجـــل ان يحفـــظ مولانا امير المؤمنين صاحب الجلالة الحسن الثاني ، باعث نهضة هـــذا الوطن الفكرية والثقافية ، ورائد احياء تراثنا الاسلامي العربي الخالد ، وان يتولى برعايته صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليـــل سيدي محمد ، وصنوه مولاي الرشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الشريفة ، انه سميع مجيـــب .

الداى ولد سيدي بابا

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونستهديه ونسترشده ، ونعوذ بالله من شرور نفوسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد ان لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ، خير نبي للعالمين أرسله .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، الهادي الى صراط مستقيم ، نبيك المصطفى ، وحبيبك المجتبى ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، وعلى آله الاتقياء ، وصحابته الاصفياء ، ومن تبع سنتهم واقتفى آثارهم الى يوم الدين .

وبعد : فان الامم المتطلعة الى النهضة ، اما ان تنظر في جوانب النهضة المستوردة من امم اخرى ، دون التفات الى ماضيها وسلفها ، وبذلك تنسى وجودها ، وتمسخ ذاتها ، ويضيع كيانها اشتاتا ، واما ان تعير الماضي المضيء جانبا من الاهتمام ، فتستلهم العزم من عزيمة السلف ، وتستنهض به همة الخلف ، وبذلك تحافظ على استقلال شخصيتها ، وعلى عزتها وكرامتها وامجادها ، لكن ينبغي ان لا نقف عند الاعتزاز بالآباء ، بل يجب اخذ المثل من جهدهم وجهادهم ، والاعتبار بهمتهم ، ومتابعة السعي قدما الى الامام .

والمغرب بلد اصيل ، له شخصية فذة ، شهد له بها القريب والبعيد ، خلال عصور التاريخ الطارف منها والتليد .

وتاريخ المغرب هو تاريخ الاسلام في هذه البقعة من الارض ، التي وقفت خلال تاريخها حصنا للاسلام ، وثغرا للدفاع عن المسلمين ، فصدت كل خطر يمكن ان يهدد العالم الاسلامي . وما تاريخ الاندلس الشامخ الا

امتداد لتاريخ المغرب ، فمن هذا الى ذاك سرى نور الاسلام ، ومعه الايمان والعلم والحضارة .

ومما تستنهض به العزائم بهمة السلف ، احياء تراثهم ، ونشر اخبارهم وسيرهم ، لا سيما العلماء منهم ، وطلبهم للعلم ، وحرصهم عليه ، ورغبتهم فيه ، وتصنيفهم في سائر شعبه وفنونه .

ويدخل في احياء التراث ما قامت بنشره وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله ، اذ انه قد آلى على نفسه ان ياخذ بالاصالة النابعة من هذا الشعب العظيم ، وان يصبغ النهضة في كل ميدان بصبغة هذا البلد المسلم الاصيل .

واذا ذكر تاريخ العلماء بالمغرب ، كان اول ما يتجلى فيه علم لامع ، وبدر ساطع ، هو « القاضي عياض » رحمه الله ، الذي قيل فيه : « لولا عياض لما ذكر المغرب » .

وللقاضي عياض رحمه الله مؤلفات مفيدة نافعة ، لعل من أطرفها شرحه لحديث أم زرع ، وهو كتاب لطيف ، شاع ذكره بين فقهاء المغرب خاصة ، وتردد على السنة واقلام سائر علماء العالم الاسلامي ، ولكنه بقي مخطوطا لم ير عالم النور ، حتى امتدت اليه يد وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، لتحقيقه وطبعه ، وتقديمه درة من مفاخر المغرب الدريسة ، جمعت بين لطافة التاليف المغربي ، وحسن الاخراج والطبع المغربي ، يتوج ذلك امر عاهل المغرب امير المؤمنين الحسن الثاني ، نصره الله ، وايده بالعون والتوفيق والتسديد .

وان « وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية » اذ تقدم هذا السفر اللطيف ، لترجو ان تكون قد ساهمت بلبنة اخرى في بناء صرح تراثنا المجيد ، بعد « ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك » للقاضي عياض ، و « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد » لابن عبد البر ، و « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » للقاضي عياض و « التعريف بالقاضي عياض » لولده ابي عبد الله محمد ، وهو سفر حافل عن حياة هذا العلم الشامخ من شتى جوانبها ، ومن اعرف بالوالد من ولده ؟ وقد قيل : الولد سر ابيه .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اذ نشرت « التعريف بالقاضي عياض » فقد اغنتنا عن التوسع في ترجمته ، كما اغنتنا عن ذلك تلك الترجمة القيمة في مقدمة ترتيب المدارك ، الذي طبعته الوزارة .

الا انه لا بد لنا من ان نشير الى نبذة عن القاضي عياض رحمه الله، ثم اذكر طرفا عن شرحه لحديث ام زرع .

## القـاضـــي عيـــاض :

يقول ابو عبد الله محمد بن عياض عن أبيه : (( ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بـــن موسى بن عياض اليحصبي . وكان ابي رحمة الله عليه يقول ( لا ادري هل محمد والد عياض ام بينهما رجل فهو جده ؟ ) . استقر اجدادنا في القديم بالاندلس ، جهة بسطة ، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقـــرار بالقيروان ، لا ادري اقبل استقرارهم بالاندلس ام بعد ذلك )) . ( التعريف بالقاضي عياض ، ص 2 ) .

ولد القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بمدينة سبتة ، في منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة ، 476 هـ .

نشأ طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، كان من حفـاظ كتاب الله تعالى ، وله الحظ الوافر في التفسير والحديث وعلومهما .

وكان فقيها ، بصيرا بالفتيا والاحكام والنوازل ، اصوليا نحويا اديبا شاعرا ، يستعمل في شعره الغرائب ، حافظا للغة والاغربة والشعر .

اخذ عن اشياخ بلده ، ثم رحل الى الاندلس ، فدخل قرطبة ومرسية، واخذ عن شيوخ الاندلس ، واجازه علماؤها ، ثم عاد الى بلده سبتة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما او نحوها ، وبعد ذلك بيسير اجلس للشورى ، ثم ولي القضاء ببلده ، ثم نقل الى قضاء غرناطة ، لكنه صرف بعد مدة عن قضائها ، وعاد قاضيا في سبتة .

كان القاضي عياض رحمه الله يعيش عيشة علمية ، فهو حيثما حل وارتحل يفيد ويستفيد ، دابه وحرصه على لقاء العلماء والسماع منهـم ، واخذ عن نحو مائة شيخ .

ولثبات القاضي عياض رحمه الله على عقيدته السنية ، غربه الموحدون عن بلده ، فجزع رحمه الله لفراقها ، و ( كان رحمة الله عليه يوم سفـــره الى مراكش يودع الناس ويبكي ، ويقـــول : جعلنـــي الله فداءكـــم ) . ( التعريف بالقاضي عياض ، ص 115 ) .

وقوله هذا (( جعلني الله فداءكم )) على ما رجحه من جواز التفدية ، وقد حكى هذه المسالة والخلاف فيها مبسوطة فى الفصل الذي خصصه للكلام على فقه حديث ام زرع اواخر الكتاب . ( انظر صفحة 171 )

وتوفي في مراكش سنة اربع واربعين وخمسمائة ، ( 544 هـ ) .

وللقاضي عياض مؤلفات قيمة ، منها (( اكمال المعلم بفوائد مسلـم )) كمل به شرح ابي عبد الله محمد بن علي المازري لصحيـــح مسلـــم ، المسمى ب (( المعلم بفوائد مسلم )) ، و (( الالماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع )) ، و (( الشفا بتعريف حقوق المصطفى )) و (( مشارق الانوار على صحاح الآثـــار )) .

ومنها مما طبعته الوزارة : (( ترتيب المدارك )) و (( الاعلام بحـــدود قواعد الاسلام )) وها هي اليوم تقدم (( بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفـوائـــــد )) .

## بغيـــة الرائـــد لما تضمنـــه حديـــث ام زرع من الفوائـــد :

قال ابن حجر : (( وقد شرح حديث ام زرع اسماعيـــل ابن ابـــي اويس شيخ البخاري ، روينا ذلك فى جزء ابراهيم بن ديزيل الحافظ من روايته عنه ، وابو عبيد القاسم بن سلام فى غريب الحديث ، وذكر انه نقل عن عدة من اهل العلم لا يحفظ عددهم ، وتعقب عليه فى مواضع ابو سعيد الضرير النيسابوري ، وابو محمد ابن قتيبة ، كل منهما فى تاليف مفرد ، والخطابي فى شرح البخاري ، وثابت بن قاسم ، وشرحه ايضا الزبير بن بكار ، ثم احمد بن عبيد بن ناصح ، ثم ابو بكر ابن الانباري ، ثم اسحـــاق الكاذي فى جزء مفرد ، وذكر انه جمعه عن يعقوب بن السكيت وعن ابـــي عبيدة وعن غيرهما ، ثم ابو القاسم عبد الحكيم بن حبان المصري ، ثـــم الزمخشري فى الفائق ، ثم القاضي عياض ، وهو اجمعها واوسعها ، واخذ منه غالب الشراح بعده )) . ( *فتح الباري 11 : 163 ــ 164* ) .

وقد ابتدأ القاضي عياض كتابه بذكر اسانيده فى روايه الحديـــث ، ثم ساق نصه واختلاف الرواة فى بعض الفاظه ، ثم انتقل الى تفسيـــر السند ، وبين ان بعض رواة هذا الحديث جعلوه كله من قول النبي طى الله عليه وسلم ، وبعضهم جعلوه من قول عائشة رضي الله عنها الا قولـــه فى آخر الحديث (( كنت لك كأبي زرع لام زرع )) ، وقد صوب القاضي عياض رحمه الله رواية الفريق الثاني ، تبعا للخطيب البغدادي والدارقطنـــي ،

وهذا التصويب هو الصواب . ثم انتقل الى التعريف بهؤلاء النسوة ، وانهن كن فى زمن الجاهلية ، وانهن من بطن من بطون اليمن ، او كن من قريش بمكة .

ثم انتقل الى العربية وجمل الكلام فى هذا الفصل فى محلين ، ثم بين ما في استهلال هذا الحديث من الفقه ثم الغريب .

وفى ذكر اثناء الكلام على الفقه بحثا نفيسا فى العدالة والمروءة والشاهد ، وقال : (( وهذه نكتة بالغة فى هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان فى غير هذه الاوراق )) . ( انظر صفحة 41 ) .

ثم انتقل الى قول المراة الاولى فبين غريبه ومعناه وعربيته ، ثم ذكر ما فيه من الفقه .

ثم انتقل الى قول الثانية فبين غريبه ومعناه ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة، حتى وصل الى الحادية عشرة ، فقطع كلامها مقاطع لطوله ، وتكلم على كل مقطع فبين غريبه ومعناه وعربيته .

ثم انتقل الى فصل من الفقه ذكر فيه مسائل ، منها قول المرء لصاحبه بابي انت وامي ، وفداك ابي وامي ، ومنها ترفية المتزوج بلفظ الرفاء ، ومنها جواز المزح فى الاحايين ، وقد فصل القول فى هذه المسائل خاصة ، وذكر طرفا من اخبار ممازحة النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه، وبين حد المزاح المباح المحمود من غيره .

ثم انتقل الى ما فى هذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغة وابواب البديع .

وهكذا جاء شرح القاضي عياض رحمه الله لهذا الحديث اجمع الشروح واوسعها ، كما قال ابن حجر . ولم يسم القاضي عياض فى خطبة كتابه اسم الكتاب،ولا ذكرت النسخ التي بين ايدينا تسمية للكتاب الا النسخة الزبدانية ، فقد سمته (( بغية الرائد فيما فى حديث ام زرع من الفوائد ))، وسماه الذهبي فى تذكرة الحفاظ (( شرح حديث ام زرع )) ، وسماه ابنه فى التعريف وابن فرحون فى الديباج المذهب (( بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد )) وهذا هو الاولى ، لان ابنه اعرف بتسمية مؤلفاته .

والقاضي عياض مالكي شديد المحبة للامام مالك رحمه الله ، ولا بد ان يظهر هذا في كلامه ، فمن ذلك قوله ـ عند الكلام على ان في استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع اهله ـ حيث قال : « وقد كان مالك رضي الله عنه يقول : في ذلك مرضاة لربك ، ومحبة في اهلك ، ومثراة في مالك ، ومنساة في اجلك . قال : وقد بلغني ذلك عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان مالك رحمه الله من احسن الناس خلقا مع اهله وولده ، وكان يحدث يقول : يجب على الانسان ان يتحبب الى اهل داره حتى يكون احب الناس اليهم » . ( انظر صفحة 32 ).

ويبدو من كلام القاضي عياض رحمه الله ان له دراسات نفسية ، من ذلك انه قال ـ عند الكلام على غريب قول الثانية ـ : « وقال ابو سعيد النيسابوري : انما عنت ان زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم » . ( انظر صفحة 60 ) .

وهذه اشارة الى ملاحظة ابي سعيد النيسابوري للتعقد النفسي ، وانه قد تكون عند بعض الناس عقد نفسية ، وانها ربما حالت بين الانسان وبين المكارم . ونقل القاضي عياض رحمه الله لقول ابي سعيد هذا يدل على ان له نظرا في ( علم النفس ) ومشاكلها .

والقاضي عياض رحمه الله مولع بغريب اللغة ، وايراد الشواهد الشعرية في سائر المناسبات ، كما ان له آراء وترجيحات في تفسير الغريب ، وبعضها لم يسبق اليه .

وقد اورد السيوطي رحمه الله حديث ام زرع في ( الجامع الكبير ) في قسم الافعال في أواخر مسند عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اجتمع احدى عشرة امراة ... ) وساق الحديث بتمامه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، وعزاه للطبراني في الكبير وابن النجار .

واورده الحافظ العراقي المغربي في هامش نسخته من الجامع الكبير في الجزء الثاني ، عند حديث . « كنت نهيتكم عن لحوم الاضاحي » قال : « كنت لك كابي زرع ... » الحديث ، رواه البخاري في النكاح في باب حسن المعاشرة مع الاهل ، ومسلم في المناقب ، والترمذي في باب السمر من الشمائل ، وابو نعيم في الحلية في ترجمة بشر الحافي ، والخطيب في ترجمة حاتم بن الليث » .

ورواية الخطيب البغدادي له في تاريخ بغداد ( 8 : 245 ) من طريق حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا ابن ابي اويس ، حدثني ابن ابي الزناد ، عن ابي الزناد ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كنت لك كابي زرع لام زرع ) . ورواية ابي نعيم له في حلية الاولياء ( 8 : 356 ) من طريق بشر بن الحارث الحافي ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( كنت كابي زرع لام زرع )) ثم انشا يحدث حديث ام زرع قال : (( اجتمع احدى عشرة نسوة )) فذكر الحديث .

اما الامام احمد فلم يروه في مسنده ، وهذا من الاحاديث الصحيحة المخرجة في الصحيحين وليست في (( المسند )) ، كما قال العراقي ، ( تدريب الراوي للسيوطي ص 100 ) . وكذا اصحاب السنن الاربعة فانهم لم يخرجوا هذا الحديث في سننهم ، لكن اخرجه النسائي في (( السنن الكبرى )) .

## نسخ الكتاب وعملنا فيه

1 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الزيدانية من الخزانة الملكية بالرباط ضمن مجموع ، وأرمز لها بالزاي ( ز ) .

وهي نسخة جيدة ، مكتوبة بخط مغربي جميل ، كتبت سنة ثمانية وثلاثين ومائة والف هجرية ، ورقمها / 3883 ز / . وتنفرد احيانا بزيادات عن سائر النسخ ، الا ان فيها مواضع بيض لها الناسخ ، وعلى كل حال فهي ليست كثيرة ، ولا تتعدى مواضع البياض سطرا او سطرين . ويبدو ان هذه النسخة مصححة ومقابلة .

2 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الملكية بالرباط ، وارمز لها بالميم (م).

وهي نسخة لا باس بها ، مكتوبة بخط نسخي مشرقي جميل ، كتبت سنة اثنتين واربعين وستمائة ، ورقمها / 6392 / . وهي اقدم النسخ التي بين ايدينا . الا ان هذه النسخةلقدمها قد اكلت منها العثة بحيث لم تبق من بعض اوراقها سوى نصفهااو اكثر او اقل في بعض الاحيان .

وهي نسخة مقابلة ومصححة ، ومضبوطة بعض الكلمات ، وفي كل عدة اوراق يكتب ناسخها على الهامش : (( بلغ مقابلة وسماعا )) .

3 ـ النسخة الموجودة بالخزانة الكتانية من الخزانة العامة بالرباط، وارمز لها بالكاف ( ك ) .

وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح ، لم يذكر ناسخهـــا سنـــة كتابتها ، لكن يبدو انها ليست قديمة ، ورقمها / 1857 ك / وتتفق هذه النسخة مع الزيدانية في كثير من الكلمات التي بينها فروق في النسخ . وكثيرا ما ينتقل نظر الناسخ من سطر الى سطر فيقع في انقاص شيء من الكلام . ويبدو ان هذه النسخة غير مصححة ولا مقابلة .

4 ـ النسخة الموجودة بمديرية الشؤون الاسلاميـــة بالربـــاط ، وارمز لها بالسين ( س ) .

وهي نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة وليست منسوخة عن احدى النسخ الثلاث السابقة قطعا .

وعلى كل حال ، فانه يمكن استخلاص النص من هذه النسخ بطريقة التلفيق ، وهذا النص المستخلص ان لم يكن هو النص الصحيح الكامـــل فهو اقرب ما يكون اليـــه .

وبين النسخ فروق كثيرة وهي مملوءة بالاغلاط والتصحيفات ، وقد اثبتنا بعض هذه الفروق في اسفل النص ، والكلمات التي نريد اثبـــات الفروق فيها نضع لها رقما متسلسلا من أول الكتاب الى آخره هكذا : «1» « 2 » « 3 » .... « 498 » « 499 » « 500 » ، ومعهـــا الاشـــارة الى الآيات القرءانية الكريمة ، ثم اثبتناها تحت نص الكتاب بارقامها « 1 » « 2 » « 3 » ... حتى « 500 » .

أما التعاليق ومعها تخريج الاحاديث النبوية الشريفة فنضع لهـا رقمـا متسلسلا من أول الكتاب الى آخره بهذا الشكل ( 1 ) ( 2 ) (3 ) ..... ( 119 ) ( 120 ) ( 121 ) ، واثبتناها تحت (الفروق وتخريج الآيات القرآنية الكريمة ) مفصولا بينهما بخط ، وارقامها بهذا الشكل ( 1 ) ( 2 ) ( 3 )... حتى ( 121 ) .

وفي الكلمات التي نذكر ما فيها من الفروق في النسخ الخطية فاننا نقدم غالبا ما ظهر لنا انه الصواب او الاصوب ، وقد نعلق على ذكر الوجهين

من الفرق او الوجوه فنقول بعد ذكرها : « ولعلـــه اصـــوب » او « وهو تصحيف » او « وهو غلط » او « وهو نقص مخل » والمراد الوجه الاخير، اذ ان الضمير يعود على اقرب مذكور .

وهذه لائحة باسماء بعض الكتـب المشار اليهـا في التعاليق مـع بيـان ما اعتمدناه من طبعاتهـا :

— الادب المفرد للبخاري بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
المطبعـة السلفيـة ـ القاهـرة ـ 1375 هـ

— تاريـخ بغـداد للخطيـب البغـدادي
الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ 1349 هـ

— تدريب الراوي للسيوطي بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
الطبعة الاولى ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ 1379هـ

— التعريف بالقاضي عياض لولده محمد بن عياض بتحقيق الدكتـور محمد بن شريفـة
الطبعة الاولى ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـة ـ المملكـة المغربيـة

— الجامع الصغير للسيوطي مع شرحه فيض القدير للمناوي
الطبعة الاولى ـ مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة ـ 1356هـ

— الجرح والتعديـل لابن ابي حاتـم
الطبعة الاولى ـ حيدر آباد الدكن ( الهند ) ـ 1371 هـ

— حلية الاولياء وطبقات الاصفياء لابي نعيـم
الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ 1387هـ

— سنن ابي داود بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة ـ 1354 هـ

— الشمائل المحمدية للترمذي مع شرحه لمحمد بن قاسم جسوس
مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ 1296 هـ

ـــ فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهــرة ـ 1378 هـ

ـــ مسنــــد الإمــــام احمــــد
المطبعــة الميمنيــــة ـ القاهـــرة ـ 1313 هـ

( اذا احيل على مسند الامام احمد بذكر الجزء والصفحة فالمراد طبعة الميمنية ، واذا احيل عليه بذكر رقم الحديث فالمراد طبعته بشرح وتحقيق احمد محمد شاكر ) .

ـــ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة للسخاوي بتصحيح وتعليق عبد الله محمد الصديق
مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ 1375 هـ

## تفسير حديث أم زرع للسيوطي :

وتتميما للفائدة فسيلحق ب ( بغية الرائد ) للقاضــي عياض كتاب آخر هو ( تفسير حديث أم زرع ) للسيوطي ، وهو شرح مختصر لطيف ، منتزع من حاشيته على صحيح البخاري المسماة ب ( التوشيح ) .

وتوجد في الخزانة العامة بالرباط نسخة خطية من ( تفسير حديث أم زرع ) للسيوطي ، أرمز لها بالعين ( ع ) ، وفيها نسخة من ( التوشيح ) ، أرمز لها بالتاء ( ت ) . وحيث ان النسخة ( ع ) فيها نقص كثير عن الاخرى لان ناسخها قد نقلها باختصار ، فستكون المعتمدة هي النسخــة ( ت ) سوى كلمــات يسيــرة .

## الحــافــظ السيــوطــي :

هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، امام حافظ مؤرخ مفسر محدث نحوي لغوي اديب ، صنف نحو ستمائة كتاب ، فيها الكتب الكبيرة ، ومنها الرسائــل الصغيرة ، وبعضها الورقات اليسيرة .

ومن كتبه : ( الدر المنثور في التفسير بالمأثور ) و ( الاتقان في علوم القرءان ) و ( اسعاف المبطأ في رجال الموطأ ) و ( تنوير الحوالــك في شرح موطأ الامام مالك ) و ( التوشيح على الجامع الصحيح ) أي صحيـــح البخاري ، و ( الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ) و ( الجامع الصغير )

و ( الجامع الكبير ) و (عقود الزبرجد على مسند الامام احمد ) و ( مناقب مالك ) و ( مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ) وغيرها كثير .

ولد ـ رحمه الله ـ سنة 849 ، وتوفي سنة 911 هـ .

---

وفي ختام هذه الكلمة نتوجـــه بالشكر لمديرية الشؤون الاسلامية ، التي سهلت لنا سبل البحث العلمي ،واتاحت لنا فرصة تحقيق هذا السفر النفيس ، ونحيي وزارة الاوقــاف والشــؤون الاسلاميــة ، التــي ما فتئت تعمل على احياء التراث الاسلامي الاصيل ، طبقا للتعليمات السامية لمولانا امير المؤمنين ، ايده الله ونصره .

حفظ الله مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب الامير الجليــل سيدى محمد ، وبسائر افــراد اسرته الشريفة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

المحققــــون



بسم الله الرحمن الرحيم        وصلى الله على سيدنا محمد وآله

**قال القاضي الاعدل ، الحجة الاكمل ، الحافظ الافضل ، المجد أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى ، رحمه الله :**

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل صلواته على مصطفاه محمد خاتم النبيئين ، وقفت ـ أدام الله توفيقك ، ونهج لمهيع (1) الحق طريقك ـ ، على ما سألت عنه من حديث أم زرع ، وتفسير مشكل معانيه وأغراضه ، وفتح مقفل غريبه وألفاظه ، فاستعنت الله عز وجل عى اجابتك ، واستمددته التوفيق الى الصواب من قصد ارادتك ، والله يعصم كلا بتقواه ، ويسبغ عليك «1» نعماه ، بعزته لا اله سواه ، ورأينا

---

«1» عليك : ز س ، علينا : ك .

---

(1) « لمهيع » : طريق مهيع ( كمقعد : اى بفتح الميم وسكون لهاء وفتح الياء ) : طريق واضح واسع بين . ولفظ « مهيع » شذ عن القياس فصح ، وكان الحكم ان يعتل ، لانه « مفعل » مما اعتلت عينه ، كما قال ابن منظور . اى : كان الحكم ان يقال « مهاع » بالاعلال ، ولكن شذ عن هذا الحكم فبقي صحيحا غير معل .
« لمهيع الحق » : اصل الكلام : لطريق الحق المهيع . حذف كلمة « طريق » على حذف المضاف لانها مضافة الى « الحق » ، ثم اضاف « المهيع » الى « الحق » من اضافة الصفة للموصوف .

أن نبتدىء بالحديث وسياق «2» متنه ، مع اختلاف ألفاظ نقلته ، وزيادة بعضهم على بعض فى سرده ، ثم نذكر بعد ذلك علة اسناده ، وشرح غريبه ، وعويص اعرابه ، ومعانى فصوله ، وما يتعلق به من فقه ، وتنقدح «3» منه من فائدة ، ويتجه فيه من وجه ، بحول الله تعالى . وطرقنا فى هذا الحديث كثيرة متشعبة ، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخنا ، وبعضهم يزيد على بعض ، وفى متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات ، وتقديم وتأخير ، فجئنا بأكملها رواية ، وأحسنها سياقا «4» بعد تقديم أشهر أسانيدنا فيها ، ايثارا للاختصار والائتلاف ، واستظهارا بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الاسلاف ، ونبهنا على موضع الخلاف فيها ، مما يفيد فائدة ، أو يزيده فقرة شاردة ، وثم زيادات من غير الطرق التى ذكرناها ، جلبنا بعضها ، ونبهنا على ما أمكن منها ، والله ولى التوفيق .

حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب قراءة منى عليه ، قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد «5» الطرابلسى ، قال : حدثنا أبو الحسن على بن خلف القابسى الفقيه .

وحدثنا الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغسانى فيما كتب به الى ، قال : أنبأنا القاضى سراج بن عبد الله ،

---

«2» سياق : س ، سياقة : زك . ولعل الاصوب الاول . والسياقة للماشية .

«3» تنقدح : ز س ، ينقدح : ك .

«4» سياقا : س ، سياقة : ز .

«5» حاتم بن محمد : ك ، حاتم بن عبد الرحمن : ز س وهو غلط .

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى ، قالا «6» : حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزى ، قال حدثنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا محمد بن اسماعيل (2) ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وعلى بن حجر ، قالا : أخبرنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة (3) قالت : جلس احدى عشرة امرأة .

وحدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى قراءة منى عليه فأقر به وشيخنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ وغير واحد ، قالوا : أخبرنا أبو مروان ابن سراج الحافظ ، قال : أخبرنا أبو القاسم الزهرى ، قال : أخبرنا أبو زكرياء ابن عائذ .

وحدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قراءة منى عليه ، قال حدثنا القاضى عيسى بن سهل ، قال : حدثنا أبو

---

«6» قالا : زم ، قال : س وهو غلط لان القائل القابسي والاصيلي .

---

(2) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى البخاري . امير المؤمنين فى الحديث ، واول من افرد الصحيح من الحديث بالتصنيف ، الف « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » فى تراجم رجال الحديث و « الادب المفرد » وجزءا فى خلق افعال العباد وجزءا فى رفع اليدين فى الصلاة وكتابا فى الضعفاء ، وكلها مطبوعة . ولد سنة 194 هـ ، وتوفى فى قرية « خرتنك » باقليم سمرقند سنة 256 هـ .

(3) هي أم المؤمنين عائشة بنت ابى بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضى الله عنهم . فقيهة ، ومكثرة من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكثرة علمها وفقهها وذكائها كانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه . ولدت بعد البعثة النبوية باربع سنين او خمس ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقيل سنة سبع وخمسين .

عبد الله ابن عتاب ، حدثنا أبو المطرف القنازعى ، حدثنا أبـو عبد الله محمد بن يحيى ، قالا «7» : حدثـنا أحمد بن خالـد ، قال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عبيـد القاسم بن سلام (4) ، عن حجاج ، عن أبى معشر ، عن هشام بن عـروة وغيره من أهل المدينة ، عن عروة ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اجتمعت احدى عشرة امرأة

وقـرأت على القاضى الشهيد أبـى علي الحسين بن محمد الحافظ ، حدثكم الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهـر البلخى ، عن الشيخ أبى بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المقرى والفقيه أبى عبـد الله محمد بن أحمـد المحمدى والقـاضى أبى علـى الحسن «8» بن علي بن محمد الوخشى ، قالوا : أخبرنا أبـو القاسم على بن أحمد بن محمد الخزاعى ، قال : أخبرنـا أبـو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ، قال : حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الحافظ (5) ، قال : حدثنا على بن حجر ، أخبرنا عيسى بن يونس ، عن هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشـة قالت : جلـس احدى عشـرة امرأة . . .

---

«7» قالا : ز ، قال : س وهو غلط .
«8» الحسن : ز ك ، الحسين : م س .

---

(4) هو ابو عبيد القاسم بن سلام ، من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه . صاحب كتاب « الاموال » ، وصاحب « الغريب المصنف » فى غريب الحديث وكتب أخرى . توفى سنة 224 هـ .

(5) هو أبو عيـسى محمد بن عيسى بن سوره الترمـذي ، صاحب « السنـن » و « الشمائل » و « التاريـخ » و ( العلـل ) . توفى سنـة 279 هـ .

وحدثنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العتابى ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ربيع التميمى ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن معاوية القرشى ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (6) ، أخبرني ابراهيم بن يعقوب ، حدثنا عبد الملك بن ابراهيم ، حدثنا محمد بن محمد أبو «9» نافع حدثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فخرت بمال أبى فى الجاهلية ، وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم . اسكتى يا عائشة ، فانى كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ «10» يحدث الحديث .

وحدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الصدفى والفقيه أبو بحر سفيان بن العاصى الاسدى سماعا عليهما وغير واحد ، قالوا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر العذرى «11» ، قال : حدثنا أبو العباس الرازى .

وحدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله ابن أبى جعفر بقراءتى عليه وغيره ، قالوا : حدثنا امام الحرمين أبو عبد الله الطبرى ،

---

«9» ابو : ز س ، ابن : ك .
«10» ثم انشأ : س ، ثم انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ز .
«11» العذري : ز ك ، العدوي : س وهو تصحيف .

---

(6) هو ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر النسائي ، صاحب « السنن » ، وهي « السنن الصغرى » او « المجتبى من السنن الكبرى » ، وله ايضا « السنن الكبرى » وغيرها . توفى سنة 303 هـ .

قال : حدثنا عبد الغافر بن محمد الفارسى ، قال هو والرازى : حدثنا أبو أحمد الجلودى ، قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج (7) ، حدثنا على بن حجر السعدى وأحمد بن جناب ، كلاهما عن عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة . . .

وبعضهم يزيد على بعض ، ولبعضهم زيادة من غير هذه الطرق ، فأكثرها غرائب وزيادات : ما حكاه ابن الانبارى (8) من رواية الهيثم بن عدى ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : « جلس احدى عشرة امرأة فى الجاهلية » ، وفى رواية : « اجتمعن » ، وفى اخرى : « جلسن » ، و « نسوة » مكان « امرأة » ، ووقع فى بعض طرق النسائى : « جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن » ، وقال بعضهم : « أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا » .

قالت الاولى : « زوجى لحم جمل غث » ، ويروى : « قحر » ، « على رأس جبل وعر » ، ويروى :

---

(7) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صاحب « الجامع الصحيح » و « المسند الكبير » على الرجال وكتاب « العلل » وكتاب « الطبقات » وغيرها . توفى سنة 261 هـ .

(8) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الانباري ، من أعلم اهل زمانه بالادب واللغة ، ومن اكثر الناس حفظا للشعر والاخبار . اجل كتبه « غريب الحديث » وله « الامالي » وشرح « معلقة زهير » و « عجائب علوم القرآن » وغيرها . توفي سنة 328 هـ .

« وعث » ، « لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى » ، ويروى : « فينتقل » ، وفى بعض الروايات : « على رأس قوز وعث ، ليس بلبد فيتوقل ، ولا سمين فيتنقل « 12 » ، ولا لى عنده معول ، ويروى : ولا له عندى معول .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، وفى رواية : أنث ، ويروى : أنبىء ، انى أخاف أن لا أذره ، زاد بعضهم : ولا أبلغ قدره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قالت الثالثة : زوجى العشنق ، ان انطق أطلق ، وان اسكت أعلق ، وفى رواية : على حد السنان المذلق «13» .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة ، زاد بعضهم : والغيث غيث غمامة ، لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة ، ويروى : لا حر ولا وخامة ، زاد الهيثم بن عدى : ولا يخاف خلفه ولا أمامه .

قالت الخامسة : زوجى ان دخل فهد ، وان خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، وقال بعضهم : يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغد .

قالت السادسة : زوجى ان أكل لف ، ويروى : رف « بالراء » ، ويروى : اقتف ، وان شرب اشتف ويروى : استف ، وان اضطجع – ويروى : هجع – التف ،

---

«12» فيتنقل : م ، فينتقل : ز س .
«13» المذلق : هذا هو الصواب ، وهي بالاصول : المدلق .

واذا ذبح اغتث ، ولا يولج الكف ليعلم البث ، ويروى : اللبث .

قالت السابعة : زوجي عياياء ، قال بعضهم : أو غياياء ، حماقاء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلا لك .

قالت الثامنة : زوجي : الريح ريح زرنب ، والمس مس أرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد ، وزاد بعضهم : لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قالت العاشرة : زوجي مالك ، وما مالك ؟ ! ، مالك خير من ذلك ، له ابل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك ، وفى بعض الروايات : وهو أمام القوم فى المهالك ، وفى بعض الروايات : زوجي أبو مالك ، وما أبو مالك ؟ ! ، ذو ابل كثيرة المسالك ، قليلة المبارك ، وفى بعضها : كثيرة المسارح ، قليلة المبارح .

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذني ، وفى رواية : أذني وفرعي ، وملأ من شحم عضدي ، وبجحني فبجحت الى نفسي ، ويروى : فبجحت نفسي

الى ، ويروى : فبجحت ، ويروى : أذنيه وعضديه ، واليه ، وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، ويروى : فوجدنى فى أهلى ذات غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق «14» ، ويروى : فجعلنى بين جامل وصاهل ودائس ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، ويروى : فأتقنح ، ورواه بعضهم : فأتفتح ، زاد بعضهم : وآكل فأتمنح .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ ! ، عكومها رداح ، وبيتها فساح ، زاد بعضهم : وفناؤها فياح .

ابن أبى زرع ، فما ابن ابى زرع ؟ ! ، مضجعه كمسل شطبة ، وتشبعه ذراع الجفرة ، وفى بعض الروايات «15» : وترويه فيقة اليعرة ، ويميس «16» فى حلق النثرة «17» .

بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ ! ، طوع أبيها ، وطوع أمها ، ويروى : زين أبيها وزين أمها ، وغيظ جارتها ، — ويروى : عقر جارتها ، ويروى غير جارتها ، ويسروى : عبر جارتها ، ويروى : حير جارتها ، ويروى : وحين ، وحبر — ، وصفر ردائها ، وملء كسائها ، ويروى : ازارها ، وخير نسائها ، زاد الهيثم فى روايته : برود الظل ، وفى الال ، كريم الخل .

---

«14» ودائس ومنق : ز ، ودياس : س ، والاولى رواية البخارى ومسلم ، والثانية رواية النسائى .

«15» وفى : م س ، زاد بعضهم فى : ز ، زاد فى : ك .

«16» ويميس : ز م ك ، ويميل : س .

«17» النثرة : ز ، النشرة : س وهو تصحيف .

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ ! ، لا تبث حديثنا تبثيثا ، ويروى : تنث « بالنون فيهما » ، ويـــروى : لا تخـــرج حديثنا تبثيثا «18» ، ولا ـــ تنقل ، ويروى : تفسد ، ويروى : تهلك ، ويروى ـــ تنقث ميرتنا تنقيثا ، ويروى : تقشيشا «19» ، ويروى : ولا تغث طعامنا تغثيثا ، ويروى تـــغـــش طعـــامنـــا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ، ويروى : تغشيشا ، زاد ابن عدى : ولا تنجث عن أخبارنا تنجيثا ، وزاد :

ضيف أبى زرع ، فما ضيـــف أبى زرع ؟ ! ، فى شـــبـــع ورى ورتـــع .

طهاة أبى زرع ، فما طهـــاة أبى زرع ؟ ! ، لا تفتـــر ولا تعدى ، تقدح قدرا ، وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة الاولى .

مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ ! ، على الجمـــم «20» معكوس ، وعلى العفاة محبوس .

قالت : خرج أبو زرع يوما والاوطاب تمخض ، وفى رواية ابن السكيت (9) : والوطاب تمخض ، فلقى امرأة معهـــا ولدان كالفهدين ، ويروى : كالصقرين ، يلعبان من تحت خصرهـــــا برمانتين ، ويروى : من تحتها ويـــروى : من تحت صدرهـــا ،

---

«18» تبثـــيثا : ز ، تفتيشا : م ك .
«19» تقشيشا ز م ك ، تقثيثا : س .
«20» على الجمم : ز ك ، على الجم : س وهو غلط .

---

(9) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحـــاق ، المشهور بابن السكيـــت ، صاحب كتاب « اصلاح المنطق » وله « غريب القرآن » وكتـــب أخرى ، توفي سنة 224 هـ .

ويروى : فمر بجارية «21» شابة يلعب «22» من تحت درعها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، زاد بعضهم : فاستبدلت وكل بــدل أعور ، فنكحت بعده رجلا ــ ويروى : شابا ــ سريــا ، ركب فرسا شريا ، ويروى : عربيا ، ويروى : أعوجيا ، وأخذ رمحــا خطيا ، وأراح على نعما ثريــا ، وأعطانى من كل رائحــة ــ ويروى : سائمة ــ زوجا ، وفى روايــة : وأراح على من كـل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين ، وفى كتاب مسلم : من كل ذى رائحة ، وقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك . فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ، ويروى : فلو جمعت كل شىء أصبته منه فجعلته فى أصغر وعاء من أوعية أبى زرع ما مــــلأه .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلـــى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، وفى رواية ابن حبيب : قالت عائشة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلــم كثيرا ما يقول اذا داعبنى : يا عائشة كنت لــك كأبى زرع لأم زرع ، زاد فى بعض الروايات : انه طلقهــا وانى لا أطلقــك ، ذكرها أحمد بن خالد (10) فى مسنده ، وكــذا زاده مصعــب الزبيرى وغيره عن هشام بن عروة ، وروى مثــله عن اسماعيل

---

«21» بجارية : ز م ك ، بجارة : س .
«22» يلعب : س ، تلعب : ز .

---

(10) هو أبو عمرو احمد بن خالد بن يزيــد القرطبى ، كان شيــخ الاندلس فى عصره . له « مسند مالك » وغيره . توفى سنة 322 هـ

ابن أبى أويس (11) عن أبيه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : غير أنى لا أطلقك ، وفى رواية أخرى : كنت لك كأبى زرع لأم زرع فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء ، رواها ابن الانبارى ، وهو من معنى الرواية الاخرى ، وبهذا تتم الفائدة . قالت عائشة : قلت يا رسول الله بل أنت خير لى من أبى زرع .

وقد روينا من طريق الزبير بن بكار (12) هذا الحديث بغير سياق من تقدم ، وفيه زيادات ومخالفة «23» فرأينا سياقه «24» على نصه . حدثنا الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى ، قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر ، حدثنا أبو

---

«23» ومخالفة : ز ك ، مخالفة : م س .
«24» سياقه : س ، مساقه : ز .

---

(11) هو أبو عبد الله اسماعيل بن عبد الله بن عبد الله ابن ابي عامر الاصبحي ، ابن عم مالك بن أنس وابن اخته وزوج ابنته . وقيل : اسم ابيه عبد العزيز ، وقيل غير ذلك ، والاصح الاول كما قال القاضي عياض فى ترتيب المدارك . توفى اسماعيل سنة 226 هـ ، وقيل : سنة 227 . وتوفى ابوه سنة 169 هـ . وهو وابوه متكلم فيهما .

(12) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي . عالم بالانساب واخبار العرب ، راوية له تصانيف منها « اخبار العرب وايامها » توفى سنة 256 هـ .

الحسن الدارقطنى (13) . قال الشيخ أبو الحسين : وحدثنا القاضى أبو الحسين ابن المهتدى «25» وأبو الفضل عبيد الله بن أحمد الكوفى ، قالا : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلانى المقرى واللفظ له ، قالا «26» : حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نسائه ، فقال : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت : يا رسول الله : وما حديث أبى زرع وأم زرع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن ، وكان منهم احدى عشرة امرأة ، وانهن خرجن الى مجلس لهن ، فقال بعضهن «27» لبعض : تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، قال : فبايعن على ذلك .

فقيل للاولى : تكلمى بنعت زوجك ، فقالت : الليل ليل تهامة ، والغيث غيث غمامة ، ولا حر ولا وخامة .

قيل الثانية ـ وهى عمرة بنت عمرو ـ : قولى ، فقالت :

---

«25» ابن المهتدي : س ، المهتدي : ز .
«26» قالا : زم ، قال : س .
«27» بعضهن : ز س ، بعضهم : م .

---

(13) هو ابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي الدارقطني ، امام عصره ، لقب بأمير المؤمنين فى الحديث . من تصانيفه كتاب « السنن » و « العلل الواردة فى الاحاديث النبوية » وغيرها . توفى سنة 385 هـ .

المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قيل للثالثــة : تكلمى ــ وهى حبى «28» بنــت كعب ــ ، قالت : مالك ، وما مالك ؟ ! ، له ابل كثيــرة المسارح ، عظيمــة المبارك ، اذا سمعن صوت الضيف أيقن أنهن هوالك .

قيل للرابعة : تكلمى ــ وهى مهدد بنت أبى هرمة «29» ــ قالت : زوجى لحم جمل غث ، على جبل وعث ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى «30» .

قيل للخامسة : تكلمى ــ وهى كبشــة ــ ، قالت : زوجى رفيع العماد ، كثير الرماد ، قريب البيت من النــاد ، لا يشبــع ليلــة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قيل للسادسة : تكلمى ــ وهى هند ــ ، قالت : زوجى كل داء له داء ، إن حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والاجمع كلا لك .

قيل للسابعة : تكلمى ــ وهى حبى بنت علقمة ــ ، قالت : زوجى اذا خرج فهد «31» ، واذا دخل أسد «32» ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغــد .

---

«28» حبا : ز س ، حبى : ك . وما اثبته من فتــح الباري ، وقال : بضم المهملة وتشديد الموحدة مقصور .
«29» هرمة : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : هزومة .
«30» فينتقى : ز ، فينتقل : س .
«31» فهد : ز ، ففهد : س .
«32» فأسد : ز س . والاولى : « اســد » .

قيل للثامنة : تكلمي — وهي ابنة دوس «33» بن عبد — ، قالت : زوجي اذا أكل التف ، واذا شرب اشتف ، ولا يدخل «34» الكف فيعلم البث .

قيل لتاسعة : تكلمي ، قالت : زوجي هو من لا أذكره ، ولا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قيل للعاشرة : تكلمي — وهي كبشة بنت الارقم قالت : نكحت العشنق ، ان سكت علق ، وان تكلمت طلق .

قيل لام زرع — وهي أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ، وسماها الدريدي «35» في غير هذا الحديث : عاتكة ، ذكر ذلك في كتابه المسمى بالوشاح — : تكلمي : قالت : أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلي أذني ، وملأ من شحم عضدي ، بجحني ، فبجحت ، وجدني في غنيمة أهلي ، فنقلني الى أهل جامل وصاهل فبينما أنا عنده أنام فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، وأتكلم فلا أقبح ، وبنت أبي زرع ، وما بنت أبي زرع ؟ ! ، مضجعها كمسل «36» الشطبة ، وتشبعها ذراع الجفرة ، ووليدة أبي زرع ، وما وليدة أبي زرع ؟ ! ، لا تفسد ميرتنا تقشيشا «37» ، ولا تخرج حديثنا تنثيثا «38» ، فخرج من

---

«33» دوس بن عبد : كذا في النسخ ، وفي فتح الباري : اوس بن عبد ، وفي نسخة منه : اوس بن عبدود .

«34» يدخل : زم ، يولج : س .

«35» الدريدي : زم ك ، الدريوي : س وهو تصحيف .

«36» كمسل : ز ، مسل : س .

«37» تقشيشا : س ، تنشيشا : ز .

«38» تنثيثا : م ك ، تبثيثا : ز ، تثبيتا : س .

عندى أبو زرع والاوطاب تمخض ، فاذا هو بـأم غلامـين كالفهدين ، يرمى من تحت خصرها برمانتين «39» فتزوجها أبو زرع وطلقنى ، واستبدلت بعده ــ وكل بدل أعور ــ ، فتزوجت شابا سريا ، ركب أعوجيا ، وأخذ خطيا ، وأراح نعمـا ثريـا ، فقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك ، فجمعت أوعيته فلم تعـدل وعاء واحدا من أوعية أبى زرع ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لأم زرع .

قال أبو بكر الخطيب : (14) هذا حديث غريب ، لا أعلـم رواه هـكذا الا محمد بن الضحـاك ، وقـال أبـو الحسـن الدارقطنى ــ وذكر «40» حديـث محمد بن الضحـاك عـن الدراوردى «41» هذا ــ قال : وسمى فيه النسـوة ونسبهن ، قال : واتبعه الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن أبيـه عبد الله عن هشام نحو «42» حديث الدراوردى «43» . يريد ما نذكره عن الزبير بعد هذا بسندنا المقدم عنه ، فانه قال عند تمام الحديث: قال الزبير : وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله ، عن جدى عبـد

---

«39» برمانتين : ز ، بالرمانتين : س .
«40» وذكر : س ، وفى : ز .
«41» الدراوردي : ز م ، الداروردي : س .
«42» نحو : م س ، عن : ك ، بن محمد : ز .
«43» الدراوردي : زم ، الداروردي : س .

---

(14) هو ابو بكر احمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ، احد الحفـاظ المؤرخين المقدمين ، صاحب « تاريخ بغـداد » وكتاب « الكفاية فى علم الرواية » ولـه كتب كثيـرة . تـوفى سنـة 463 هـ .

الله بن مصعب ، عن هشام بن عروة مثله . وزاد : وقال رسول الله صلى عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لام زرع ، انه طلقها وانى لا أطلقك .

زاد النسائي فى مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام قال : حدثنا ريحان بن سعيد بن المثنى ، حدثنا عباد بن منصور ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت عائشة : بأبى وأمى يا رسول الله ، بل أنت خير لى من أبى زرع . وذكر نحوه من حديث عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة .

# تفسير السند

اختلف فى سند هذا الحديث ورفعه ، مع أنـه لا خلاف فى صحته وأن الائمة قد قبلوه ، وخرجه فى الصحاح البخارى ومسلم فمن بعدهما ، ولا مخرج له ــ فيما انتهى الى ــ الا من روايـة عروة عن عائشة رضى الله عنها ، فروى من غير طريق عن عروة عنها من قول النبى صلى الله عليه وسلم كله نصـا ، هكذا رواه عباد بن منصور وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الله بن مصعب الزبيرى ويونس ابن أبى اسحاق السبيعى كلهـم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليـه وسلم . وهكذا رواه أبو معشر عن هشام الا أنه قال : عن هشام وغيره من أهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه أيضا أبو معشـر عن عبد الله بن اسحـاق الطلحى عن عائشة وأسنده بطوله . وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا أنه قال : حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم هكذا ، قال النسائى : عن عروة عن عائشة «44» ، وقال الدارقطنى : عن أبيه عن عائشة

«44» عن عائشة : ز م ك ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليـه وسلـم : س .

فجعلوه من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا من غير احتمال ، وأسندوه بطوله ، وهكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن موسى بن اسماعيل المنقرى عن سعيد بن سلمة عن هشام ، الا أنه «45» قال : عن هشام عن أخيه عن أبيه عن عائشة قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع ، وساق الحديث بطوله . وكذلك قال أحمد بن داود الحرانى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذا «46» حكاه عنه القاسم بن سلام . وكذلك رفعه الهيثم بن عدى عن هشام ، الا أنه قال : عن أخيه يحيى بن عروة عن عروة ، وساقه كله من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا .

ورواه على بن حجر وابن جناب وسليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن جعفر غندر وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركانى وصالح بن مالك الخوارزمى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة من قولها . وكذلكأسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن الحلوانى عن ابن أبى الحسام عنه «47» . وكذلك رواه أبو عقبة عن أبيه عقبة بن خالد ، عن هشام الا أنه قال : عن هشام عن أبيه عن عائشة . وهكذا قال فيه ابن أبى أويس : عن أبيه عن هشام .

---

«45» الا انه : س : الا ان سعيدا : ز .
«46» وكذا : زم ، وكذلك : ك ، كذا : س .
«47» ابن ابي الحسام : م ك ، ابن الحسام : ز ، ابي الحسام : س .

وكذا قال يوسف بن زياد وسليمان بن بلال وعبد الرحمن ابـن أبي الزناد عن هشام وأبو معاوية الضرير عنه مختصرا . وكـذا ساقه داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، ويقال : عن أبيه ، عن عائشة من قولها . وقال عقبة بن خالد أيضا : قال هشام : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثلـه مختصـرا . يريـد قولـه عليـه السلام : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وكذا قال أبو أويـس وابراهيم ابن أبي يحيي عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلـم بمثلـه . وكذلـك رواه أبـو الزناد عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليـه وسلـم . قال أبو عبد الرحمن النسائي باثر حديث عقبة : يعني آخـر الحديث . يريد قوله : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وقد وقـع مفسرا عن غير «48» أبي عبد الرحمن فذكر أحمد بـن عمـرو البزار (15) رواية عقبة عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة ، قال أحمد فذكر منه حرفا وقال : كنت لك كأبي زرع لام زرع . وفي رواية ابن الانباري قال عقبه «49» : انما يراد هذا الحديث لهذا الحرف ، فذكره .

**قـال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه :**

ولا خلاف في رفع قوله في هذا الحديث : كنت لك كأبي زرع

---

«48» عن غير : ك ، عند ، س .
«49» عقبه : م ، عروة : ز س وهو غلط .

---

(15) هو ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق ، المشهور بالبزار ، حافظ من العلماء بالحديث . اشتهر بتصنيف كتابه « المسند » وله مسندان : كبير وصغير . توفي سنة 292 هـ .

لام زرع ، وانما الخلاف فى بقيته , وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادى الحافظ : المرفوع من هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، وما عداه فمن كلام عائشة رضى الله عنها ، حدثت به هى النبى صلى الله عليه وسلم ، بين ذلك عيسى بن يونس فى روايته وأبو أويس وأبو معاوية الضرير .

وقد روى أن القائل ــ فى حديث سعيد «50» بن سلمة : ثم أنشأ يحدث الحديث ــ هو هشام ، حكى أن أباه أنشأ يحدث الحديث ، فأوهم السامع أن عائشة أخبرت بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو الحسن الدارقطنى : الصحيح عن عائشة أنها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة ، فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، ( وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : انها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع ) «51» .

---

«50» سعيد . ز م ك ، سعد : س وهو غلط .
«51» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمه وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : هو الصواب ، ولا يدفع قول عقبة «52» عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة .

«52» عقبة : س ، عتبة : ز .

# التعريف

ذكر فى الخبر المتقدم أن هؤلاء النسوة كن فى زمن الجاهلية ، وذكر فى الخبر الآخر الذى رواه الدراوردى أنهن من بطن من بطون اليمن ، وأخبرنا أبو الحسن على بن محمد النسابة الاديب أنه وقف على تعليق بخط أبى محمد — هو ابن حزم «53» — على بن أحمد الفارسى (16) فى قصتهن فذكر فيه أنهن من « خثعم » ، وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد فى الحديث المتقدم ، وهو خثعم بن أنمار بن أراشه ، ويقال أراش ، ويقال ارش ، بن عمرو بن الغوث بن نبت — وهو قرن «54» — بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان ، كذا قال الهمذانى «55» . وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين : أراش بن لحيان بن عمرو .

---

«53» هو ابن حزم : ك ، — : ز س .
«54» وهو قرن : ز ، — : س .
«55» الهمذاني : زم ، الهمداني : ك ، المهداني : س .

---

(16) هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ، الفارسي الاصل . صاحب كتاب « المحلى » وغيره ، امام الظاهرية ، وعلامة الاندلس . توفى سنة 456 هـ .

ويقال : ابن عمرو «56» بن لحيان بن «57» الغوث ، ونساب مضر يزعمون أن خثعم : ابن أنمار بن تزار «58» ، وانهم حالفوا ولد أنمار بن سبأ ، فجر أنمار بن سبأ نسبهم الى سبأ باسم أبيهم ، والاول أصح ، ويصدقه حديثه عليه السلام فى ذكر سبأ وولده فسمى منهم أنمارا ثم قال : الذين منهم خثعم وبجيلة . قال الهمذانى «59» : واسم خثعم أفتل ، ( وسمى خثعم باسم جبل نزله بنوه ، وقيل باسم جمل كان له ، اسمه خثعم ، فيقال : احتل خثعم ، ونزل خثعم . وقيل : بل نحروا عند تحالفهم بعيرا وتلطخوا بدمه ، وهو التخثعم فى لغتهم ) «60»

وقد روى فى هذا الحديث من رواية أحمد بن عبيد بن ناصح «61» عن الهيثم بن عدى الطائى بسنده عن عائشة قالت : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ــ وقد اجتمع عنده نساؤه ليخصنى بذلك ــ : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لام زرع ، قالت : يا رسول الله ومن أبو زرع ؟ قال : اجتمع نسوة من قريش بمكة احدى عشرة امرأة ، وساق الحديث بطوله ، فهذا مخالف للاول ، والهيثم بن عدى ــ عندهم ــ : متكلم فيه «62» . قال البخارى : الهيثم بن عدى ــ على علمه وفضله ــ يروى مناكير . وضعفه أبو حاتم الرازى ويحيى بن معين .

---

«56» ويقال ابن عمرو : م س ، ــ : ك .
«57» بن الغوث : س ، ثم الغوث : ز .
«58» تزار : م س ، نزار : ز ، بزار : ك .
«59» الهمذانى : م ، الهمداني : ز س .
«60» ما بين القوسين ناقص من نسخة : ز .
«61» ناصح : ز ك ، فاصح : م س .
«62» متكلم فيه : س ، متروك : ز .

وقرأت فى كتاب «63» بعض الادبـاء أن امـرأة زوجت احدى عشرة ابنة فى ليلة ، ودخل بهن أزواجهن فأمهلتهن سنة ، ثم زارتهن فسألت كل واحدة عن زوجها ، فأخبرتها بصفته . فوافق من حديث أم زرع كلام صاحبة « المس مس أرنـب » بنصه ، وكلام صاحبة « رفيـع العمـاد » ، وكـلام صاحبة « زوجى لحم جمل غث » ، وخالف فى البواقى . ويشبـه أنـه حديث موضوع ، فان ألفاظه تنبىء عن ذلك ، ركب على بعض حديث أم زرع ، ولا يصح أن يكون هو هذا «64» لصحة سند حديث أم زرع وضعف هذا ، وانا قد ذكرنا فى بعـض روايات حديث أم زرع ما دل على أنهن غير اخوات ، والموفق الله .

---

«63» كتاب : س ، كتب : ز ك .

«64» هو هذا : س ، هوهو : ز .

# العربية

وقع فى بعض روايات النسائى لهذا الحديث : « اجتمعن » ، وفى رواية الطبرى من صحيح مسلم فيما حدثنا به عبد الله بن محمد الفقيه عنه : « جلسن «65» احدى عشرة امرأة » ، وفى بعضها : « نسوة » . ووقع فى بعض روايات البخارى : « جلس احدى عشرة نسوة » ، وهكذا وجدتها فى أصل الاصيلى أبـى محمد بخطه داخل الكتاب ، وأصل كتابه على رواية أبى أحمد «66» الجرجانى أحد شيخيه فى الصحيح المذكور . وروى أبـو عبيد القاسـم بن سلام هـذا الحرف : « اجتمعت » بالتـاء . فتقدير الكلام فى هذا الفصل فى محلين :

المحل الاول : قوله : « اجتمعن ــ أو جلسن ، أو اجتمعت ــ احدى عشرة » ، فأظهر فى هذه الروايات علامة التأنيث ونون الجماعة مع تقدم الفعل ، وبابه فى العربية والاحسن فى الكلام حذفه ، وترك علامة التثنية والجمع ، وافراد الفعل .

قال سيبويه : حذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا ( يريـد : من صيغة الجمع والتثنية ) فقالوا : قـام أبواك ، وقام قومـك ،

«65» جلسن : م ك ، جلس : ز س .
«66» احمد : ز م ك ، محمد : س .

فاستغنوا بما أظهروا عن : قامــوا وقامــا ، وكذلك فعلــوا فى المؤنث فقالوا : قامت جاريتاك ، وقامت نساؤك ، الا أنهم أدخلوا التاء للتأنيث ، وحذفوا علامة الجمع والتثــنية كمــا فعلــوا فى المذكر . ولو بدأت بأسمائهم لم يكن بد للمضمر أن يجيء بمنزلة المظهر فى المذكر والمؤنــث والتــثــنــية والجمــع ، فتقــول أخواك قالا ، وقومك قالوا ، وجاريتاك قالتــا ، ونساؤك قلــن ، لانه قد وقع هنا اضمار فى الفعل هو أسمــاء المذكورين ، فلــم يكن بد أن يجاء به مجيء المظهر ، والفعل المقدم لم يكن فيــه اضمار فيظهر ، وليست تاء التأنيث فيه علامــة اضمار فيلزم اظهارها فى الجمع ، وانما هى علامة تأنيث كهــاء « طلحــة » . هذا تعليل سيبويه (17) .

وأما الفارسى (18) فقال : لزمت التاء ها هنــا فى المؤنث الحقيقى لتشعر بتأنيثه حسب لزومه له وحقيقته ، ولم يلــزم ذلك «67» الجمع والتثــنية اذ ليسا بلازمين لزوم التأنيث .

وقد قال بعض العرب : قال امرأة . كأنهم جعلوا اظهــار

---

«67» ذلك : ك ، فى ذلك : م س .

---

(17) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنــبر ، المشهور بسيــبويه ، ومعناها بالفارسية : رائحة التفاح . امام النحــاة ، واول من بسط علم النحو ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيــبويه » . توفى شابا سنة 180 هـ .

(18) هو ابــو علي الحسن بن احمد بن عبــد الغفــار ، المشهــور بالفارسي . واحد زمانه فى علم العربية ، اخذ عن الزجاج واخذ عنه ابن جني . صنف « الايضاح » فى النحــو و « التكملة » فى التصريف وتعليقة على كتاب سيبويه . توفى سنة 377 هـ .

المؤنث بعده يغنى عن العلامة ، وهو اذا طـال الكلام أحسن وأكثر كما قـال :

لقد ولـد الاخيطـل أم سـوء

قال سيبويه : وهو فى واحد الحيوان قليل ، ( يريد : فيما تأنيثه حقيقى ) ، وهو فى الموات «68» كثير . ( يريد : ما ليس بحقيقى التأنيث ) . وهو فى القرآن العزيـز بالوجهين كقولـه تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى «69» و ( قد جاءتكم موعظـة ) «70» ، ( وأخـذ الذين ظلموا الصيحـة «71» ) ، ( وأخذت الذين ظلمـوا الصيحة «72» ) ، ( ولـو كان بهـم خصاصة «73» ) ، وكذلك اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان أو غيره ففيه وجهان ، قال الله تعـالى : ( وقال نسـوة فى المدينة «74» ) و ( جاءهم البـيـنات «75» ) و ( جاءتكـم البينات «76» ) و ( قالت رسلهم «77» ) و ( جاءتهم رسلـنـا «78» و ( استيأس الرسل «79» ) ، لانه يصلح فيـه جماعة وجمع وجميع .

---

«68» الموات : ز ك ، المؤنث : م س وهو غلط .
«69» سورة البقرة ، الآية 275 .
«70» سورة يونس ، الآية 57 .
«71» سورة هود ، الآية 67 .
«72» سورة هود ، الآية 94 .
«73» سورة الحشر ، الآية 9 .
«74» سورة يوسف ، الآية 30 .
«75» سورة آل عمران ، الآية 105 .
«76» سورة البقرة ، الآية 209 .
«77» سورة ابراهيم ، الآية 10 .
«78» سورة المائدة ، الآية 32 .
«79» سورة يوسف ، الآية 110 .

قال : ومن العرب من يقول : ضربونى قومك ، وضربانى أخواك ، فشبهوها بالتاء المظهرة فى : قالت جاريتك ، كأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلت للتأنيث ، وهى قليلة كما قال الفرزدق :

يعصون «80» السليط أقاربه

وقال الآخر :

يلوموننى فى اشتراء النخيـ ـل أهلى فكلهم يعدل

وعلى هذا حمل الاخفش (19) قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا «81» » . وفى صحيح مسلم حديثه صلى الله عليه وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وقال بعض العرب : « أكلونى البراغيث » .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

فاذ قررت لك من كلام امام الجماعة وحذاق الصناعة ما رأيت ، نظرت فى قوله : « اجتمعن » و « جلسن احدى عشرة » ، فان حملته على هذه اللغة الاخيرة وتأويل الاخفش فى الآية كان وجها حسنا ، وفيه وجه آخر وهو أن تحمله على المعروف فى الكلام ، وتجعل « احدى عشرة » بدلا من الضمير

---

«80» يعصون : س ، يعصرن : ز ك .
«81» سورة الانبياء ، الآية 3 .

---

(19) الاخافش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة . ولعل هذا هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الاخفش الاوسط وهو احد الاخافش الثلاثة المشهورين . قرا النحو على سيبويه . صنف « الاوساط » فى النحو و « معاني القرآن » وغيرهما . وتوفى سنة 210 هـ .

فى « اجتمعن » ، وهذا تأويل سيبويه فى الآيـة ، وحكاه عـن يونس (20) ، قال : وكأنه قال : انطلقوا ، فقيل : من هـم ؟ ، فقيل : بنو فلان . ولكن يتحقق هذا فى الحديث : بأن نقدر أنـه صلى الله عليه وسلم أخبر عنهن على هذا الوجه ، وقد جرى من ذكر الخبر ما صار كالمخبر عنهن ، بتأخير الفعل وأنهن فى نفسه وذكره مقدمات ؛ وتكون النون ضميرا اسما لا حرف علامـة ، فيكون ما بعدها بدلا منها ، كما كان «82» فى الآيـة ، لتقـدم الذكر لمن يعود عليه الضمير ، الا ترى أنه قـد جرى شىء من حديثهن قبل ؟ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : كنت لـك كأبى زرع لام زرع ثم سؤال عائشة له عن قصـة أم زرع ، قالت : فأنشأ يحدثنا الحديث . وقد يكون أيضا قوله « احدى عشرة » خبرا لمبتدأ مضمر ، كأنه قيل : من هن ؟ فقـال : هـن احدى عشرة ، وهو أحد التأويلات فى الآية ، وبهذا قدر سيبويه فيها البدل فانظره . وفيه وجه رابـع : أن تجعل « احدى عشرة » نصبا بـ « أعنى » ، وهو أحد تأويلات الآية . وفى الاية وجوه أخر غير هذه لا نطول بذكرها ، اذ ليست من غرضنا . وأما على رواية أبى عبيد (21) فعلى أحد الوجهين المعروفين فى تقـدم الفعل «83» الجماعة كما ذكرنا .

---

«82» كان : س ، — : ز .
«83» الفعل : س ، فعل : ز .

---

(20) هو ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي . بارع فى النحو ، من اصحاب ابى عمرو بن العلاء ، سمع من العرب وروى عن سيويه . توفى سنة 182 هـ .
(21) هو القاسم بن سلام . وقد تقدم ذكره وترجمته .

المحل الثانى : قوله « احدى عشرة نسوة » : وباب العدد فى العربية أن ما بين الثلاثة الى العشرة مضاف الى جنسه ليبينه ويوضحه ، ومن احد عشر الى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف الى واحد من جنسه ، وقد جاءهاهنا « النسوة » وهو جنس بعد « احدى عشرة » «84» ، وهو خارج عن وجه الكلام ، ولا يصح نصبه على التفسير ، اذ لا يفسر فى العدد الا بواحد ، ولا يصح «85» اضافة العدد الذى قبله اليه ، اذ لا يضاف ما بعد العشر من العدد الى المئة ، فوجه نصبه عندى : على اضمار « أعنى » ، أو يكون مرفوعا بدلا من « احدى عشرة » وهو الاظهر فيه ، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا «86» » ، فـ ( أسباطا ) بدل من ( اثنتى عشرة ) وليس بتفسير ، قاله الفارسى وغيره . وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندى وأحسن ، وبالله التوفيق .

---

«84» احدى عشرة : ك ، احد عشر : ز م ، احدى عشر : س .
«85» يصح : لعلها كذا ، وهي فى النسخ : يصلح .
«86» سورة الاعراف ، الآية 160 .

# الفقه

فى استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهن واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هاهنا بحديثه لعائشة رضى الله عنها ومن كان معها من أزواجه بخبر هؤلاء النسوة ، وهكذا ترجم البخارى عليه « باب حسن المعاشرة مع الاهل » وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم ، وكذلك عن السلف الصالح ، وقد كان مالك (22) رضى الله عنه يقول : فى ذلك مرضاة لربك ، ومحبة فى أهلك ، ومثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك . قال : وقد بلغنى ذلك عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده ، وكان يحدث «87» يقول : يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم .

---

«87» يحدث : م س ، ــ : ز ك .

---

(22) هو امام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك ، صاحب « الموطأ » وكتب اخرى . توفى سنة 179 هـ .

وفيه من الفقه منع الفخر بحطام الدنيا وكراهته ، الا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشـــة حين فخرت فى أول هذا الحديث بمال أبيها ، قال لها : اسكتى يا عائشة . ثم انــه آنسها بأن قرر عندها فخرا آخر ، هو أولى بهــا وأسعد لها ، بقوله : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، فمكانتها«88»منه ومن محبته وزوجيته وحسن عشرته وكثرة منفعتها لدينها ودنياها به صلى الله عليه وسلم أعرق فى الفخر ، وأرفع فى الصيت والذكر ، من كثرة مال أبى بكر ، رضى الله عنه .

وفيه من الفقه جواز اخبار الرجل زوجــه وأهــله بصورة حاله معهم ، وحسن صحبته اياهم ، واحسانه اليهم ، وتذكيرهم بذلك تطيبيا لانفسهم ، واستجلابا لمودتهم ، واذا جاز لــه أن يكذبهم وأبيح له أن يمنيهم «89» بالمواعيد غير الصادقة فهذا أجوز ، واذا جاز من النساء كفــران العشيــر جاز تذكيرهــن بالاحسان لهن ، وحسن ذلك فيهن .

وفيه من الفقه اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها «90» ، بما يراه من قول أو فعل ، وتخصيصها بذلك ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : ليخصنى بذلك ، ولانها كانت المقصودة بــهــذا الــحــديــث ، وهــذا اذا لــم يكـــن قــصـــده الاثرة والميل لها بذلك ، بل «91» لسبب اقتضاه ومعنى أوجبه

---

«88» فمكانتها : ز ، فمكانها : م ، لمكانتها : س وهو غلط .
«89» ان يمنيهم : م س ، تمنيتهم : ك ، تمنيهم : ز وهو غلط .
«90» ضرائرها : ز م س ، بعض ضرائرها : ك .
«91» لها بذلك بل : ز ، بل : م ك ، — : س وهو نقص مخل .

من تأنيس وحشة بدت منها ، أو مكافأة جميل صدر عنها . وقـد اجاز له بعض أهل العلم تفضيل احداهما على الاخرى فى الملبس اذا وفى الاخرى حقها ، وان يتحف احداهما «92» ويلطفها اذا كانت شابة ، أو هى أبر به . ولمالك نحو من هذا ولاصحابه ، قال ابن حبيب (23) : والمساواة أولى . والمكروه من ذلك كله «93» ما قصد به الاثرة والميل والتفضيل لا لسبب سواه . والنبى صلى الله عليه وسلم ــ وان لم يكن العدل فى القسم بين النساء واجبا عليه لقوله تعالى « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء «94» » ــ فقد التزمه صلى الله عليه وسلم ، وأخذ به نفسه ، تفضلا منه ، وتخلقا بالعدل ، ولتقتدى به أمته ، حتى قال : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك (24) . يريد القلب .

وفيه من الفقه جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته ومجالستها فى يوم «95» الاخرى ، ومحادثته اياها ، لقول

---

«92» احداهما : س ، الاخرى : ز .
«93» كله : س ، ــ : ز .
«94» سورة الاحزاب ، الآية 51 .
«95» يوم : ز م ك ، بيت : س .

---

(23) هو ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى الالبيري القرطبي ، عالم الاندلس وفقيهها فى عصره . له تصانيف كثيرة منها « الواضحة » فى السنن والفقه و « تفسير موطأ مالك » . توفى سنة 238 هـ .

(24) روى ابو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ، ويقول « اللهم هذا قسمى فيما املك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا املك » تعني القلب . كتاب النكاح ، باب فى القسم بين النساء ( رقم : 2134 ) .

عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساؤه ، وفى الرواية الاخرى : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نسائه ، فالظاهر أنه فى بيتها ، وقد روى عنه فى الصحيح : أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر يدخل على نسائه فيدنو من احداهن (25) ، وانهن كن يجتمعن عند التى هو يومها . وقد اختلف العلماء فى هذا ، فأجازه بعضهم ، وقال مالك — فى كتاب محمد — باجازة دخوله عند احدى نسائه فى يوم صاحبتها لحاجة ، أو عيادة ، أو يضع ثيابه عندها ، اذا كان ذلك منه على غير الميل ، وقد حكى بعضهم أنه لا يختلف العلماء — فيما علمه — فى الدخول الخفيف للحاجة يقضيها ، قال : وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة . ووقع لمالك أيضا لا يقيم «96» عندها الا من عذر لا بد منه . وعن معاذ (26) انه كانت له زوجان فكان

«96» لا يقيم : ز م ك ، لا يقوم : س ولعله اصوب .

(25) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن . كتاب النكاح ، باب دخول الرجل على نسائه فى اليوم . وكتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما احل الله لك ؟
وقال ابن حجر فى فتح البارى ( كتاب النكاح ، باب القرعة بين النساء اذا اراد سفرا ج 11 ص 223 ) : وقد اخرج ابو داود والبيهقى — واللفظ له — من طريق ابن ابى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة : « قل يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا جميعا فيقبل ويلمس ما دون الوقاع ، فاذا جاء الى التى هو يومها بات عندها » .

(26) هو ابو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو ، الانصاري الخزرجي ، الامام المقدم فى الحلال والحرام ، صحابي جليل . امره النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن . توفى سنة 17 هـ ، او التي بعدها .

لا يشرب الماء من عند «97» احداهما فى يوم الاخرى . وقال عبد الملك بن الماجشون (27) : يقف بباب احداهــن ويسلــم ولا يدخل . وتأول أهل هذه المقالة ما روى عنه عليه السلام فى الحديث المذكور خصوصا للنبى صلــى الله عليــه وسلم ، اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم ، وانه انما كان يفعل هــذا نادرا واحيانا ، وغالب أمره العدل والتسوية ، ليســن العــدل ويحسن العشـــــرة .

وفيه من الفقــه جــواز الحديــث عن الامــم الخاليــة ، والاجيال البائدة ، والقرون الماضية ، وضرب الامثــال بهــم ، لان فى سيرهم اعتبارا للمعتبــر ، واستــبصارا للمستــبصر ، واستخراج الفائــدة للبــاحث المستكــثــر ، فــــان فى هــذا الحديث ــ لا سيما اذا حدث به النساء ــ منفعة فى الحض على الوفــاء للبعــولة ، والنــدب لقصــر الــطــرف والقــلـــب عليهم ، والشكر لجميل فعلهم ، وحسن المعاشرة معهم ، كحال أم زرع وما ظهر من اعجابها بأبى زرع ، وثنــائها عليــه وعلى جميع أهله ، وشكرها احسانه لهــا ، واستصغارهــا كل شىء بعده . وبسبب قصتها كان جلب الحديث ، كما وقع مبينا فى بعض الروايات ، مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتى ذممــــن أزواجهن ، والاعلام بما تحملنه من ســوء عشرتهــم وشراسة

---

«97» من عند : ز م ك ، عند : س .

---

(27) هو ابو مروان عبد الملك بن عبد العزيــز بن عبد الله ، المشهور بابن الماجشون . فقيه مالكي فصيح ، من كبار ائمــة المالكية ، دارت عليه الفتيا فى زمانه ، وعلى ابيه قبله . توفى سنة 212 هـ

أخلاقهم ، ليقتدي بذلك من النساء من بلغها خبرهن فى الصبر على ما يكون من الازواج وتتأسى بمن تقدمها فى ذلك .

وفيـه من الفقه التحدث بملح الاخبار وطـرف الحكايات ، تسلية للنفس ، وجلاء للقلب ، وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذي عليه : باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى السمر . وأدخل فى الباب هـذا الحديث وحديث خرافـة (28) .

ويروى عن على رضى الله عنه (29) انه قـال «98» : سـلوا

«98» عن علي رضي الله عنه : ز م ك ، عن النبي صلى الله عليـه وسلـم : س .

(28) وهو : عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلـى الله عليـه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا ، فقالت امراة منهن : كأن الحديث حديث خرافة ، فقال : « اتدرون مـا خرافة ؟ ان خرافـة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا ، ثم ردوه الى الانس ، فكان يحدث النـاس بمـا راى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافـة » . وفى اسنـاد هذا الحديث مجالد بن سعيد الهمداني الكوفى . قال عبد الرحمن بن مهدى : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشىء . يعني انه تغير حفظه فى آخر عمره . وقال عنه يحيى بن سعيـد القطان : فى نفسى منه شىء . وقال يحيى بن سعيد القطان ايضا لمـن اراد ان يكتب السيرة عن مجالد : تكتب كذبا كثيرا ، لـو شئت ان يجعلها لى مجالد كلهـا عن الشعبى عن مسروق عن عبد الله فعل . وسئل عنه احمد بن حنبل فقال : ليس بشىء ، يرفـع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس ، وقد احتمله الناس . وقال يحيى بن معين : مجالد لا يحتج بحديثه . وقال عنه ايضا : مجالـد ضعيف واهي الحديث . وسئل ابو حاتم الرازى عنـه ايحتـج بحديثه ؟ قال : لا . ( انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ص 361 — 362 من القسم الاول من المجلد الرابع ، رقم الترجمة 1653 ) . فالحديث ضعيف جدا ، ولعلـه من وضـع مـجـالـد .

(29) هو امير المؤمنين ابو الحسن على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، لم ينقل لاحد من الصحابة من المناقب ما نقل لعلي رضى الله عنه ، توفى سنة 40 هـ .

هذه النفوس ساعة بعد ساعة ، فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . ويروى عن عبد الله بن عباس (30) انه كان يقول اذا أفـاض من عنده فى الحديث بعد القـرآن والتفسيـر : أحمضوا . أى اذا مللـتـم مـن الـحـديـث والفـقـه وعلـم الـقـرآن فخـذوا فى الاشعـار وأخبـار الـعـرب ، كمـا أن الابـل اذا ملت ما حلا من النبات رعت الحمض ، وهو مـا ملح منـه . ومنه قول الزهرى (31) : هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس «99» حمضة . أى انها لتشتهى الشىء بعد الشىء كما تفعل الابل . ومنه قول أبى الدرداء (32) : انى لاستجم نفسى ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لى على الحـق . وقـال على رضى الله عنه : القلب اذا أكره عمى . وقـال بعـض الحكمـاء : أن للاذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقـوا بين الحكمتـين ، ليكـون ذلك استجمامـا .

وهذا كله مالم يكن دائما متصلا ، وانمـا يكون فى النـادر والاحيان ، كما قال : ساعة بعد ساعة ، وأما أن يكون ذلك عادة

---

«99» مجاجة والنفس : م ، مجاجة وللنفس : ز ك ، فى مجاجـة والنفـس : س .

---

(30) هو ابو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، حبر الامة ، وترجمان القرآن ، دعـا لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » . توفى سنة 68 هـ .

(31) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . احد اجلاء التابعين ، واحد اكابر الحفاظ والفقهاء . توفى سنة 124 هـ

(32) هو الصحابى ابو الدرداء الانصاري الخزرجى ، اختلف فى اسمه واسم ابيه ، واسمه عامر او عويمر ، ولاه معاوية قضاء دمشق فى خلافة عمر ، توفى سنة 32 هـ او التى بعدها .

الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرب «100» به الناس ويضحكهم — دأبه — فهذا مذموم ، غير محمود ، دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة ، وخلع برد نزاهة النفس ، واطراح ربقة الوقار والسمت ، مولجا صاحبه فى باب المجون والسخف . وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح فى عدالة الشاهد ، فذكر أبو بكر الابهرى (33) وغير واحد من أئمتنا ان التزام المروءة مشروط «101» فى العدالة ، ونحوه للشافعى (34) وأئمة أصحابه . وذكر شيخنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى (35) أن الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط مروءته : من الاكل على الموائد فى الاسواق وفى الطرقات غير مستخف ، وكشف رأسه وبدنه بحضرة الناس ، ومد رجليه بحضرتهم ، وذكر «102» الحكاية المضحكة ، وذكر

---

«100» يطرب : م س ، يطرف : ز ، يطرق : ك .
والنفس : س .
«101» مشروط : ز ، مشترط : ك ، مشترطة : م س .
«102» وذكر : س ، — : ز م ك .

---

(33) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الابهرى ، الفقيه المالكى ، له تصانيف فى شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، وكان امام اصحابه فى وقته . توفى سنة 375 هـ .

(34) هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، القرشى المطلبى . تلميذ الامام مالك بن انس وشيخ الامام احمد بن حنبل رضى الله عنهم . صاحب كتاب « الام » و « المسند » وغيرهما . توفى سنة 204 هـ .

(35) هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ، القرشى الفهري ، الاندلسى الطرطوشي ، ويقال له ابن ابى رندقة ، اديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ ، توفى سنة 520 هـ .

أهله بالسخف ، قال : فهذا وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ، ولا تقبل الشهادة معها .

**قال الفقيه القاضى أدام الله توفيقه :**

وما قاله صحيح ، لان المداومة على هذا مما يسقط مروءة ذوى المروءات ، ويزيل سمت أصحاب السمت والتصاون ، واشتراط التزام المروءة مشترط فى الشهادة والعدالة كاشتراط اجتناب المحارم ، ولكن لكل واحد مروءة ما ، ولهذا قالوا فيه : ملتزما لمروءة مثله ، وقد قال بعض أئمتنا من القرويين ــ وهو أبو القاسم ابن محرز ــ : المروءة المطلوبة فى الشاهد هى الصيانة ، والسمت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب السخف والمجون وكل خلق دنيء . وقال بعض أئمة البغداديين : العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا ، قال : وقد شرط فى العدالة التوقى عن بعض المباحات القادحة فى المروءة ، نحو الاكل فى الطرق ، والبول فى الشارع ، وصحبة الارذال ، وافراط المزاح ، وقال القاضى أبو بكر ابن الطيب فى صفات العدل : تجنب ما يمرض القلوب ويورث التهم فيما جل وقل ، قال : ومن علمائنا من صار الى أن عدم (36) التوقى عن المباحات القادحة فى المروءة : كالاكل فى

(36) كلمة « عدم » غير موجودة بالاصول التي بيدي ، لكن لا يستقيم الكلام بدونها .

الاسواق ، والجلوس على الطرقات ، ومصاحبة الارذال ، والاكثار من المداعبة ، يقدح فى العدالة ، قال : ولا أقطع بذلك ، وعندى أن ذلك مفوض الى اجتهاد القاضى «103» ، فرب شخص فى نهاية من التدين وتجنب التكلف يصدر ذلك منه فلا يتهم ، ورب شخص يؤذن ذلك منه بقلة المبالاة ، وهذا يختلف باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال ، وهو مفوض الى الاجتهاد .

**قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :**

وما قاله القاضى سيف السنة من ذلك صحيح حق بين ، وهو بمعنى قول غيره الذى قدمناه من أن لكل واحد مروءة ما ، فتلك معتبرة ، وذلك أن من اسقط مروءته ولم يهتبل بها دل على اختلال فى ميزه ، اذ لم يحتط لنفسه ، ولا اهتبل بصلاح خاصته ، فتعلقت «104» تهمتنا له بذلك فى دينه ، ولم نستتم «105» الى باطنه لما اضطرب علينا ظاهره . وهذه نكتة بالغة فى هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان فى غير هذه الاوراق ، وقد طاش سهم «106» القول — بما اعترض — عن الغرض ، فلنكتف بما اقتضبناه من معقول ومنقول ، ونعود الى بغيتك فنقول :

وفيه من الفقه بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن

---

«103» القاضى : س ، القلب : ز .
«104» فتعلقت : س ، فتعدت : ز ك .
«105» نستتم : ك ، نستنم : ز ، نستسنم : س .
«106» سهم : ز س ، بينهم : م .

حوله ، وبيانه عليهم ، من تلقاء نفسه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، وقد قال لعائشـــة : كنت لـــك كأبى زرع لام زرع ، قالت : ثم أنشأ يحدث الحديث . وقد ورد في غير ما حديث صحيح ابتداؤه صلى الله عليه وسلم لاصحابه المسائل جملا وتفصيلا .

وفيه من الفقه سؤال السامع العالم شرح ما أجمله لـــه ، فقد وقع في بعض طرقه عن عائشة رضى الله عنها أنها ــ لمـــا قال لها : أنا لك كأبى زرع لام زرع ــ قالت : يـــا رسول الله وما حديث أبى زرع ؟ فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلــم الحديـــــث .

# الغريب

قول عائشة ( كان أبى ألف ألف أوقية ) أى : جمع . قال الله تعالى : « ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم «107» » . ومن رواه ( آلف ) بالمد : بمعناه «108» . وهو فعل مشتق من الالف . يقال : ألفت القوم فألفوا اللازم والمتعدى واحد ، قاله الهروى (37) . أى جمعتهم ألفا ، أو صيرتهم ألفا . ( وقال ابن اسحاق : آلف فلان ايلافا وهو أن يجتمع له ألف من البقر أو الغنم أو غير ذلك . قال الكميت :

بعام يقول له المولفو     ن هذا المقيم لقا المرحل ) «109»

وقولها ( تعاهدن وتعاقدن ) : أى ألزمن أنفسهن بالقول موثقا وعهدا ، وعقدن على الصدق والوفاء من ضمائرهن بذلك

---

«107» سورة الانفال ، الآية 63 .
«108» بمعناه : س ، فمعناه : زم وهو تصحيف .
«109» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ك .

---

(37) هو ابو عبيد احمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى ، الهروي ، له « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث ، و « ولاة هراة » ، توفى سنة 401 هـ .

عقدا . قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان «110» » أى بما وافق به نطقكم نيتكم . والاصل ان العهد والعقد فى اللغة بمعنى واحد ، قاله الخليل وابن دريد ونفطويه (38) ، وكله «111» معناه التوثق ، من : عقدت الحبل والشىء بالشىء ، وهو التوثق منه وربط بعضه ببعض ، فكأن هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر ، باخلاصهن الباطن . وقولها فى الرواية الاخرى ( تبايعن ) : من هذا المعنى ، ومنه «112» مبايعة الأمراء ، وهو توثقهم من الناس ، ومعاهدتهم اياهم على الطاعة ، وأصله من البيع ، وذلك أن المتبايعين يمد كل واحد منهما يده الى صاحبه بشىء ، وقيل : بل كانوا يضرب كل واحد منهما بيد «113» صاحبه عند التبايع ، ولهذا سميت صفقة ، لاصفاق أيديهم بعضها «114» ببعض عندها . ولما كان الامراء يأخذون عند التوثق بأيدى من عاهدوا وأشبه ذلك فعل المتبايعين سميت مبايعة لذلك .

---

«110» سورة المائدة ، الاية 89 .
«111» ونفطويه وكله : ز ، وغيرهما و : س .
«112» ومنه : ز ، واصله : س .
«113» بيد : م ، يد : ز س .
«114» بعضها : س ، بعضهم : ز م .

---

(38) هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي العتكي ، المشهور بنفطويه ، أمام فى النحو ، وكان فقيها ، راسا فى مذهب داود ، مسندا فى الحديث ثقة ، توفى سنة 323 هـ .

# غريب قول الأولى

( لحم جمل غث ) أى مهزول ، قال الشاعر :

فأمست «115» قريش قد أغث «116» سمينها

والغث أيضا : الفاسد من الطعام ، ومنه : الغثيثة : وهي المادة التى تجتمع فى الجرح . ويقال : غث الطعام يغث ، وأغث .

والاصح «117» أن يكون هنا : الهزيل ، لقولها بعد : لا سمين فينتقى . ومن رواه ( قحر ) فمعناه : هرم قليل اللحم ، صفة للبعير . يقال : جمل قحر وقحارية «118» . قال ابن الانبارى : تريد : لحم جمل مهزول . يريد ابن الانبارى ان المسنة الغالب عليها الهزال .

وقولها ( على رأس جبل وعر ) أى حزن غليظ . والقوز : مثل الجبل ، من الرمل . والجمع : أقواز وقيزان وأقاوز .

ومن رواه ( وعث ) فمعناه ذو وعث ، والوعث : الدهس ،

---

«115» فأمست : س ، وامست : ز .
«116» اغث : ز ك ، اغثت : م ، اغتث : س وهو غلط .
«117» والاصح : ز ك ، والاصل : م س .
«118» وقحارية : ز ك ، وقحاريه : س وهو غلط .

وهو مما يشتد فيه المشي ويشق ، فاستعمل لـكل مـا شق ، ومنه : وعثاء السفر ، أى شدته ومشقته .

وقولها ( ليس بلبد فيتوقل ) أى ليس بمستمسك فيسهل صعوده . يقال : لبد بالشيء يلبد لبودا ، اذا لزق بــه . ولبد الغيث الارض : أى الزق بعضها ببعض وجعلها لا تسوخ فيها الارجل . والتوقل : اسراع المشى ، قاله ابن الانبارى ، وقال غيره : هو الاسراع فى الصعود ، وقال ابن دريد (39) فى الجمهرة : توقل فى الجبل توقلا فهو متوقل ، وكل صاعد فى شيء «119» متوقل ، والاسم منه الوقل والوقل .

وقولها ( لاسهل فيرتقى ) أى يطلع اليـه ، تعنى الجبل ، لحزونته ووعـره .

( ولا سمين فينتقى ) تعنى اللحم ، أى ليس بسمين له نقى - أى مخ - فيخرج ، هذا نحو لفظ الهروى ، وفيه تجاوز (40) ، اذ ليس يستبين «120» منه المعنى ، وقريب منه قول أبى عبيد ويعقوب (41) . وبيان معنى ما وقع هاهنا أن يقال : ليس بسمين له نقى فيطلب لاجل نقيه ، فلذلك قال ( ينتقى ) أى

«119» شيء : س ، مشي : ز .
«120» يستبين : م س ، يتبين : ز ك .

(39) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، من ائمة اللغة والادب ، من كتبه « الجمهرة » و « الاشتقاق » و « المقصور والممدود » توفى سنة 321 هـ .
(40) لعل الاصوب ان يقال : « وفيه تجوز » بدلا من قوله « وفيه تجاوز »
(41) يعقوب : هو ابن السكيت ، وقد تقدم .

يطلب طيبه لاجل ما فيه من النقى ، لا أنه أراد استخراج نقيه — وهو مخه — ، وذلك ان الجمل اذا هزل فلا بد أن يبقى فيه «121» نقى عظامه . قال الخليل : النقى مخ العظام وشحم العين . قالوا : وآخر ما يبقى فى الجمل اذا هزل مخ السلامى ومخ العين ، فاذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شىء من خير ولا ينتفع به ، بدليل قوله :

لا يشتكين «122» عملا ما أنقين ما دام مخ فى سلامى أو عين

ومن رواه ( فينتقل ) أى ينتقله الناس الى بيوتهم فيأكلونه ، ولكنهم يزهدون فيه . قال أبو سعيد النيسابورى : ليس شىء أخبث غثاثة فى الانعام من الجمل ، لانه يجمع خبث الريح وخبث الطعم . يريد : فلذلك ضربت به المثل ( .. هزيلا ، وقولها « ولا لى عنده معول » أى رجاء منفعة ، وأصله من : عال الرجل عياله عولا ، أى : مانهم وكفاهم ، واصله من العول الذى هو الثقل . يقال : عول على ، أى : حملنى من ثقل شؤونك ما تشاء .

ومن رواه « ولا له عندى معول » : فاما أن يكون بمعنى الاول ويكون « له » بمعنى « عليه » ، أو يكون بضده ، اى : انه لا يشتغل بها ، ولا يلجأ الى شىء من امورها ، تهاونا بها ، وسوء عشرة لها ، وانها .. فيه ، لا يطمع فى نيل شىء من جهتها ، ولا يرجو تحملها شيئا من أموره ولا معونتها . ) «123»

---

«121» يبقى فيه : ك ، يبقى منه : ز ، ينتقى فيه : م ، ينتقى منه : س.
«122» لا يشتكين : ز ك ، لا تشتكين : م س .
«123» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

**معـــنــــاه :**

وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره – مع قلته – ، كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذى يزهد نيه فلا يطلب ، فكيف اذا كان فى رأس جبل صعب وعر ؟ أو قوز رمل دهس لا يمكن المشى فيه ولا ينال الا بمشقة ؟ والى هذا أشار القاسم بن سلام وغيره ، وذهب الامام أبو سليمان الى أن تمثيلها له بالجبل الوعر هاهنا اشارة الى سوء خلقه ، والذهاب بنفسه وترفيعها تيها وكبرا ، تريد انه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته ، فيجمع الى البخل سوء الخلق ، وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته له .

**عـــربـــيـــتــــه :**

قولها هذا ، اعلم انه يجوز فى « غـث » الرفع وصفا للحم ، والكسر وصفا للجمل ، وروى بالوجهين ، لان الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ، ومن رواه « لحم غث » فالرفع على ما تقدم ، والكسر على الاضافة بتقدير حذف « جمل » واقامة وصفه مقامه ، واما من رواه « قحر » فلا يجوز فيه الا الكسر ، لانه لا يكون الا وصفا للجمل .

وقولها « لا سهل فيرتقى » يجوز فيه ثلاثة اوجه – كلها مروية – : نصب لام « سهل » دون تنوين ، ورفعها ، وخفضها منونة ، واعربها عندى هاهنا الرفع فى الكلمتين ، ووجهه أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف ، تقديره : لا هو سهل ، أولا هذا سهل

ولا ذاك سمين ، أو لا الجبل سهل ولا اللحم سمين ، فتكون كل واحدة من الكلمتين خبرا لمبتدأ محذوف ، كما قال :

فأصبح اليوم لا معط ولا قار

أى لا هو معط ولا هو قار ، ويصح أن يكون « سهل » مبتدأ والخبر محذوف مقدر ، أى لا سهل فى هذا «124» مرتقى ، ولا سمين من هذا منتقى ، ومثله قوله تعالى « لا بيع فيه ولا خلة «125» » ، قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، وتكون « لا » هاهنا بمعنى ليس ، كما قال :

فأنا ابن قيس لا براح

وأما وجه نصب « سهل » فعلى اعمال « لا » وجعلها ناقصة محذوفة الخبر ، فتنتصب بها ، والتقدير : لا سهل فيه أو منه ، مثل قولهم : لا بأس ، ولا خوف ، ومنه قولهم : لا حول ولا قوة الا بالله .

وأما الخفض فعلى وجهين : على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة ، كقولهم سرت بلا زاد وعجبت من لا شىء ، فان « لا » ملغاة العمل زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، ومنه قوله تعالى : « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة «126» » وقوله « وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم «127» » ،

---

«124» فى هذا : ز س ، هذا : م .
«125» سورة البقرة ، الآية 254 .
«126» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«127» سورة الواقعة ، الآية 44 .

فـ « مقطوعة » و « ممنوعة » : نعت للفاكهـة ، و ( بـارد ) و ( كريم ) : نعت للظل ، ولكـن بتقديـر « لا » فى المعنـى والغائها فى العمل ، لانك لـو لـم تلغـهـا لعملـت عملهـا وحالت بين العامل فى النعت والمنعوت فكأنها فى التقدير ، ولو أبطلت أيضا حكمها فى المعنى لبطل المعنى وكان ما بعدها اثباتا من حيث كان نفيا ، فهى ملغاة فى العمل زائدة ، غير فاصلة بين العامل والمعمول فيه ، فكذلك قولها « لا سهل » « ولا سمين » .

وقد يكون له أيضا وجه آخر : وهو أن تقدر « لا » بمعنى غير ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها ، فاذا تقرر هـذا فى قولها « لاسهل » : فلك أن ترد قولها بعد ذلك « ولا سمين » على ذلك كله ، وتجريه على اعراب ما قبله من الوجوه الثلاثـة عطفا عليه ، وان شئت نونت « سميـنا » فى حـال النصب ، وان شئت قلت : « لا سهل ولا سمين » فأبقيـت الاول على حاله ورفعت الاخير على الوجهين اللذين ذكرناهما قبل فى رفـع الحرفين معا ، وان شئت قلت « لا سهل ولا سمـين » فرفعت الاول ونصبت الثانى ، كقوله تعالى « فلا رفـث ولا فسـوق ولا جدال فى الحج «128» » فى قراءة ابى عمرو ، وكقول أمية ابن أبى الصلت :

فلا لغـو ولا تأثيم فيهـا      وما فاهوا به أبدا «129» مقيم

«128» سـورة البقرة ، الآية 197 .
«129» ابدا : س ، لهم : زم .

## بيـــــــــــان :

ان قلت : ذكرت أن أعرب الوجوه عندك الرفع فى الحرفين ، وأصل « لا » العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها ، وقصاراك ان عطفت النكرات عليها مــع تكرارهــا أن تجــوز الرفع تجويز النصب ، فأما ترجيحه عليه فدعوى ، وكيف وقدوة الجماعة يقول · النصب أجود وأكثر من الرفع ؟ . فاعلم ــ وفقك الله ــ أنى اذا بينت لك قولى ورفعت مناره ، رأيت ترجيحــه وايثاره ، وذاك أنى لم أر ذلك من جهة مذهب النحاة وتقويــم الالفاظ ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الاغراض ، وترتيب الكلام ونظامه ، ورد اعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه ، وذلك أن هذه المرأة أودعت أول كلامها تشبيه شيئين من زوجهـــا بشيئين كما تقدم ، فشبهت باللحم الغث بخله وقلــة عرفــه ، وبالجبل الوعث شراسة خلقه وشموخ أنفه ، فلما أتمت كلامها جعلت تفسر ــ مستأنفة ــ كل واحــدة من الجملتين ، وتفصل ــ ناعتة ــ كل قسم من التشبيهين ، ففصلت الكلام وقسمته ، وأبانت الوجه الذى به علقت التشبــيه وشرحتــه ، فقــالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم الغث المزهود فيه ، لان الشىء المزهود فيه ربما أخذ اذا جاء عفوا وتنوول «130» اذا سهل مأخذه ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل فى طلبــه وانتقائه «131» مشقة صعود الجبل ومعانــاة وعــورته ، اذ

---

«130» تنوول : ز ، يتناول : ك ، تنول : م ، تناول : س .
«131» وانتقائه : س ، واقتفائه : م .

الشيء المرغوب فيه قد نتحمل المشاق دونه ، فاذا لم يكن هذا ولا ذاك ، واجتمع قلة الحرص عليه ، ومشقة الوصول اليه ، لم تطمح اليه همة طالب ، ولا امتدت نحوه أمنية راغب ، نكذلك زوجها قد أيس من خيره لهذين الوجهين . فقطع الكلام عند تمام التشبيه والتمثيل ، وابتداؤه بحكم التفسير والتفصيل ، أليق بنظم الكلام ، وأحسن من نفى التبرية «132» وسرد الصفة فى نمط البيان ، وأجلى فى رد الاعجاز على صدور هذه الاقسام ، وتأمل كتاب الله العزيز ، فان المنفيات فيه حيث ترددت معطوفة لشيء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة ، كقوله تعالى « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة » «133» و « كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » «134» و ( يوم لا بيع فيه ولا خلة ) «135» قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، و « لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » «136» ، وحيث وردت المنفيات فيه اصفات «137» أشياء أو لشيئين يختص كل واحد منها بوصف وقصد كل شيء منها بنفى عيب : ابتدأ الكلام «138» حينئذ مستأنفا فقال « بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون » «139» ، فقوله ( لا فيها غول ) من صفة

---

«132» التبرية : ز ك ، البترية : س .
«133» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«134» سورة الطور ، الآية 23 .
«135» سورة البقرة ، الآية 254 .
«136» سورة البقرة ، الآية 197 .
«137» لصفات : زم ، لصفة : س .
«138» ابتدا الكلام : ك ، ابتدىء الكلام : م ، ابتدا فى الكلام : س .
«139» سورة الصافات ، الآية 46 — 47 .

المشروب ، وقوله ( ولا هم عنها ينزفون ) من صفة الشاربين ، وهذا من الترتيب البديع ، والتناسب العجيب ، فانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول ، والثانى للثانى ، وهو من أبدع أنواع التأليف ، وأحسن أساليب الترصيف «140» ، ومثله قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

ـ لدى وكرها ـ العناب ، والحشف البالى

فأتى ( بالعناب ) أولا ( للقلوب الرطبة ) المذكورة أولا ، و ( بالحشف ) ثانيا ( لليابسة ) المذكورة ثانيا ، وقول بعضهم :

سل عنه ، وانطق به ، وانظر اليه ، تجد

ملء المسامع ، والافواه ، والمقل

فانه قابل بقوله ( ملء المسامع ) أولا فى الشطر الثانى قوله ( سل عنه ) أولا فى الشطر الاول ، وأتى ( بالافواه ) ثانيا فى الثانى مقابلا ( للنطق ) ثانيا فى الاول ، وأتى ( بالمقل ) ثالثا فى الثانى مقابلا ( للنظر ) ثالثا فى الاول ، ومثله :

قلبى وطرفى منك ، هذا فى حمى قيظ ، وهذا فى رياض ربيع

فانه حمل ( حمى القيظ ) الذى جاء به أولا فى العجز على ( القلب ) الذى جاء به أولا فى الصدر ، وحمل ( رياض الربيع ) الذى أتى به فى العجز آخرا على ( الطرف ) الذى أتى به فى الصدر آخرا ، فتناسب النظم على نسقه ، وتطارد الترتيب على جادة طلقه ، وكذلك جاء فى بعض روايات حديث أم زرع

---

«140» الترصيف : م ك ، التصريف : ز س وهو تصحيف .

بتقديم « لا سمين » لعوده على اللحم المقدم ، وتأخير « لا سهل » لعطفه على الجبل المؤخر ، وقد ترامى بنا القول هنا الى لمحة والماعة مما فى كلامها من أبواب البلاغة ، وهو فصل لم نر التطويل به هاهنا ، وسنذكره بعد مع أشباهه مما فى كلام صواحبها ان شاء الله تعالى .

**فـقـهـه :**

استدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ذكر السوء والعيب اذا ذكره أحد فيمن لا يعرف بعينه واسمه أنه ليس بغيبة ، وأن الغيبة أن تقصد معينا بما يكره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد حكى عن بعض هؤلاء النسوة ما ذكرنه من عيب أزواجهن ، ولا يحكى عن نفسه أو غيره صلى الله عليه وسلم الا ما يجوز ويباح ، وقال مثل ذلك أبو سليمان الخطابى ، ورأيت شيخنا الامام أبا عبد الله محمد بن على التميمى (42) لا يرتضى هذا القول ، وقال : انما كان يكون هذا حجة لو سمع النبى صلى الله عليه وسلم امرأة تغتاب زوجها ولا تسميه فأقرها عليه ، وأما هذه الحكاية عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن فليس بحجة فى جواز ذلك ، وحالهن كحال من قال : فى العالم من يسرق ويزنى ، فلا يكون غيبة ، قال : ولكن المسألة لو نزلت فوصفت المرأة زوجها بما

(42) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث ، من فقهاء المالكية ، له « المعلم بفوائد مسلم » و « الكشف والانباء » فى الرد على الاحياء للغزالى ، توفى سنة 536 هـ .

هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ، ولــو كان مجهولا لكان لا حرج فيه على رأى بعضهــم الذى قدمــنـــاه ،
قال : وللنظر فيه مجال .

### قـــال الفقيه القاضى أبو الفضل أعلى الله قدره :

وما قاله انشيخ رضى الله عنه فيه للنظر ـــ أيضا ـــ مجال عندى ، وتحقيق المسألة أن فائدة النهى عن الغيبة الحماية «141» عن أذى المؤمن ، فاذا ذكر المجهولين عنـــد القائـــل والسامـــع بالقبيح دون أن يذكر لهم اسم أو وصف عساهم أن يعرفهم به غيرهما ليس بغيبة ، لان مثل هذا لا يصل به أذى للمقول فيه ، اذ لا يتأذى الا بتعيينه اما عند القائل أو السامع أو من يبلغـــه الخبر . وهذا مثل قولك : فى العالم من يفسق ، وفى بنى آدم من يسرق ، فهذا لـــيـــس بغيبة ، وقد أشار الى نحو هذا الحارث «142» بن أسد المحاسبى (43) رحمه اللـــه ، قـــال : وقـــال ابراهيم (44) : لا يكون غيبة ما لم يسم صاحبها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحـــد شىء لم يصرح بـــه ،

---

«141» الحماية : ك ، حماية : ز م س .
«142» الحرث : ز ك ، الحديث : س ، والصواب : الحارث . ولفظ المحاسبي زيادة من نسخة : ز .

---

(43) هو ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى ، الزاهد المشهور ، من اكابر الصوفية ، كان عالما بالاصـــول والمعاملات ، واعظـــا مبكيا ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، من كتبه « الرعاية لحقوق الله » ، توفى سنة 243 هـ .
(44) لعل المراد : ابو اسحاق ابراهيم بن ادهـــم بن منصور التميمى البلخي ، زاهد مشهور فقيه ، توفى سنة 161 هـ .

وكان يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ وان عرفهم فليس بمغتاب لهم ، اذ نيته غير الغيبة والاذى ، بل التحذير والعظة ، ولو فعل ذلك انسان لمثل هذا لم يكن مغتابا ، اذا لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه ، وكذلك قوله فى هذا الحديث : « اجتمع احدى عشرة امرأة » ، فذكر نساء مجهولات الاعيان والاسماء ، مجهولات الازواج ، بائدات الزمان ، فما حكى عن بعضهن من قبيح ذكر أزواجهن ليس بغيبة ، نعم وان كان قد سمى فى بعض الطرق ــ كما ذكرنا ــ بعضهن ، فان أزواجهن غير مسمين ، ومع ان «143» تلك التسمية ــ لقدم «144» الزمان ــ لم تزد معرفة ، وأيضا فانه أخبر عن قوم من أهل الجاهلية : الله اعلم «145» هل كانوا على ديانة أو لا ؟ فلم يكن فيهم ــ ولو عرفوا ، ان كانوا على الجاهلية ــ غيبة . وأما متى كان المقول فيه معروفا عند القائل أو السامع فهو غيبة ، وكذلك لو لم يعرفاه ولكن بلغ أحدا من الناس أن فلانا الــ كذا أتى دناءة كذا أو تخلق من القبيح بكذا فحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الآخر اليه لكانا مغتابين ، لان ذلك المسمى لو بلغه ذلك أو سمعه لتأذى به ، الا أن يكون القائل يعرفه ولكن لم يفصح عنه

---

«143» ومع ان : كذا فى النسخ ، ولعل الاصوب : « مع ان » بدون واو .

«144» لقدم : ز ك ، لقديم : م س .

«145» الله اعلم : م س ، والله اعلم : ك .

«146» ، أو ذكر «147» عيبه لضرورة التحذير أو الوعظ كما تــقــدم .

## قال الفقيه القاضي أبو الفضل وفقه الله :

وقول شيخنا أبي عبد الله « وانما حكى عن نساء مجهولات غير حاضرات بنكر عليهن » غير سديد عندى ، فان الحجة انما هى فى حكاية النبى صلى الله عليــه وسلم عنهــن «148» أو الحكاية له عليهن ما حكى ، ولو حكى رجل عن غائبة أنها قالت فى زوجها كذا ونبزته بكذا لكان غيبة من الراوى والسامع له ، وانما الحجة من هذا الحديث حكايتــه صلى الله عليه وسلم عن المجهولات ، والمقول فيهم مجهولون عنــد جميــع السامعين ، والحمد لله رب العالمين .

**تنــبيــه** : كنت نويت أن أذكر ما فى كــلام كل «149» واحدة من هؤلاء النسوة من ابواب الفصاحة ، وأنبه على مــا فيه من فنون البلاغــة ، وابين مــا اشتمل عليــه من ابــواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة ، فان كلام هؤلاء النسوة من الكــلام العــالى الفصيــح ، الجامــع للفــظ المخــتــار والنــظــم المتــنــاســب المــلــيــح ، والمعنــى الــجــيــد البليغ الصحيح ، لكنى رأيت أن افراد الكلام عليــه عند شرح قول كل واحدة يطول ، لما يتوجه من التكرار والمداخلة فى بعض

---

«146» عنه : س ، به : ز م ك .
«147» او ذكر : ك ، وذكر : ز م س .
«148» عنهن : ز ، ـــ : م ك س .
«149» كلام كل : س ، كل كلام : ز .

الفصول ، فرأيت تأخير ذلك الى آخر الحديث اولى ، ليتـأتى الكلام عليه دفعة ويفيض سجلا ، جريا على مـا اشترطته من الاختصار ، وكرها لما بسطته من عذر الاكثـار ، والعـون من الله جـل اسمـه .

# غريب قول الثانية

لا أبث : لا أنشر وأذكر ، ومن رواه « انـث » فمن هذا .
يقال : « بث الحديث ونثه » : بمعنى ، الا أن النـون أكثـر
ما يستعمل فى الشر ، وهو بمعنى أنبىء فى الرواية الاخرى أى
أعلم ، قال أبو عبيد : والعجر تعقد العصب والعروق فى الجسد
حتى تراها ناتئة ، والبجر : مثلها ، الا أنهـا مختصة بالبطن .
وقال نحوه الاصمعى (45) ، وقال ابن الاعرابى (46) : العجرة
نفخة فى الظهر ، فاذا كانت فى السرة فهى بجرة ، ثم ينتقلان الى
الهموم والاحزان ، ونحوه عن ثعلب (47) والاصمعى ، قـال :

---

(45) هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الباهلي الاصمعي البصري اللغوي ، احد ائمة اللغة والغريب والاخبـار والملـح والنوادر ، صنف « غريب القـرآن » و « معـاني الشعـر » وغيرهما ، توفى سنة 216 هـ . او التى قبلهـا .

(46) هو ابو عبد الله محمد بن زياد ، المشهور بابن الاعرابى ، كان نحويا عالما باللغة والشعر ، راوية للاشعار ، حسن الحفظ لها ، له كتاب « النوادر » و « معاني الشعر » وغيرهما . توفى سنة 230 هـ .

(47) هو ابو العباس احمد بن يحيى بن يسـار ، المشهور بثعلـب ، امام الكوفيين فى النحو واللغـة ، صنف « غريـب القـرآن » و « معاني القرآن » و « اختلاف النحويين » وغيرهـا . تـوفى سـنـة 291 هـ .

ومنه قول على رضى الله عنه يوم الجمل : الى الله أشكو عجرى وبجرى . أى همومى وأحزانى ، وقال احمد بن عبيد (48) : العجر : فى البطن والجنب ، والبجر : فى السرة ، وقال الاصمعى : انها تستعمل فى المعايب أيضا ، قال الهروى : عجره وبجره : أى عيوبه ، وقاله ابن أبى أويس «150» وابن حبيب ، وقال ابن السكيت : أسراره ، وقال نحوه المبرد (49) ، وبه فسر قول على رضى الله عنه قال : أى ما أسر من أمرى ، وحكى نحوه عن الاصمعى قال عنه : وهو كلام سائر ، ومن أمثال العرب : لقى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره أى أسراره ، وقال أبو سعيد النيسابورى : انما عنت أن زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم .

**معناه :**

قولها « لا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره » : أى أترك حديثه ، والهاء عائدة على الخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقدر على تمامه ، والى هذا ذهب يعقوب ، ويعضد هذا ما ورد فى بعض زيادة بعضهم : « ولا أبلغ قدره » ، وفيه تأويل آخر ذكره احمد بن عبيد بن ناصح : أن الهاء

---

«150» ابن ابي اويس و : ز ، ـ : م ك س .

---

(48) هو ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح ، النحوي الكوفي الديلمي الاصل ، يعرف بأبي عصيدة ، صنف « عيون الاخبار والاشعار » و « المقصور والممدود » وغيرهما ، توفي سنة 278 هـ .

(49) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري ، المشهور بالمبرد ، امام العربية ببغداد في زمانه ، له من التصانيف « معاني القرآن » و « الكامل » وغير ذلك ، توفي سنة 285 هـ .

عائدة على الزوج ، وكأنها خشيت فراقــه ان ذكرتــه وكرهت ذلك ، وتكون « لا » هاهنا ــ على قوله ــ زائدة ، كما قـــال تعالى ( ما منعك أن لا تسجد «151» ) وشبهه ، فيكون «أذره» على هذا التأويل : افارقــه ، ويحتمل على رجــوع الهــاء الى الزوج تأويلا آخر : أى انــى ان أخبــرت بشىء من عيوبــه ونقائصه افضى الى ذكر شىء آخر اقبح منه ، وقــد عاهدت صواحبها على أن لا تكتم شيئا من صفاته عنهن ، فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهــن . وذهبت الى ستــر عيــوب زوجهــا لكثرتها ، ولم تر أن تذكر بعضا دون بعض ، وانها ان ذكرت شيئا تسبب «152» ذكر شىء آخر ، فرأت الامساك أولى ، ويدل على هذا ما وقع فى بعض طرقه : أخاف أن لا اذره مــن سوء . ومعنى قولها « ان أذكره أذكر عجــره وبجــره » فعلى مذهــب ابن الاعــرابى وثعــلــب والاصمــعــى : أى انــى ان ذكرته ذكرت همومى وأحزانى به ، وعلى مذهب الاصمعى الاخر والهروى والنيسابورى : ان ذكرتــه ذكــرت معايبــه وقبائحه ، وعلى مذهب ابن السكيت : ذكرت أسراره ، وبعضها قريب من بعض ، قال الخطابــى : أرادت عيوبــه الباطنــة ، وأسراره الكامنــة .

**قــال الفقيــه القاضى رضى الله عنه :**

وأرى ــ والله أعلم ــ أنه كان مستــور الظاهــر ، ردىء

---

«151» سورة الاعراف ، الآية 12 .

«152» تسبب : م س ، سبب : ز ، يسبب : ك .

الباطن ، فلم ترد هتك ستره ، وانها ان تكلمت بما قـد عاقدت عليه صواحبها كشفت من قبائحه ما استتر ، وابدت من سـوء حالها وعظم همها به ما ــ قبل ــ لم يظهر ، ولكنها وان لوحت وما صرحت ، واجملت وما شرحت ، فقـد بثـت وان قالـت لا أبث ، اذ لا بد للمصدور أن ينفث ، وهذا كما قال :

ولولا أن يقال صبـا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

ففى ضمن الصريح أنه لم يقل ، وفى نص الصريح أنه قد قال . ولكن هذه اكتفت بالايماء والاجمال فى الخبر عنه ، ولم تهتـك حجاب الصون عن عورات ما عرفت منه .

# غريب قول الثالثة

قولها « زوجى العشنق » فالعشنق الطويل ، قاله أبو عبيد وغيره من الشارحين ، وخطأه فى ذلك عبد الملك بن حبيب ، وقال : العشنق : المقدام على ما يريد الشرس فى أموره ، بدليل بقية وصفها له ، وقال أبو سعيد النيسابورى قولا يجمع التفسيرين قال : العشنق : الطويل النحيف ، الذى ليس أمره الى امرأته ، وأمرها اليه ، فهو يحكم فيها بما يشاء ، وهى تخافه ، وقال أبو منصور الثعالبى : العشنق والعشنط : المذموم الطول ، قال غيره : ومثله القاق والقوق «153» ، وهذا يقرب من قول النيسابورى ، وقال صاحب العين : العشنق : الطويل العنق ، وقال ابن أبى أويس : العشنق : الصقر من الرجال ، المقدام الجرىء ، قال : ويقال للطويل من الرجال العشنق ، وحكى ابن الانبارى عنه أنه : الطويل الجرىء والقصير ، قال أبو بكر : فكأنه جعله من الأضداد ، والمشهور أنه الطويل .

**تنبيه :**

قال القاضى : الذى قرأناه فى حديث ابن أبى اويس :

«153» القاق والقوق : ز ك ، الفاق والفوق : م س وهو غلط .

الصقر ، كما ذكرناه ، ولم يذكر ـ فيما رأيت ـ احد من أهـل اللغة العشنق فى القصـار ، ولعلـه تصحيف من آبـى بكـر ، والله أعـلـم .

وقولها : « اعلق » أى يتركنى معلقة ، كمن لا زوج لهـا ، ولا هى ايم : قال الله تعالى : ( فتذروها كالمعلقة ) «154» ، و « السنان » الرمح و « المذلق » المحدد ، أى انها معه على مثل سنان محدد ، وذلق كل شىء حده ، ومنـه قولهم : لسـان ذلق ، أى حديد فصيح ، أرادت انها لا تجـد معـه قـرارا ، وانها معه على حذر ، كمن هو على طرف السنان ، أو أنه هـو لهوجه لا يستقر على حالة .

معـنـــاه :

وصفها له بالطول على رأى ابى عبيد : تريد مدحه بذلك ، لان العرب تمدح الرجال والسادة بطـول القامـة ، وفخامـة الظاهر ، ومنه قول الاخرى : طويل النجاد ، وقال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنمـا عمامتـه بين الرجال لـواء

وقـال آخـــر :

خدف يضيـق اسرج عنه كأنما يمد ركابيه من الطول مانح

---

«154» سورة النساء ، الآية 129 .

وقـــال غـــيـــــره :

بطل كأن ثيابه فى سرحـــة  يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول كان ثيابه من طوله على سرحـــة ، أى شجـــرة عظيمـــة طويلة ، لكمال خلقه ، وانه ولد وحده ، غير توأم لولد آخـــــر زاحمه فى الرحم فاضعفه ونقص خلقه . ومنـــه قـــول الشعبى : لولا انى زوحمت فى الرحم ما قامت لاحد معى قائمة ، واقتصارها من صفاته على الطول وحده : قال الاصمعى : أرادت بذلك أى ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع ، فان ذكرت ما فيه من المعايب طلقنى ، وان سكت تركنى معلقة : لا ايمـــا ، ولا ذات بعـــل ، تعنى ينتفع به منفعة البعولة ، ولست مطلقة فاستريح واتفرغ لغيره من البعولة وأيأس منه ، ولا أحسن صحبتى فاغتبط به ، فأنا كالشىء المعلق بين العلو والسفل ، غير المستقر فى احدهما ، وقيل : يحتمل قولها أن يكون من علاقة الحب ، ولذلـــك كانـــت تكره أن تنطق لئلا يفارقها وان سكتت لقيت بعلاقها ولم يهتبل بها ، ولا وصلها فشفى غليل صدرها ، قال أبو بكر الانبارى : أرادت أن زوجى له منظر بلا خبـــر . وعلى المذهب الآخـــر : فمقتضى جميع ما وصفته به سوء الخلـــق والعشـــرة ، وانهـــا لا تأمن أذاه وضره ، وانه مع هذا مذمـــوم المرأى والخلقـــة ، وانها على حذر من صحبته ، غير مطمئنة النفس ، ولا مستقرة الجأش معه ، متوقعة أذاه أو فراقه ، فهى معه كمن هو على حد السنان من المخافة والحـــذار «155» ، وعـــدم الطمأنـــيـــنة

---

«155»  والحذار : ز م ك ، والحذر : س .

والاستقرار ، والعرب تقول لمن يكون على حذار «156» وغير استقرار : كأنه على مثل سن الرمح ، ومثل حد السيف ، ومثل قرن الظبى ، قال امرؤ القيس :

كأنـــى واصحـــابى على قـــرن اعفـــرا

وقد أبان هذه العلة أبو العلاء ابن «157» سليمان بقوله :

كأننـــى فـــوق قرن الظبى من حـــذر

---

«156» حذار : م س ، حذر : ز ك . والحذار المحاذرة .

«157» ابن : م ك ، ـــ : ز س .

# غريب قول الرابعة

« زوجى كليل تهامة » : القر : البرد ، والسآمة : الملال ، والوخامة : الثقل ، يقال رجل وخيم : أى ثقيل ، وطعام وخيم : ثقيل غير مستمرىء ، ومرعى وخيم : لا تنجع عليه الماشية .

**عـربـيـتـه :**

يجرى فى قولها « لا حر ولا قـر ولا مخافة ولا سآمـة » ما تقدم من الوجوه فى قـول الاخرى « لا سهـل ولا سمين » ، ولكن كلام هذه أجلى فى بعض الوجوه من الكسـر على الصفـة لتكرر الاوصاف ولكونها كلها أوصافا لشىء واحد ، وسيـبويه يستقبحه اذا لم تتكرر الاوصاف ، ومن العطـف على الموضـع اذا نصبـت أولا ورفعـت آخـرا لكونـها جملـة واحـدة واشتراكهما (158) فى الخبر كما قال تعالى ( لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) «159» وكما قال :

لا أم لـى ان كـان ذاك ولا أب

---

«158» واشتراكهما : س ، واشتراكها : ز .
«159» سورة البقرة ، الآية 254 .

معنـــــاه :

وصفته بحسن صحبتها ، وجميل عشرتها ، واعتدال حاله ، وسلامة باطنه ، وثقتها به ، وضربت المثل بليل تهامة لان تهامة من بلاد الحجاز ــ مكة وما والاها ــ بلاد حارة راكدة الريح ، وبهذا سميت تهامـة . قـال الاصمعى : العـرب تقـول اذا انحدرت من ثنايا ذات عـرق فقـد اتهمـت الـى البحـر ، واذا تصوبـت مـن ثنـايـا العـرج فقـد استـقبلـت الاراك والمرخ وشجر تهامـة واتهمـت ، قـال الاصمعـى : والتـهـمـة · الارض المتصـوبـة الـى البحـر ، قـال ابن دريد : التهم : الحر ، وركود الريح ، وبه سميت تهامـة ، وأنشـد غيــره :

نجد برد نجد بعد ما لعبت بنا     تهامة فى حمائها «160» المتوقد

وقال الحسن الهمدانى : تهامة : ما استطال من جزيرة العـرب بين بحرها «161» الغربى والسراة وكانت فيه طمأنينة وحرارة .

## قـال الـقـاضى :

فليلها لا قر فيه ، أى ليس فيه ريـاح بـاردة شديـدة ، ولا حر ، لان برد الليـل على كل حال «162» يطفيـه ويكسر سورته ، فهى معتدلة ، وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيـب

---

«160» حمائها : س ، حمامها : ز .
«161» بين بحرها : س ، من نجدها : ز .
«162» حال : س ، حالة : ز .

الليل والاصائل والظلال ، وقد أكثر فى ذلك شعراؤهم ومنـــــه قـــول بعضهـــم :

ألــم تعلما أن المصلى مكانه  وأن العقيق ذا الظلال وذا البرد
وان بها لـــو تعلمان أصائــــلا  وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

تقول : لا أذى عنده ولا مكروه ، كمثل هذه الليـــلة التى ليـــس فيها حر ولا برد ولا ريح ، لان فى الريح والحـــر والبـــرد أذى اذا اشتد ، وتقول : لا عنده غائلة ولا شر فأخافه ، ولا يسأمنى ولا يستـــثـــقلنى فيمل صحبتى ، ويكـــون هذا معنى قولهـــا : « ولا وخامة » ، أو يرجع قولها « ولا وخامة » الى صفة ليـــل تهامة ، لان بلاد تهامة واشراف بلاد الحجاز ونجـــد صحيحـــة الهواء ، غير وخمة ، ولا وبيئة ، وقد يكون قولها « ولا وخامة » أى انه ــ تعنى زوجها ــ ليس فيه ثقل ولا فدامة ، بـــل هـــو حلو الشمائل ، خفيـــف على المصاحب ، مستـــلان الجانـــب ، وقولها فى الرواية الاخرى : « ولا يخاف خافـــه ولا أمامـــه » ، قال ابن الانبارى «163» تريد أن باد تهامة لا يخاف أهله من أمامهم ولا من خافهم ، لتحصن أهله بالجبال . ويحتمل عندى أن ترد « خافه » و « أمامه » على زوجهـــا ، أى انـــه مأمـــون ، لا تخشى مضرته «164» من جهة من جهاتـــه ، كما قالـــت : « ولا مخافة » ، أو تخبر أنه حام لذماره ، مانـــع لحوزة داره وجاره ، ثم وصفته بالكرم والسخاء بقولهـــا « والغيث غيـــث غمامة » أى ان جوده ينهل ، ويحيى به الانام ، كغيث الغمام .

---

«163» الانباري : س ، الاعرابي : ز .
«164» مضرته : س ، ان تاتي مضرة : ز .

# غريب قول الخامسة

« زوجي ان دخل فهـد » ، قال ابن الانبارى : أى نـام وغفل فصار كالفهد ، لكثرة نومه ، يقال : أنوم من فهد . قال أبو عبيد : تصفه بكثرة النوم والغفلـة ، على وجـه المدح لـه ، وقولها « ان خرج أسد » تمدحه بالشجاعة . أى صار كالاسد ، يقال : أسد الرجل واستأسد اذا «165» صار كذلك ، وقولهـا « عما عهد » أى رأى فى البيت وعرف ، قال ابو عبيد : لا يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت الى معايب البيت وما فيه ، فكأنه ساه عن ذلك ، وقوله «166» هذا يقتضى تفسيرين لـ «عهد» ، احدهما : عهد قبل ، فهو يرجع الى تفقد المال ، والثانى عهـد الآن ، فهو بمعنى الاغضاء عن المعايب والاحتمـال «167» ، وقال ابن أبى اويس : تقول ان دخل وثب على وثوب الفهـد ، وان خرج كان كالاسد على الناس «168» جـرأة واقدامـا ، فقوله «169» « وثب على » يحتمل أن تريد به البطش بهـا ، والضرب لها ، أو تريد به المبادرة الى جماعها ، وكثرة الحظ من استمتاعها ، أو سوء «170» تناوله ذلك دون ملاعبتها «171»

---

«165» اذا : س ، اي : ز .
«166» وقوله : س ، وقولها : ز وهو غلط لان المراد قول ابي عبيد .
«167» الاحتمال : م س ، الاختلال : ز ك .
«168» على الناس : ز ، — : م ك س .
«169» « فقوله » : كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : فقولها .
«170» او سوء : م س ، وسوء : ز ك .
«171» ملاعبتها : ز م س ، مداعبتها : ك .

وتقديم الايناس قبل الابساس بمواقعتها . قال ابن حبيب : وصفته بأنه فى اللين «172» والدعة والغفلة عندها كالفهد ، واذا «173» خرج كان كالاسد فى شجاعته ، ولم تـرد النـوم كمـا قـال شارح العراقيين ، قال : وقد ورد للنبى «174» صلى الله عليه وسلم مثل هذا فى وصف على وذم من كان بخلافه ، فروى عنه أنه صلى الله عليـه وسلم قـال : « ان الله يبغـض الـذواق المطلاق ، الذى أراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقـد ، وهو عند أهله كالاسـد ، وكـان خارجـا كالثعلـب ، لكـن علـى لفاطمة يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد » (50) .

«172» فى اللين : ز ك ، من اللين : م س .
«173» واذا : م س ، فاذا : ز ك .
«174» للنبي : ز م ك ، عن النبي : س .

(50) اورد الحافظ السخاوي فى « المقاصد الحسنة » حديث : « ان الله يكـره الرجل المطلاق الذواق » برقـم 248 ، وقـال انـه لا يعرفه ، وكذلك لم يعرفه الحافظ العجلوني ، واورد السخاوي حديث : « ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » برقم 10 ، وقال : رواه ابو داود والحاكم ، واورد حديـث : « لا احـب الذواقين من الرجال ، ولا الذواقات من النساء » برقم 1281 ، وقال : رواه الطبراني عن ابى موسى مرفوعـا ، والديلـمي والدارقطني عن ابي هريرة ، اما النـص الذي اورده القاضـي عياض وفيه « .. الذي اراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقد ،،،» فغـير معـروف .
لكن وردت صفة التغافل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقـد روى الترمذي فى الشمائل عن سيدنا علي رضي الله عنه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتغافل عما لا يشتهي » . ( شرح جسوس 2 : 184 ) .

**قال القاضي أيده الله :**

والاولى أن يكون ذكر « فهد » هاهنـــا «175» على معنى الاستعارة ، جعلت كثرة تغافله كالنوم والله أعلم ، لا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره ، وهذه كلها خلق مدح «176» وهي راجعة الى ما أشار اليه أبو عبيد ، ومما يبيـــنه قولهـا « ولا يسأل عما عهد » ، وكثيرا ما وصفت العـرب الكرمـاء والســادة بالتغافــل والحيــاء في بيوتــهـا وأنــديــتهـا ، قالت ليلـــى الاخيليـــة :

تخالـــه وسط البيوت من الحياء سقيما

وقـــال الآخـــــر :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقـــال آخـــــر :

كريم يغض الطرف دون حيائـــه

ويدنـــو وأطراف الرماح دوائر «177»

وأما كثرة النوم فمذموم ، وقلته محمودة ، دالـــة على اليقظـــة والذكاء ، قال الهذلـــي :

فاتت به حوش الفؤاد مبطنـــا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

---

«175» هاهنا : س ، هذا : ز م ك .
«176» مدح : س ، تمدح : ز .
«177» دوائر : م س ، دوان : ز ك .

وقـــال الآخـــر :

وأفضل أبنـــاء الرجـــال المسهد

وقال عبد الملك بن مروان لمعلم بنيه : علمهم العـــوم ، وخذهم بقـــلة النـــوم .

**قـــال الفقيـــه القاضى رضى الله عنه :**

وقد يظهر لى فيه وجه آخر مع صحة ما ذكروه ، وبيانه : وذلك أنهم بنوا قولها « فهد » على الاشتقاق من خلق الفهد والمثل المضروب به فى النوم ، وفى الفهد أيضا مثل آخر ذكره أصحاب الامثال كما ذكروا الاول وهو قولهم : اكسب من فهد ، قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهانى فى شرح الامثـــال : وذلك ان الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد تجتمع على فهـــد فتـــى فيصيد عليها كل يوم شبعها . قلت : فلا يمتنع أن يكون قولهـــا « اذا دخل فهد » أى اذا جاء المنزل جـــاءه «178» بالكســـب والخير والفوائد ، كما يفعل الفهد فى كسبه ، ولا فرق بين هذا فى التأويل وبين الاول ، اذ كل واحـــد انمـــا اشتـــق من خلـــق الفهد ، وكانت العرب تتمادح بالكسب والاستفادة ، وفى حديث ابى بكر : انـــك تكسب المعدوم ، ومثله فى وصف ورقـــة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا أحد التأويلين فى هذيـــن الحديثين .

وقال المساور بن هند من أناشيد ابى تمام :

تجـــرد «179» فيها متلف المال كاسبه

---

«178» جاءه : س ، جاء : ز .

«179» تجرد : ز م س ، تجود : ك .

فلا يبعد هذا التأويل عندى ، وان كان الاول أظهر واليق بالكلام ، لمطابقة لفظه ومعناه قولها « واذا «180» خرج أسد » ، كما سنبينه عند الكلام على ما فيه من البلاغة وأبواب الفصاحة ان شاء الله ، كما أن أيضا قولها : « ولا يسأل عما عهد » من معنى « اذا دخل فهد » على التأويل الاول ، وفيه مطابقة ومماثلة لتأويل الثانى ؛ فحمل كل فقرة على معنى مفرد ، أولى بالكلام الفصيح وأسعد .

عربيته :

قولها « فهد » : فعل مشتق من اسم «181» الفهد لاتصافه بوصفه كما ذكرنا ، مثل قولها « أسد » فعل مشتق من الاسد أيضا كذلك ، وكثيرا ما أتت افعال «182» التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل ، وقد يحتمل أن يقال ان فهد هاهنا اسم ويكون خبرا امبتدأ مضمر أى فهو فهد ، كما قال عليه السلام : « الحمو الموت (51) » ، وكما تقول : زيد الاسد ، أى مثل الاسد ، ويكون كسر الهاء هاهنا كما قالوا فخذ وفخذ ، أو لمناسبة قولها فى السجع الآخر ، وهو

«180» قولها واذا : ز ، وقولها اذا : س ، والصواب الاول .
«181» اسم : ز ، ـــ : م ك س .
«182» افعال : ز ك ، ـــ : م س .

(51) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرايت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » . ( مسند الامام احمد 4 : 149 ، 153 ) . ورواه الترمذي في الرضاع والدارمي فى الاستئذان .

باب من الاتباع يتقدم لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ، ومنه قوله عليه السلام : « ارجعن مأزورات غير مأجورات (52) » وحقه موزورات ، ولكنه حمله على لفـظ « مأجورات » لتحسين الكلام ، وللعرب فى هذا الباب مذهب معلوم ، ويعضـد هـذا التأويل انه قد روى ففهد وفأسد ، وقد يحتمل أن تكون هاتان اللفظتان اسما للفاعل من فهد وأسد ، فكثيرا ما جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كحرج وخجل ووجل وعم وشرق وبرق وفرق ، فى أمثلة كثيرة ، لكن حمل ذلك على فعلين وحذف الفاءين أفصح ، وتقابلهما اسهل للكلام وأسمح .

**معـنـاه :**

وصفته بأنه كريم الطبع ، نـزه «183» الهمـة ، حسـن العشرة ، لين الجانب فى بيته ، ليس يتفقد ما ذهب من مالـه ، ولا يلتفت الى جانب البيت ، ولا يطلب ما فقد منه وعهد فيه من طعام أو مأكول وشبهه ، ولا يسأل عنه لسخاوة نفسه ، وسعة قلبه ، فكأنه ساه أو نائم أو غافـل عن ذلك ، فشبهته بالفهـد لذلك ، وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق ، وقد قيل : العاقل : الفطن المتغافل ، وبينت ذلك بقولها : يأكل ما وجـد ، فعرفت أنه نزيه «184» الهمة ، قنوع النفس ، ليس ببرم ولا لعموظ ، (53) ، ثم أكدت ذلك كله من أوصافه بقولها : ولا يرفـع اليوم

---

«183» نزه : ز م س ، نزيه : ك ، وكلاهما سواء .

«184» نزيه : س ، نزه : ز م .

---

(52) رواه ابن ماجه فى كتاب الجنائز .

(53) رجل لعمظ ولعموظ اي حريص شهوان ، واللعموظ : المتطفل ، والنهم : الشره ، والذى يخدم بطعام بطنه . ( من لسان العرب ) .

لغد ، أى انه ممن لا يعد الزاد ويدخره ، بل يفنـــيه من يومه ، ويجود به لحينه ، ويوسع عيشة من معه فى جميعه ، وقد كانت هذه خاق نبينا صلى الله عايه وسلم وأشراف العرب ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خلافها ، فروى عنه أنس : انـــه كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد ، حدثناه القاضى «185» أبو على الحسين بن محمد الصوفى ، قال : حدثنـــا الامام أبـــو القاسم البلخى يعرف بابن شافور ، قال حدثنا القاضى أبو على الوخشى وغيره ، قالوا حدثنا أبـــو القاسم الخـــزاعى حدثنـــا الهيثم بن كلاب «186» الشاشى حدثنا أبـــو عيسى الترمـــذى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس وروى عنه أن خادما له خبأ له شيئا من طعامه فأتـــاه بـــه من الغد ، فقال له : « ألم أنهك عن هذا ؟ ان الله يأتى برزق غد » (54) ، وقد تقدم حديثه فى ذكر على ، وقد قال النابغة فى هذا الـــمـــعـــنـــى :

ولست بخابىء أبدا طعامى حذار غـــد ، لكل غد طعام

**تـــنـــبـــيـــــه :**

ان قيل : كيف يصح ما تأولته من هذه الاحاديث ان خلـــق

«185» القاضي : س ، قاضي القضاة : ز .
«186» كلاب : س ، كليب : م .

(54) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : اهديـــت لرسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر ، فأطعم خادمه طائرا ، فلمـــا كان من الغد اتته به ، فقال لها رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم : « الم انهك ان ترفعى شيئا ؟ فان الله عـــز وجـــل يأتى برزق كل غد » . ( مسند الامام احمد 3 : 198 ) .

نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها : « ولا يسأل عما عهد » على التفسير الذى ذكرته ؟ وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وقد أتى بادم من ادم البيت فقال : « ألم أر برمة فيها لحم ؟ » فقيل لحم تصدق به على بريرة ، فقال : « هو عليها صدقة ، ولنا هدية (55) » ؟ فالجواب أن ما تأولته ظاهر بين من الاحاديث المذكورة ، ونص بلفظه فى حديث على كما قدمناه ، أما قصة بريرة فايس من هذا ، فان السؤال عما عهد قبل والاستقصاء عنه والمناقشة فى حيث «187» ذهب هو المذموم ، وأما استدعاؤه «188» الشىء الحاضر العتيد كلحم بريرة فليس من هذا ، فكيف وقد يمكن أن يكون سؤاله عن لحم بريرة واستدعاؤه ليبين لهم هذه السنة التى هى احدى سنن الحديث ؟، وفهم عنهم صلى الله عليه وسلم اذ قدموا له «189» ادم البيت وتركوا سيد الادام «190» اللحم ، وهو حاضر ، انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم عاما فى مثل هذا ، ودل أن هذا قصدهم احتجاجهم عليه بأنه صدقة ، فبين لهم صلى الله عليه وسلم سنته لذلك . وقد يحتمل أن يكون قولها « ولا يرفع اليوم لغد » كناية عن الحزامة والاخذ بالجد فى أمره ، وترك التوانى فيما يهم به ، ووصفته على التأويل الآخر

---

«187» حيث : س ، خبء ما : ز .
«188» استدعاؤه : س ، استدعاء : ز م .
«189» له : ز ك ، اليه : م ، ـ : س .
«190» الادام : س ، الادم : ز م .

---

(55) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والامام احمد . وفى صحيح مسلم فى كتاب الزكاة انه لحم بقر .

بالاكتساب والاستفادة والوفر والتوسعة على أهل منزله ، ثم وصفته أيضا بالشجاعة اذا خرج للناس وباشر الحرب فكأنه الاسد الذى يخافه كل سبع ، وبقولها « اذا خرج اسد » ، ثم مدحها له بقولها « اذا دخل فهد » على التأويل المشهور ، اذ قد كان يظن أن ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة مهانة وفسولة ، ولكن لما أبانت أنه خارجا بخلاف هذه الصفة بان أن ذلك منه سجية كرم وشمائل نزاهة همة وحسن عشرة .

وأما رواية من رواه « اذا خرج فهد واذا دخل أسد » فهو وهم بخلاف سائر الروايات المشهورة الصحيحة ، لذلك وانقلاب المعنى الذى فسره به من تقدم ، الا أنه قد يظهر لى فيه وجه ، وهو أن يكون معنى « اذا خرج فهد » تصفه فى الندى بالرزانة والسمت والحياء والحلم والاغضاء تشبيها بالفهد ، وذلك أنه حيوان ثقيل كثير النوم ، على أنه سريع الوثب ، موصوف بالحياء ، وقلة الشره ، أو أنها وصفته اذا خرج بالكسب والنجعة كما قدمناه فى صفة «191» الفهد ، ويكون تأويل « واذا دخل أسد » أن تكون وصفته بالكرم فى بيته وبين أقاربه ، والتفضل والمواساة ، فالاسد يوصف بذلك ، وقالوا فى المثل : أكرم من أسد ، وذكر أصحاب الحيوان أن الاسد اذا افترس أكل بعض فريسته وترك لمن

«191» صفة : ز س ، صفات : م .

يجتمع حوله من الوحوش باقيها «192» ، ولم يهاوشهم «193» عليها ، ولا دافعهم عنها ، وانه قل ما يعرض لصبى ولا لامــرأة ولا نائم ، كرم «194» طباع ، ونزاهة نفس ، فتقول على هذه الــروايــة : انــه داخـــلا كالاســـد كـــرم اخـــلاق ونزاهة نفس ، وانه خارجا كالفهد تغافلا واغضاء وسمتا وحياء وجمعا للمال وكسبا ، وهذه مادحة زوجها على رأى الجماعــة ، وهو ظاهر مذهب عروة بن الزبير فى سرد الذامات بجهة ، وقد حمل ابن الانبارى بعض تفسير ابن أبــى اويــس على الــذم وبعضه على المدح ، وهو محتمل أن يكون مدحا كله أو ذما كله أو منقسما بينهما ، فان تفسيره « فهد » بوثوبه وثوب الفهــد عليها محتمل كما ذكرناه ، وتفسيره « أســد » بالجــرأة على الـنــاس والاقــدام مـحــتـمل للـمــدح والــثــنــاء ان أرادت به الدفاع وحضره «195» الهيجاء ، ومقتض للــذم ان كانـــت أرادت بـــه العـــداء والظلـــم «196» وان كـــان مـــن العرب من يمدح أيضا بهذا الوصف اذ هو دليـــل عـــزة الجانب وعـــــدم الخـــــوف .

---

«192» باقيها : س ، والبهائم : ز ، ـــ : م ك .
«193» يهاوشهم : م س ، يهـــارشهم : ز ك ، والمعنـــى لم يقاتلهـــم وينـــازعهـــم .
«194» كرم : ز م س ، فى كرم : ك .
«195» وحضره : ز ، وحضرة : س .
«196» العداء والظلم : ز ، الظلم : س .

# غريب قول السادسة

قولها « اذا أكل لسف » ، اللف فى الاكــل الاكثـــار منه ، والتخليط من صنوفه ، واستقصاؤه حتى لا يبقى منـــه شيء «197» ، ومن روى « رف » فمعناه الاكثار من الاكل ، حكاه الهروى ، ويقال منه رف يرف ، ومن روى « اقتـــف » فمعنـــاه قريب من هذا ، قال صاحب العين : القفان الجماعة ، وقفان كل شيء جماعه واستقصاؤه .

**قال الفقيه القاضى أدام الله عــزه :**

ومن هذا سميت القفة ، لجمعها ما جعل فيها وضمه ، قال صاحب الجمهرة : القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزاهــا وشبهـــه ، ومنه ــ والله أعلم ــ سمى القفاف الذى يسرق بكفه ، لانه يجمـــع ويضم ، قال الشاعر :

فــقــف بكــفــه سبعـــين منـــهـــا

« والاشتفاف » فى الشرب استقصاء ما فى الاناء ، مأخوذ من الشفافة وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربهـــا صاحبهـــا قيل اشتفها ، ومن رواه « استف » بالسين المهملة فمعناه قريب من الاول فى الاســتــقــصـــاء والاكثـــار . وقــولــهـــا « واذا

---

«197» شيء : س ، شيئا : ز .

اضطجع التف » تعنى رقد ناحية ولم يباشرها ، ويروى رقد وهجع ، وهما بمعنى واحد ، وقولها « يولج الكف » : أى يدخل يده « ليعلم البث » الحزن ، أى فيعلم ما أهتم به ويحزننى أمره ، وسنبين معناه بعد ، قال ثابت : والبث أيضا الامر الذى لا يصبر عليه ، والبث الشكوى ، قال الله تعالى ( انما أشكو بثى وحزنى الى الله «198» ) وفيه لغتان : بثثت وأبثثت ، ومنه قول بعض العربيات لقد ابثثتك مكتومى وأطعمتك مادومى ، أى أخبرتك بسرى ، ومن رواه « اللبث » فمعناه ان لم يكن وهما الاقامة وانصبر عليه ، وقولها « واذا ذبح اغتث » فمعناه عندى : اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من نعمه ، وقد فسرنا أن الغث الهزيل .

**معناه :**

هذه امرأة ذمت زوجها فوصفته أولا باللؤم والبخل والبرم والنهامة والجرازة ، وسوء المعاشرة والمرافقة ، وأنه لا يبقى فيما يأكل ويشرب ولا يذر ، ويجمع كل ما يجده من ذلك ويحطمه ، وليس هذا من مكارم الاخلاق ، والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب ، وتمدح بقلتهما ، قال الشاعر :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها     من الشواء ويروى شربه الغمر

وقال :

لا يأترى لما فى القدر يرقبه     ولا تراه أمام القوم يقتفر

---

«198» سورة يوسف ، الآية 86 .

وقال آخر يهجو بضده :

ألستم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وفى صفة نبـينا عليه السلام أنه كان يجتزىء بالعلقـة (56) ، قـال الشاعـر :

واجتـزى من كفـاف القـوت بالعلـق

العلقة البلغة ، وقد قيل : لكل كريم فضله ، وقيـل :

وللارض من كـأس الكـرام نصيـب

ويروى عن جرير بن عبد الله أنه قال لبنيه : يا بنى اذا شربتم فأسئـروا ، أى اتركـوا فى الانـاء سـؤرا ، وهـو بقيـة الشراب . وفى حديث آخر : فانه أجمل . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر » ، وفى المثل : ليس الرى عن «199» التشاف ، ثم أكدت وصفه باللؤم بأنه اذا نزل الاضياف به «200» واضطر للذبح «201» لهم عدل عن خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديئه ومـا لا خير فيه . وهو قولها : « اذا ذبح اغتث » ، وهذه «202» نهاية فى

---

«199» عن : م ك ، فى : س .
«200» الاضياف به : س ، به الاضياف : ز م .
«201» للذبح : س ، الى الذبح : ز م .
«202» وهذه : س ، وهذا : ز م .

---

(56) روى البخارى ومسلم واحمد عن عائشة رضى الله عنها حديث الافك ، وفيه قولها : وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلـن ، ولم يغشهن اللحم ، وانما يأكلن العلقة من الطعام .

اللؤم ، وكانت عادة أجواد العرب ضد هذا من اختيار جياد المال للاضياف كما قال بعضهم :

فاعضضته الطولى سناما ، وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير

وقال آخر أيضا :

تشقى به كل مرباع مودعة عرفاء يشتو عليها تامك«203»سنم

وقال آخر أيضا :

اذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله

وقال آخر يصف ناقة ذبحها «204» للضيفان :

فصادف السيف منها ساقمتلية جلس فصادف منه ساقها عطبا
زيافة بنت زياف مذكرة لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا

ثم وصفته بعد بقلة الاشتغال بها ، والتعطيل لها ، وأنه اذا نام التف فى ثيابه ولم يضاجعها ، ولا أدناها من نفسه ، وأنه لا همة له فى المباضعة ، التى هى من ممادح الرجال ، فان العرب كانت تتمادح بالقوة على الجماع ، لانها دليل صحة الذكورية ، وتذم بضده كما قالت الاخرى « عياياء » ، واختلف المتأولون فى معنى قولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » ، فذهب أبو عبيد الى أنه كان بجسدها عيب أو داء يكرثها ويحزنها ، فكان لا يدخل يده فى ثوبها ليلمس ذلك العيب ، فيشق عليها ،

---

«203» تامك : ز ك ، تانك : م وهو غلط ، والتامك : السنام .
«204» ذبحها : س ، عقرها : ز م ك .

فان هذه خصلة مدحته بها ، ورد القتبى والخطابى وابن حبيب وابن الاعرابى وغيرهم عليه هذا القول ، وقالوا انما شكت هذه الخصلة من زوجها ، وذمته بذلك ، واستقصرت حظها منه ، وانه لا يضاجعها ، ولا يدنو منها ، وينام ناحية عنها ، كما قالت : « واذا رقد التف » ، ولا يدنيها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها ما يكون من الرجال لازواجهم ، فيعلم بثها بذلك ، ومحبتها له ، وحزنها لعدم ذلك منه لها ، وقلة تفقده لحاجته منها ، قالوا : وليس وجه الحديث ما ذهب اليه أبو عبيد من أنها مدحته بالغفلة عن داء كان بجسدها ، لانها قد ذمته فى صدر كلامها ، كما قال ابن الانبارى ، ولا حجة على ابى عبيد فى هذا ، لان النسوة كن تعاقدن على أن لا يكتمن شيئا من أخبار أزواجهن ، فمنهن من وصفت زوجها بالخير فى جميع أموره ، ومنهن بضد ذلك ، ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر .

**قال الفقيه القاضى وفقه الله :**

ويؤيد ما ذهب اليه القتبى واصحابه من معنى الذم ما أشار اليه عروة بن الزبير فى بعض طرق هذا الحديث فانه قال فى خمس سردهن «205» على التوالى فى حديثه ، هذه منهن ، فقال : هؤلاء خمس «206» يشكون ، حدثناه أبو بكر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه ، قال : حدثنا أبو الحسن ابن

---

«205» سردهن : ز ك ، شرحهن : م س .
«206» خمس : ز ، خمسة : س .

أيوب ، حدثنا أبو على بن شاذان ، حدثنا أبو عمرو ابن السماك ، حدثنا حنبل بن اسحاق ، حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة المنقرى ، حدثنا سعيد بن سلمة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أخيه ، عن أبيه عروة . وأيضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل فى الكلام والمستحسن فى الكناية ، ومثله فى حديث عبد الله بن عمرو أن أباه زوجه امرأة قرشية ، فشغل عنها بالعبادة ، فدخل عليها عمرو بن العاصى فقال لها كيف وجدته ؟ قالت : كخير الرجال من رجل ، لم يفتش لنا كنفا ، فهذه الكناية بمعنى تلك ، ومثله فى حديث عائشة ووصفت رجلا بالعفة فقالت : ما كشف عن «207» كنف أنثى قط ، أى انه لم يكن ممن يشتغل بالنساء ، ولا له فيهن مذهب ، فعبرت عن ذلك بكشف الكنف ، وهو الثوب الذى يكنفها أى يسترها ، ومنه قوله : فى كنف الله وحفظه ، أى ستره ، حدثنا بحديث عبد الله ابن عمرو : أبو الحسين «208» سراج بن عبد الملك «209» الحافظ بقراءتى عليه قال : حدثنى ابى ومحمد بن محسن الفقيه ، قالا حدثنا القاضى يونس بن عبد الله ، قال : حدثنا أبو الفضل الصقلى ، أخبرنا ثابت بن قاسم عن أبيه قاسم بن ثابت وجده ثابت ، قالا : حدثنا موسى بن هرون ، حدثنا موسى بن الصباح ، اخبرنا هشيم ، عن حصين ومغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو بالقصة ، ومثل قول هذه المرأة قول اخرى

---

«207» عن : س ، من : ز م .

«208» ابو الحسين : س ، ابن الحسين : ز وهو تصحيف .

«209» عبد الملك : ز ك ، عبد الله : س .

لزوجها تعيره : ان شربك الاشتفاف ، وان ضجعتك الانجعاف ، وان شملتك الالتفاف ، وأنشد القتبى لاوس بن حجر فى هذا :

وهبت الشمال البليل واذ بات كميع الفتاة ملتفعا

أى ملتفا ناحية .

**قال القاضى أيده الله :**

وقد يحتمل عندى قول هذه المرأة « ان شملتك الالتفاف » ، وقول صاحبة أم زرع « واذا رقد التف » معنى غير هذا ، وهو أن يريدا ضعف أزواجهما ، وعجزهما ، وقلة نفعهما وحمايتهما ، لانه لا ينام هذه النومة الا العاجز القليل الغناء ، ولهذا ذموا النؤوم ومدحوا ضده ، كما تقدم ، ولهذا سموا الرجل الضعيف العاجز القليل الغناء : زميلا وزملا وزمالا ، وقال بعضهم : أصله من التزمل ، أى انه اذا نام تزمل فى ثوبه ، وتلفع فى دثاره ، ولم يهتم «210» بحراسة شأنه ، ولا حماية ذماره ، ولهذا قالت له هذه المرأة «211» من صواحب أم زرع «212» فى آخر كلامها وذمها : « وانك لتنام ليلة تخاف «213» ، وقالت التاسعة من صواحب أم زرع تمدح بضده : « لا ينام ليلة يخاف » ، وقال الشاعر :

فلا تصلى بكل فتى نؤوم اذا أمسى يعد من العيال

---

«210» يهتم : س ، يعن : ز .
«211» المراة : م ك ، — : ز س .
«212» من صواحب ام زرع : س ، — : ز م ك .
«213» تخاف : ز م س ، يخاف : ك .

وقيل ان معنى قولها « لا يولج الكف » أى انه لا يتفقد أمورى ، وما يهمنى من مصالحى ، وهو كقولهم : ما أدخل يده فى الامر ، أى لم يشتغل به ولم يتفقده ، فضربت المثل بذلك ، قاله أحمد بن عبيد بن ناصح ، ونحوه عن ابن أبى اويس .

# تفسير قول السابعة

قولها « عياياء » وفى الرواية الاخرى « أو غيايـاء » هو شك من الراوى ، قال أبو عبيد : هكذا يروى بالشك .

**تـنـبـيـه :**

**قـال القاضى أيـده الله :**

الاكثر روايته بغير شك ، وانما رواه بالشـك أصحـاب عيسى بن يونس عنه وعقبة بن خالد السكونى ، وبين هشـام بن عمار فى حديثه هذا عن عيسى أن الشاك فيه عيسى ، وسائر الرواة يقولونه بالعين المهملة دون شك .

**غـريـبـه :**

قال أبو عبيد : الصحيح « عياياء » بالعين المهملة ، فأمـا بالمعجمة فليس بشىء ، والعياياء من الابـل : الذى لا يضرب النوق ، وكذلك فى الرجال ، كأنه عيي عن ذلك ، قال الهـروى : العياياء العيى الذى تعييه مباضعة النسـاء ، وأراه مبالغـة من العى فى ذلك ، قال الشاعر :

مغتلـم الوجـه عيايـا سائـره

وقال ابن أبى اويس : « عياياء طباقاء » عيى مطبق عيا ، لا يتصرف ولا يتوجه لوجه ، قال ابن السكيت : العياياء العيى الذى لا يهتدى لوجه .

**تنبيه :**

**قال القاضى وفقه الله :**

وقول ابى عبيد ان الغياياء بالغين المعجمة ليس بشىء ، ولم يفسره ، وتابعه على ذلك سائر الشارحين ، فقد ظهر لى فيه معنى صحيح ان شاء الله فى اللغة ، بين فى التأويل ، وهو أن يكون مأخوذا من الغياية وهى كل ما أظل الانسان فوق رأسه من سحاب وغيره ونحو ذلك ، ومنه سميت الراية غاية ، فكأنه غطى عليه من جهله ، وسترت عنه مصالحه ، وهو كقولهم : طباقاء ، قال ابن الاعرابى : الطباقاء هو المطبق عليه حمقا ، قال ابن دريد : هو الذى تنطبق عليه أموره فلا يهتدى لوجهها ، قال الاصمعى : هو الذى أموره منطبقة عليه ، ونحوه عن يعقوب ، وقال أبو عبيد : هو العيى الاحمق الفدم ، وكل هذا قريب بعضه من بعض ، فلا فرق اذا بين قولها « غياياء » بالغين و « طباقاء » «214» ، فلا يصح اذا قول من قال : ان الغين ليس بشىء ، وقد يمكن أن يكون أيضا مأخوذا من الغى ، وهو الانهماك فى الشر ، أو من الغى وهى «215» الخيبة ، قال الله تعالى ( فسوف يلقون غيا «216» ) قيل خيبة ، وقيل غير

---

«214» وطباقاء : ز س ، وعيايا : ك .
«215» وهي : س ، وهو : ز .
«216» سورة مريم ، الآية 59 .

هذا ، كأنه خائب من كل فضيلة ، وقال ابن ولاد (57) : فـلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر ، وقال الخليل (58) : الطباقاء : الاحمق ، والطباقاء البعير الذى لا يضرب ، وقال أبو عبيد عن الاصمعي : العياياء الطباقاء من الرجـال والابـل : الذى لا يضرب ، وحكى ابو على عن بعضهـم : الطباقـاء من الرجال الثقيل الصدر الذى يطبق صدره على صدر المرأة عنـد المباضعة ، وهو من مذام الرجال عند النسـاء ، ويروى أن أم جندب قالت لامرىء القيس وكان مفركا للنسـاء : انك ثقيـل الصدر ، خفيف العجزة ، سريع الاراقة ، بطيء الافاقة .

**تـنـبـيـه :**

ان قيل يرد هذا التفسير الذى ذكرته ما تقدم من تفسير عياياء انه العى عن المباضعة فكيف يوصف مرة بالعى عنها «217» ومرة بثقل الصدرة «218» فيها ؟ قيل : هذا لا يلـزم اذ قـد يكون عياياء «219» فى حين ، طباقاء فى حين ، وقـد يمكن أن

«217» عنها : م ك ، ـــ : ز س .
«218» الصدرة : كذا فى « لسان العـرب » ، والصدرة من الانسان ما اشرف من اعلى صدره ، وهي فى النسخ : « الصدر » .
«219» عياياء : س ، عييا : ز م ك .

(57) هو ابو العباس احمد بن محمد بن الوليد ولاد ، النحوى التميمى المصرى ، له كتب منهـا « المقصور والممـدود » و « الانتـصار لسيبويه من المبرد » ، توفى سنة 332 هـ .
(58) هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عبد الرحمن ، الفراهيدى الازدى ، نحوى لغوى عروضى ، بل هو واضع علم العروض ، صنف كتاب « العين » المشهور فى اللغة ، على الراجح ، اذ من اللغويين من نسب كتاب « العين » لغيره ، ولـه كتب اخرى ، توفى سنة 175 هـ .

يكون اطباقه صدره من سبب العى والعجز لمعالجتـه «220» ما لا يقدر عليه ، ومعاناة ما قد أعياه ، وقولها « كـل داء لـه داء » أى كل مـا تفـرق فى النـاس مـن الادواء والمعايـب اجتمع فيه ، وقولها « شجك أو فلك ، أو بجك » ، أى جرحك ، قال الهروى : الشج فى الرأس خاصة ، والفل فى سائر الجسد ، وقال ابن دريد : بج القرحة اذا شقها ، وكل شق بـج ، قال الـــراجـــز :

بـج الـمـزاد موكـرا مـوفـورا .

وقال الزبيدى «221» : البج الطعن ، قال ابن الانبارى : يقال : فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ، ونحوه عن ابـن أبـى اويس ، ويقال كسرك بخصومته وعذله .

**عـربـيـتـه :**

قولها « حماقاء طباقاء » من ابنية المبالغة ، وكذلك قولهـا عياياء وغيايـاء ، وهى من الكلمات التى على وزن فعـالاء من الابنية التى الحقت فيهـا الالف ، ومثالهـا فى الاسماء ثلاثـاء وعجاساء وبراكـاء .

**مـعـنـاه :**

وصفته بالحمق ، والتناهى فى جميع النقائص والعيـوب ،

---

«220» لمعالجته : س ، لمعالجة : ز ك .
«221» الزبيدي : ز ك ، الزهري : س .

وسوء العشرة مع الاهل ، وعجزه عن حاجتها ، مــع ضربهــا وأذاه ايــاهـــا ، وانــــه اذا حــدثــتــه ســبــنهـــا ، واذا مازحته شجها ، واذا غضب اماشجها فى رأسهــا أو كسر عضوا من أعضائها ، وهو معنى « فلك » ، ومنه قيل للمنهزمين « فل » ، أو شق جلدها أو طعنها ، وهو معنى « بجــك » ، أو جمع ذلك كله لها ، من الضرب والجرح وكسر الاعضاء ، أو الكسر بالخصومة ، وموجع الكلام ، وأخذ مالها .

# غريب قول الثامنة

قولها « زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ، الزرنب ضرب من الطيب معروف عند العرب قال الشاعر :

يا بابى أنت وفوك الاشنب كأنما ذر عليه الزرنب
أو زنجبيل فهو عمرى «222» أطيب

واختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخرين فى صفته ، فقال بعضهم : هى شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام ، لا تثمر ، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة ، يشبه ورق الخلاف ، ورائحته كرائحة الأترج ، وتستعمل ورقه وقضبانه ، وقال أكثرهم انها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة ، وقال بعضهم : تشبه ورق الطرفاء صفراء كرائحة الأترج من الافواه الطيبة ، ولهذا استعملها العطارون ، وتخلط بالطيب لعطريتها ، وتسمى أرجل الجراد لشبهها بها ، وليست من نبات أرض العرب وان «223» ذكروها .

---

«222» عمري : زم ، عمر : ك ، عندي : س .
«223» وان : س ، وان كانوا : ز ك .

## معنــــــــاه :

هذه تصف زوجها بلين الجانب للاهل ، وحسن الخلق والعشرة معهن «224» ، كمس الارنب لليانة مجسها ، ولدونة وبرها ، أما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تأويلات : احدها أنها أرادت بذلك طيب ثنائه فى «225» الناس وانتشاره ، والثانى أنها أرادت طيب جسده وعطر أردانه ، والثالث أنها أرادت لين عريكته ، وحسن خلقه ، فيكون بمعنى الفصل الاول . ثم وصفته بالشجاعة والحزامة وأكدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بقولها : « وأغلبه والناس يغلب » ، وهذا مثل ما وقع فى الحديث ان الاعشى الحرمازى المازنى أنشد النبى صلى الله عليه وسلم أرجوزة يشكو فيها امرأته ، قال فى آخرها .

وهن شر غالب لمن غلب

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بذلك ويقول وهن شر غالب لمن غلب (59) ، ومنه قول معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

---

«224» معهن : ز ك ، لهن : س .
«225» فى : ز ك ، من : م س .

---

(59) اخرجه الامام احمد فى مسنده ، فى ضمن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن الاعشى الحرمازى عبد الله بن الاعور ( 6 : 201 — 202 ) .

# غريب قول التاسعة

« رفيع العماد » أصله عماد البيــت ، وهى العيــدان التى تعمد بها البيوت ، وجمعه عمد وعمد ، وأعمدة ، وقولها « طويل النجاد » النجاد : حمائل السيف ، والنادى : مجتمــع رجــال الحى ومجلس مشورتهم وحديثهم ، ويقال ندى ومنتدى ، قال الله تعالى ( فى ناديكــم المنكــر «226» ) وقــال ( واحســن نــديــا «227» ) .

**مــعــنـــــاه :**

قولها « رفيع العماد » وصفته بالشرف فى نسبه ، والسؤدد فى قومه ، واستعارت لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العمــاد من بيت المسكن المرئية ، كما قال :

فامــا بيـــتكم ان عــد بيــت ‏ ‏ ‏ ‏ فطال السمــك واتسع الفنــاء
وامــا اســه فعلــى قديــم ‏ ‏ ‏ ‏ من العادى ان ذكــر البنــاء

وقد قيل فى قول السموءل بن عادياء :

لنــا جبل يحتلــه من نجيره ‏ ‏ ‏ ‏ منيف يرد الطرف وهو كليــل

«226» سورة العنكبوت ، الآية 29 .
«227» سورة مريم ، الآية 73 .

رسا اصله تحت الثرى ، وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

انما عنى به شرفهم وحسبهم ، وقيل : أراد حصنه الفرد الابلق ، وقد قيل ان معنى قولها « رفيع العماد » على ظاهره ، وانما أرادت عماد البيت نفسه ، اذ هى عادة بيوت الاشراف وأهل السؤدد ، وقال ابن ابى أويس : أرادت أنه رفيع البيت ، طويل من الرجال ، وقد روى : « طويل العماد » ، فيكون طوله اما لطول ساكنه وامتداد قامته ، كما أشار اليه ابن أبى اويس ، أو لكرمه واظهار بيته ليراه الوارد ، ويهتدى برفعة سمكه له القاصد «228» ، أو لجلالة مكانه ، وسعة ثرائه ، وحاجته الى اعلاء سمائه «229» ، وتوسعة أرجائه ، ليحمد لكثرة «230» خيره ، وجماع غاشيته ، ومنتابى بره ، الا ترى قول أم زرع « بيتها فساح » ، وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء :

طويل النجاد ، رفيع العما     د ، ساد عشيرته امردا

وعليه حمل ثعلب قول الاعشى :

طويل النجاد ، رفيع العما     د ، يحمى المضاف ، ويعطى الفقير

وقد وصف أبو الطيب خيمة سيف الدولة فقال :

وتركز فيها القنا الذبل

---

«228» برفعة سمكه له القاصد : س ، بارتفاع سمكه القاصد له : ز .
«229» سمائه : س ، بنائه : ز .
«230» لكثرة : ز ، كثير : س .

وذموا بضد هذا ، فقال بعضهم :

اذا دخـــلوا بيوتهم أكبـــوا على الركبات من قصر العمـــاد

وقـــال آخــــــر :

قصار البيوت لا ترى صهواتها من اللؤم جثامون عند الثرائد

وقد يكون تريد بالعماد البيت ، ومعنى رفعته اشرافه لموضـــع مرتفع ، ليقصده الأضياف ، ثم وصفتـــه بالكمـــال فى صورته ، وامتداد «231» القامة فى بنيته ، وعرضت لذلك بقولها :

« طويل النجاد » فان الطويل القامة يحتـــاج الى تطويـــل نجاده ، وهذا مما تمدح «232» به الشعراء ، وتذم بضـــده ، قال عقيل بن علفة «233» المدنى «234» :

طويل نجـــاد السيف وهم كأنمـــا

تصول «235» اذا استـــنجدته بقبـــيل

وقـــال أبو خــــــراش :

طويل نجـــاد السيف ليس بحيدر

اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

وقال مروان بن أبى حفصة :

قصرت حمائله عليـــه فقلصـــت

«231» وامتداد : ز ك ، وامتدادة : م س .

«232» تمدح : س ، تتمادح : ز ، تمادح : ك .

«233» علفة : ك س ، علبة : ز وهو تصحيف .

«234» المدني : ك ، ـــ : ز س .

«235» تصول : س ، تطول : ك .

ولقد تأنق قينها «236» فأطالهـا

وقيل معنى قولها « رفيع العماد » أى طويل ، قال المبرد : يقال رجل طويل العماد اذا كان معمدا «237» طويلا ، ومنه حديث يزيد بن أبى سفيان عند موته : قد علمت ـــ يعنى قريشا ـــ أنا أصبحهم وجوها ، وأطولهم عمودا ، وأسعدهم جدودا ، فعلـى هذا يكون « طويل النجاد » تأكيدا لما تقدم ، وفى ضمنه أنـه صاحب سلاح وشكة (60) ، فلهذا أقتصرت من دلائـل طولـه على طول نجاده ، دون غير ذلك من ملابسه ، ثم وصفته بالكرم فى سجيته ، والجود بذات يده وكنت عن ذلك بقولها « عظيـم الرماد » ، وذاك ان من كثر ضيفانه ، ونحره لهـم واشتـواؤه وطبخه اطعمتهم كثرت ناره ، وكثر رماده ، فهذا تأويل حسن ، وقد أكثرت فى هذا الشعراء فقال بعض العـرب وهو زيـاد بن حمل من أناشيد ابى تمـام :

كم فيهم من فتى حـلو شمائله      جم الرماد اذا ما أخمد البرم

وفيه تأويل آخر ذهب اليه الخطابى : ان تكون نـاره لا تطفـأ ليلا ولا نهارا ، ليهتدى اليه «238» الضيفان ، كما قال الشاعر :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره      تجد خير نار عندها خير موقد

---

«236» قينها فأطالها : ز م ك ، قيلها فطالها : س وهو تصحيف .
«237» معمدا : ز م ك ، معمرا : س وهو تصحيف .
«238» اليه : م س ، له : ز ك .

---

(60) الشكة ( بكسر الشين وفتح الكاف المشددة ) : هى السـلاح ، وقيل : الشكة ما يلبس من السلاح .

وكانت عادة أجواد العرب وقود النيران فى ظلـم الليـل ، على مشارف الارض لينتابها الضيفان ، وربمـا رفعت على الايـدى منها الاقباس ؛ قال الشاعر :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
فتاه ، وجوز «239» الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا ضرامها    تليح الى السارى هلم الى القدر

وقـال الآخـر :

ومستنبح قال الصدى مثل قوله    حضأت له نارا لها حطب جزل
وقمت اليـه مسرعا فغنمتـه    مخافة قومى أن يفوزوا به قبل

حضأت وحضوت النار اذا حركت جمرها ، وقال الآخر :

وانى لادعو الضيف بالضوء بعدما
كسى الارض نضـاح الجليـد وجامده

ثم أكدت ذلك بقولها « قريب البيت من الناد » ، تريد بذلك أنه ينزل بين ظهرانى الناس ، ومجتمـع الحى ، ومقصـد الـوارد وطالب الضيافة ، لتكثر أضيافه ، ولا يتوارى بأطـراف الحلـل وأغـوار المنـازل ويبـعـد عـن سـمـت الـوارد ، فـرارا من القـاصـد ، ومـلاذا مـن الـطـارق ، لـئـلا يهتدوا الى مكانه ويستبعدوا موضعـه ، فيصدفـون عنـه ، ويميلون الى غيره ، قال زهير :

يسط البيوت لان يكون مظنة    من حيث توضع جفنة المسترفد

---

«239» وجوز : ك ، وجور : م س . والجوز وسط الشىء ومعظمه .

أى يتوسط البيوت ليكون معلما لضيافة طالب الرفد . وقـال ابن هـرمـة :

أغشى الطريق بقبتى ورواقها      واحل فى نشز الربـا فاقيـم

وقـال طـرفـة :

ولست بمحلال التلاع لبيـته      ولكن متى يسترفد القوم ارفد

وقـال آخـر :

له نـار تشب على يفـاع «240»
اذا النيـران ألبسـت القنـاعـا

أى سترت بوقودها فى الغيطان وتلاع الاودية ، وقنعت بذلك عن أن تظهر ، وفى قولها أيضا « قريب البيت من النـادى » معنى آخر دلت به على شرفه وزعامته ، وذلك أن الاندية انما يجتمع فيها لقرب «241» أبيات السادة ومنازل الزعماء ، الذين يؤتى اليهم ويجتمع بهم . وقولها : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينـام ليلة يخاف » ، وصفته بكرم النفـس وشبعهـا ، ونزاهتـهـا وايثارها ، وقلة همه بالاكل وشرهه له ، وانه اذا أضيف واحتفل فى اكرامه ، وأكثر من اطعامه ، لم يكن همه شبع بطنه ، واكتفى بأيسره ، واقتصر على ما يقيم صلبه ، ويرد قوته منه ، ولـم يظهر الحرص على مال غيره وطعامه ، والجشع للاكثار من أكله

---

«240» يفاع : م ك ، بقاع : ز ، يقاع : س وهما تصحيف ، واليفـاع : ما ارتفع من الارض .
«241» لقرب : ز ، بقرب : س .

واغتنامه ، بل اخذ منه ما يسد جوعته ، وتجـافى عن الاكثـار منه ، وخاف معرته ، كما قال حاتم :

لقـد كنت اختار القرى طاوى الحشـا
محـافظـة من أن يـقـال لئـيـم

وكمـا قـال دريـد :

تراه خميص البطن والزاد حاضر
كثيـر ويغـدو فى القميـص المقـدد

وكما قـال الآخـر :

أقسم بطنـى فى بطـون كثيـرة
واحسو قراح «242» الماء والماء بارد

وقـال حـاتـم :

اكف يدى عن أن ينال التماسها أكف صحابى حين حاجتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الـذم أن أتضلعـا
وانى لاستحيى رفيـقى أن يـرى
مكان يدى من جانب الزاد افرعا «243»
وانـك مهما تعـط بطنـك سؤلـه
وفرجك نـالا منتهى الـذم أجمعـا

وقال طرفة يمدح نفسه ، ويهجو غيره بضده :

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه وان أعطه أترك لقلبى مجثما

---

«242» قراح : ز ك ، قداح : م ، اقداد : س وهو غلط .
«243» افرعا : م ، اقرعا : ز ك ، افرغا : س .

وقال عروة بن الورد يذم «244» :

يعد الغنى من دهره كل ليلـــة أصاب قراها من صديق ميسر

وهذه كانت وصايا العقلاء ، وخلق الانبياء والحكماء ، وأشراف العرب ، فقد حدثنا أبو الحسن على بن مشـــرف الانماطى مـــن كتابه ، قال : حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد ، حدثنـــا أبو محمد ابن النحاس ، حدثنا حمزة بن محمد الحافـــظ ، حدثنـــا احمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن سلمة ، حدثنـــا ابن وهـــب ، أخبرنى معاوية بن صالح ، قال سمعت يحيى بن جابـــر يحدث عن المقدام بن معدى كرب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما وعاء شر من بطن » ، وفى غير هذه الرواية : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب المسلم اكلات ــ وفى غير هذه الرواية : لقيمات ــ يقمن صلبـــه ، فان كان لا محالـــة فثلـــث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (61) ، ويـــروى عـــن بعض الحكماء مثله ، وقال : ودع الثلث للتفكر ، اشارة لقولهم : البطنة تذهب الفطنة . ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك ان تقذفه للكلب خير لك من أن تأكله ، ونحوه قول الطرماح أنشده القتبى :

---

«244» عروة بن الورد يذم : ز ، عروة بن الورد : م ك ، غيره : س .

---

(61) عن المقدام بن معدى كرب الكندى قـــال : سمعـــت رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه » . ( مسند الامام احمد 4 : 132 ) والاكلة ( بضم الهمزة ) اللقمة . ورواه أيضـــا الترمذى فى ابواب الزهد ، باب، ما جاء فى كراهية كثرة الاكل .

يمسى ويصبح جوفه من قوته وبـــه لمختلف الامور مجـــار
ويبـــيت جلهم يكـــت كأنـــه وطب يكـــون انـــاه بالاسحار

وقـــال حميـــد الارقـــط :

أتانا فلم يعدله سحبان وائل بيـــانا وعلما بالذى هو قائـــل
فما زال عنه اللقـــم حتى كأنه من العى لمـــا ان تكلم باقـــل

وقد يحتمل أن يكون معنى « يضاف » أى ينزل بـــه الضيفان ، يقال ضفت الرجل اذا نزلت به ، وأضفته أماتـــه الى ضيافتى ، تقول : فهـــو لا يشبع لايثارهم بما عنده وتقديمهم على نفسه ، قال الله تعالى ( ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) «245» ، وكما قـــــال :

طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصا وحاديه على الزاد حامد

وقد جمع هذه المعانى بعض شعراء العرب فقال :

وزاد وضعـــت الكـــف فيـــه تأنـــســـا
ومـــا بى لولا انســـة الضيف من أكـــل

وزاد رفعـــت الكـــف عنـــه تكـــرمـــــا
اذا ابتـــدر القـــوم القليـــل من البقـــل

وزاد أكلنـــاه ولم ننـــتظر بـــه غـــدا
الا ان بخـــل المرء من أســـوأ الفعـــل

«245» سورة الحشر ، الآية 9 .

كذا أنشده وفسره صاحب الحماسة ، وقد يصـــح أن يكـــون :
الثقل ، قال الحربى : الثقل طعام القرى ، وأنشد :

ما ذاق ثقـــلا بعد عام أول

ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية الذمار احيان الخوف ، وأوقات
الذعر ، وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينـــام ، بـــل يباشره
بنفسه ، ويلقاه بحشاشته ، كما قـــال :

غير زميـــل ولا نكس وكل

# غريب قول العاشرة

المزهر : العود الذى يضرب به ويغنى فيه ، والمسارح : المراعى البعيدة ، يقال سرحت الابل فسرحت اللازم والمتعدى واحد ، قال الله تعالى : ( حين تريحون ، وحين تسرحون ) «246» ، والمبارح : نحو منه ، وهى حيث تبرح ، والمهالك : جمع مهلكة .

**عربيته :**

قولها « مالك وما مالك » ، ما هاهنا استفهام فيه معنى التعظيم والتهويل والتعجب ، وهذا كله من معانى « ما » كما قيل :

لامر ما تدرعت الدروع

وحقيقة الكلام ما مالك ؟ وما هو ؟ أى أى شىء هو ؟ ما أعظمه وأجله وأكرمه ! ، ومثله قوله تعالى « الحاقة ، ما الحاقة «247» » ، و ( القارعة ، ما القارعة

---

«246» سورة النحل ، الآية 6 .
«247» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .

«248» ) أى الحاقه أو القارعة أى شىء هى ؟ ما أعظمها وأهولها ! وكذلك قوله ( ما أصحاب اليمين «249» ) و ( ما أصحاب الشمال «250» ) وشبهه ، أى ما أعجب أمرهم وأهوله واعظمه فى النعيم أو العذاب ! ولكن تكرير الاسم أدخل من الكناية فى باب التهويل والتعظيم ، كما أن اللفظ المبهم واستعماله هنا أعم وافخم من التصريح والتفصيل ، ومنه

قول الشاعر :

ياسيدا ما أنت من سيد　　موطأ الاكناف رحب الذراع

واعراب قولها : أن « مالكا » مبتدأ أول ، و « ما » فى موضع رفع بالابتداء أيضا ، و « مالك » الثانى خبره ، والثالث مبتدأ ثالث ، وما بعده خبره وعليه تعرب الآيات المتقدمة ، الا أن الجملة الثانية فيها فى موضع خبر للمبتدأ الاول ، وجاز ذلك وليس فى الجملة ما يعود على المبتدأ الاول لان المعنى ما هم ؟ أى أى شىء هم ؟ فـ « هم » يعود على المبتدأ ، فهو كلام محمول على معنى « ما » ، لا على لفظه ، وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى الاعظام ، وتفسير لبعض الابهام ، وانه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، أو فوق ما اعتقده فيه من سؤدد وفخر ، وأن قدره يربى على كل قدر ، وكنت بذلك اذ كان كالحاضر من قولها أو عقدها ، ويحتمل أن تعنى بـ

---

«248» سورة القارعة ، الآية 1 — 2 .
«249» سورة الواقعة ، الآية 27 .
«250» سورة الواقعة ، الآية 41 .

« خير من ذلك » أى المثنى عليه قبل ، وانه أجمع منه لخصال السيادة والفضل .

## معنــــــاه :

هذه وصفت زوجها بالكرم ، وكثرة الضيافة ، والاستعداد للضيفان ، والمبالغة فى برهم واكرامهم ، ومعنى قولها « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » ، أى انه لاستعداده للضيفـان ، بلحومها والبانها وكرم خلقه ، لا يوجههن نهـارا الا قليـلا ، ولكنهن يبركن بفنائه ، فان فاجأه ضيـف وجدهـا حاضرة ، فيقريه من لحمها ولبنها ، ولم يجدها غائبة عنه فيـتـباطأ فيما يكرمه به مدة طلبها ، كما قال بعض بنى ضبة :

ومختبط قد جـاء اوذى «251» قرابـة
فمـا اعتذرت ابلـى عليـه ولا نفسى
حبسنـا ولـم نسرح لكى لا يلومنـا
على حكمـه صبـرا معـودة الحبـس
فطاف كمـا طاف المصـدق وسطهـا
يخير منها فى البوازل «252» والسدس

وقـال آخـــر :

واموالنا وقف على مبتغى القرى    رواهن للمستنبحين وللجـمم

وقـال آخـــر :

---

«251» او ذي : ز م س ، او ذو : ك .
«252» البوازل : زم س ، البواقل : ك .

ونولفها «253» فى السنين الفناء     اذا لم يجد مكسبا كاسب

أى ثابتة مقيمة للمعتفين ، ومثله قول أم زرع فى وصف مالــــه « على الجمم محبوس » ، وسيأتى تفسيره ، وهذا قول أبــــى عبيد والاكثر ، وقال بعضهم : ان كانت لا تسرح الا قليلا من النهار فهى هالكة هزالا ، وان كان سرحهن بالليل فقــد ضـــاع أضياف الليل ، والمعنى انها قليلة المسارح لقلة الابل ، وكثيرة المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم تبرك ، فلكثرة مـــا يفعل هـــذا بها تكثر مباركها ، وقال يعقوب بن السكيت : أى مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ، ومراعيها قليلة ، أى انها تكثر اذا بركــت «254» لمن ينـــتـــابها «255» مـــن الضيفان وطلاب «256» الرفد ، وأنشد يعقوب عليه من قول عـــروة بن الورد :

يريح على الليل قربان ماجد     كريم ، وما لى سارحا مال مقتر

قال : يقـــول اذا راحـــت بالعشــــى راح فيهـــا الاضيـــاف ، واذا سرحت بالنهار رئيت قليلة لانه لا أحد فيها منهم ، ونحوه لابن الانبارى ، وقال اسماعيل بن أبى اويس عن أبيه : معناه أن ابله كثيرة فى حال بروكها ، قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها للاضياف فى مباركها ، وهذا نحو قول بعض العرب :

---

«253» ونولفها : س ، ونوليها : ز .
«254» بركت : ز ك ، تركت : م س .
«255» لمن ينتابها : ز ك ، بمن شابها : م س .
«256» طلاب : ز ك ، طلب : م س .

الى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بــواق صحائح

لنــا حمد أربــاب المئــين ، ولا يــرى

الى بيتنا مال مع «257» الليل رائــح

ويكون على رواية من روى « عظيمات » من هذا المعنى ، عبر عن الكثرة بالعظم ، وقد يكــون معنى « عظيمات المبــارك » كناية عن سمنهن وعظم جثثهن ، فعبر بعظم مباركهن عن ذلك ، وقد يكون معنى « قليلات المسارح » عبــارة عن قلــة الامكنة التى ترعى فيها من الارض ، وأنها لا تبعــد فى المرعى فتكثــر مسارحها ، واكن رعيها أبدا بقرب المنزل وحول الفناء ، وبحيث لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ، ويزول اعتراض المعترض بهزالها لقلة رعيها ، فقد يكون فى قرب منازل أربابها ما يغنيهــا لخصبه وكثرة كلئه ، ومعنى قولها « اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » أى انه مما كثرت عادتــه بانــزال الضيفان واطعامهم وسقيهم وضرب المعازف عليهم ونحره الابل ، لذلك صارت الابل اذا سمعت المعازف عرفت بجرى عادتها أنهــا تنحر ، هذا معنى قول ابى عبيد وغيره ، ويؤيــد هذا التأويــل قولها فى الطريق الآخر « اذا سمعن صوت الضيف » ، وقيل : المــراد أنهــا اذا سمــعــت المزاهر أيقنت بالهلاك ، لمــا اعتاده من نحرها اذا سمع الغناء وانتشى وهبت فيه الاريحية ، وهــذا لا تعتــاده الابــل وتفــهمــه الا مــع الــتــكــرار والاستمرار ، وقد يحتمل أن يكون هذا استعارة لكثرة النحر ،

---

«257» مع : زك ، من : م س .

وترادف الحفاوة والبر ، وان كانت لم ترد فهم الابل لهلاكها ، ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاكها ، ويوقن من يعقـل بـه ، اضيف ذلك اليها ، اذ هو واقع بها على ضرب من الاستعارة ، وهذا النحو كله من فصيح الكلام وبديع البيـان ، وهو نـوع يسميه أهل النقد والبلاغة : الارداف والتتبيع ، وهو أبلـغ فى الوصف ، كما سنذكره بعد ، ومنه فى معنى مـا نحن فيه ومثاله قـول الشاعـر :

ومستـنبح تهوى مساقط رأسـه
الى كل شخـص وهو للسمـع أصـور

حبيـب الى كلب الكريم منـاخه
بغيـض الى الكومـاء والكلب أبصـر

وذلك أن الكلب ينعم فيما يلـغ فيه مما ينحـر لـه ، ويأكل من سقاطتها وعظامهـا ، فمتى رأى ضيفـا أحب نزولـه لذلـك ، والكوم تبغضه لانها تشقى بنزوله بالنحر والعقر ، فعبـر عن النعمة والشقاء بالحب والبغض ، وعبـر عن جـود الموصوف ونحره للاضياف بما هو من توابعـه واردافـه ، فان بغـض الكوماء له تبع لنحرها بسببه ، ومحبة الكلب له ردف لتنعمـه معه ، وكل ذلك تبع لاكرام ربها للضيفان ، وكناية عن جوده ، فكان هذا التشبيب أبلغ من قولها : اذا ضـرب المزهر تحـزن «258» ، أو : اذا نزل به ضيف نحرن ، ومثل هذا مـا أنشده

---

«258» تحزن او : ز ، نحرن اى : م ك ، نحره و : س .

الحربى «259» لايـــاس بن سلمة الاسلمى يمدح النبـــى صلى الله عليه وسلم :

وابيك خيـــرا ان ابـــل محمد عزل تتنـــاوح ان تهب شمال

واذا رأين لدى الفنـــاء غريبة فاضت لهن على الخدود سجال

فترى لهـــا زمـــن القتـــال على الثرى

رخما وما تحيى «260» لهـــن فصـــال

قوله « عزل » أى غير ممتـــنعة ، كالاعـــزل الذى لا سلاح معه فيمنعه ، ويقول اذا هبت الشمال وجاء الشتاء والقحط تتنـــاوح بعضها الى بعض لعادتها بالذبح حينـــئذ «261» ، واذا رأت غريبا طرق بكت لعلمها أنها تذبح له ، وليـــس يحيى لهـــا فصال لكثرة ذبح أمهاتهـــا ، واذا كان زمـــن الخصب وطلب النـــاس الدخول اذ لا يطلبونهـــا ولا يقـــدرون على ذلك زمـــن «262» القحط والشدائد لشغلهم بأنفسهم لذلك كانت لهذه الابـــل البان كثيرة تسيل على الارض حتى كأنها رخم لبياضها

تـــنـــبـــيـــــه :

قال أبو سعيد النيسابورى : لم تكن تعرف العرب العـــود الا من خالط الحضر منهم ، والذى نذهب اليه أنه المزهر ، وهو الذى يزهر النار للاضياف الطراق فاذا سمعـــت صـــوت ذلـــك ومعمعان النار أيقنت بالعقر .

---

«259» الحربى : س ، البحترى : ز .
«260» تحيى : م س ، يحيى : ز ك .
«261» حينئذ : ز ، ــ : ك س .
«262» زمن : س ، من : ز .

## قـال القاضي رضي الله عنـه :

ولا نعرف احدا رواه « المزهر » كما قاله النيسابورى ، وان كان يصح ، لان زهور السراج والنار تلالؤ سناها ، والذى رواه الناس كلهم « المزهـر » وهو الصواب ، لا مـا قالـه ان شاء الله . وقولـه « ان العـرب كانـت لا تـعـرف العـود الا من خالط الحضر منهم » فمن أخبره أن مالكا المذكور لـم يخالط الحضر ؟ ، وقد ذكرنـا فى بعض طرق هـذا الحديث ان قرية من قرى اليمن وذكر أنه اجتمع بها احدى عشرة امرأة ، والقرى هى الحواضر والمدن . قال الله تعـالى « رجـل مـن القريتين عظيم «263» » وفى الطريق الآخر أنهن من قريش ، وأنهن من أهل مكة كما قدمناه ، مع أن اشعار العرب جاهليهـا واسلاميها ، بدويها ، وحضريها ، قـد ذكرت فيهـا المزاهـر وأشباهها ، قال الاعشى :

جالس حوله الندامى فمـا ينـ　　　ـفك يؤتى بمزهـر مندوف

كذا أنشده «264» أبو عبيد وغيره ، وهى احالة من الروايـة وغلط ، والشعر : « يؤتى بموكد محذوف » ، يعنى الزق وبعده :

وصدوح اذا يهيجهـا الشـر　　　ب تـرزقت فى مزهـر مندوف

وقـال أيضـا :

اذا قلت غمى «265» الشرب قامت بمزهر

يكـاد اذا دارت بـه الـكـف ينطـق

---

«263» سورة الزخرف ، الآية 31 .

«264» انشده : س ، اسنده : ز .

«265» غمى : م س ، غنى : ز ك .

وقـــــال :

ومسمعتان وصناجـة «266» تقلـب بالكـف أوتـارهـا
وبـربطنـا معمـل دائـم فقد كـاد يغلـب اسكارهـا
وشاهدنـا الورد والياسميـ ـن والمسمعـات بقصابهـا
ومزهرنـا معـمـل دائـب فأى الثلاثة ازرى «267» بها
ترى الصنج يبكى له شجوة «268»
مخافـة أن سـوف يـدعى بهـا

وقـــــال :

ومستجيب لصوت الصنج يسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل

ولكثرة ذكره لهذا سمى الاعشى صناجة العرب ، وقال الأقيشر :

وبربط يجاوبه صنج اذا ما ترنما

وقـال امرؤ القيـس :

وان أمس مكروبا فيارب قينة منـعمـة أعملتـهـا بكـران
لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش اذا مـا حركته يـدان

والكـران والمـزهـر همـا عـودا الـغـنـاء ، وكـذلـك البربط ، والصنج آلة له رومية ، وقال علقمة بن علاثة :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم

وقال برج بن مسهر الطائى :

وفينـا مسمعـات عند شـرب

وقـال ابـن الطثريـة :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

---

«266» وصناجة : س ، بصناجة : ز .
«267» ازرى : ز ، ازوا : م ، ازوى : ك ، اذو : س .
«268» شجوة : س ، نجوة : ز ، شجره : ك .

وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابى سعيد وغيره ويكون أشبه بالحال ، وهو أن يراد بالمزهر الدف المربع بوجهين ، وهكذا وقع تفسير المزهر لجماعة من قدماء الفقهاء والعلماء ، وقاله أصبغ بن الفرج (62) وابن حبيب فى واضحته ، فان صح أن هذا الاسم عربى غير مولد ، فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها ، وعادتهم اطراب الضيفان بها وقد روى بيت الاعشى المتقدم بمزهر مجدوف أى مقطوع قد قطعت أكارع «269» جلده ، هكذا فسروه ، وهذا ينبىء أنه الدف الذى وصفناه ، وصحيح الرواية ما قدمناه ، ورأيت صاحب « لحن العامة » قال : ويقولون لبعض الدففة مزهر ، وانما المزهر العود الذى يضرب به ، فدل قوله أنه ليس بعربى .

ومعنى قولها فى الرواية الاخرى « كثيرة المسالك ، قليلة المبارك » ، فان لم يكن وهما من الرواية فمعناه أنها كثيرة فى حال سرحها ورعيها ، قليلة فى مباركها لكثرة ما نحر منها ، أو انها «270» كثيرة مسالك سبل الخير «271» والمعروف ، أى يوجهها ويسلك بها كل مسلك من

---

«269» اكارع : ز م ك ، اصارع : س .
«270» او انها : م ك ، وانها : ز س .
«271» الخير : م س ، البر : ز ك .

---

(62) هو ابو عبد الله اصبغ بن الفرج بن سعيد . دخل المدينة يوم توفى مالك ، وصحب ابن القاسم وابن وهب واشهب ، له كتاب « الاصول » و « تفسير غريب الموطأ » ، وتوفى بمصر سنة 225 هـ .

المعروف ، من رفد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين ودية وصلح ونحو ذلك ، كما قال بعض بنى العنبر :

فلم أر مثل الابل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

ومنه حديث على رضى الله عنه وقد سأل ابا الفرزدق غالب بن صعصعة عن اباله فقال : يا أمير المومنين ذعذعتها «272» النوائب ، وفرقتها الحقوق ، فقال على عليه السلام : ذلك أفضل سبلها ، وكان غالب قبل ذا ابل كثيرة ، ويكون قولها فى هذه الرواية «273» : ( كثيرة المسالك «274» ، قليلة المبارك ) ، كناية عن قلة بقائها فى ملكه ، وبروكها بفنائه ، اكثرة خروجها عن يده ، والله أعلم . ويكون معنى قولها على الرواية الاخرى : « كثيرة المسارح ، قليلة المبارح » ، ان لم يكن وهما أى انها فى ذاتها كثيرة فهى كثيرة المسارح لذلك وهى مع ذلك قليلة المبارح ، أى لا تبرح وتبعد عن قرب منزله لما قدمناه ، والموفق الله .

وقولها فى رواية ابن الانبارى « وهو امام القوم فى المهالك » ، فيه تأويلات : قيل أرادت بالمهالك الحروب ، تصفه بالشجاعة ، وانه لثقته بشجاعته يتقدم ولا يتخلف ، كما قال الشاعر :

---

«272» ذعذعتها : س ، ضعضعتها : ز ، ولعل الصواب الاول ، والذعذعة : التفريق .

«273» فى هذه الرواية : ز ك ، فى الرواية الاخرى : م س .

«274» كثيرة المسالك : م س ، ـــ : ز ك .

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالاسد حين تذب عن أشبالها
قد قدت «275» أول عنفوان رعيلها
فلففتها بكتيبة امثالها
وقال الآخر :
يغدو امامهم فى كل مربأة طلاع أنجدة فى كشحه هضم
وقيل بل أرادت أنه هاد فى السبل الخفية عليهم بالطرق ، والبيداء : الدوية ، والمهالك : المهامي والمفاوز ، وسميت مهالك لاهلاكها لسلاكها ، وفى تسميتها مفازة ثلاثة وجوه ، قيل هى «276» بمعنى الهلاك أى مهلكة ، يقال فوز الرجل اذا هلك كما قال :
اذا ما ثوى كعب وفوز جرول «277»
وقيل سميت مفازة على طريق التفاؤل ، ليفوز سالكها ، كما قالوا للديغ سليم ، وقيل بل سميت مفازة لان من قطعها وجاوزها فاز من الهلاك ، فوصفت هذه زوجها على هذا التأويل بمعرفته بالهداية فى المفاوز والقفار ، فهو يتقدم القوم لذلك ، قال علقمة :
وقد اقود امام القوم «278» سلهبة
يهدى بها نسب فى الحى معلوم
وقال آخر :
ولقد هديت القرم فى ديمومة فيها الدليل يعض بالخمس

---

«275» قدت : ز ك ، قدن : م س .
«276» هى : س ، هو : ز م ك .
«277» جرول : ز ك ، جدول : س .
«278» القوم : س ، الحى : ز .

# تفسير قول الحادية عشرة

## عـــربيـــتــــــه :

قوله : « قالت الحادية عشرة » على صحيح الرواية فى هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجارى على منهاج كلام العرب ، باثبات العلامتين فى « الحادية » وفى « عشرة » ، ولك اسكان شين عشرة وكسرها (63) على اللغتين ، ولا تكون الحادية عشرة الى تاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والآخر ، لان الحادية مع عشرة كالكلمة الواحدة ، كحضرموت وبعلبك ، كما فعلوا باحدى عشرة سواء ، وكذلك لو لم تدخل على الحادية الالف واللام لم تكن الا مفتوحة عند سيبويه ، وأما يعقوب فحكى هنا جواز الرفع والخفض الى تسعة عشر «279» ، على تقدير حادية احدى عشرة ، ولم يجزه مع الااف واللام ، وكذلك لو

---

«279» تسعة عشر : س ، تسع عشرة : ز ، تسعة عشرة : ك وهو غلط .

---

(63) يجوز اسكان شين « عشرة » ويجوز كسرها اذا كانت مركبة غير مفردة ، كما هنا « قالت الحادية عشرة » ، والاسكان لاهل الحجاز والكسر لاهل نجد .

كانت لمذكر عند سيبويه لم يكن فيها الا الفتح ، وحكى الفارسى انه يجوز اسكان الياء فى حادى عشر وثانى عشـــر ، وان كان موضعه نصبا فى الاعراب ، كما قالوا قالى قلى «280» ، وهذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة ، واما من يقول خامسة خمس فيقول قالت الحادية احـــدى عشرة ، والحاديـــة هاهنا معربة غير مبنية ، وقال بعضهم على هـــذا حادية عشرة «281» احدى عشرة ، قال سيبويه وهو القياس ولكنه حذف استخفافا ، لان فيه لفظ احد عشر فدل على مـــا حذف منـــه ، ووقع لبعض شيوخنا فى رواية هذا الحديث : « قالت الحادى عشرة » ولبعضهم « الحادية عشر » وهذا كله خطأ لا مخرج له الا على بعد وتكلف وجـــه .

غـــريـــبـــــــه :

قولها « أناس من حلى اذنى » أى حرك اذنـــى بالحلى من القرطة والشنوف ، والنوس حركة كل شيء متدل وسائل ، قال يعقوب : أناس أثقل حتى ناسا أى تدليا واضطربا ، وهذا نحو الاول ، قال ابن الكلبى : سمى ذا نواس أحـــد مـــلوك اليمـــن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ، ومنه حديث ابن عمـــر أنه دخل على حفصة (64) ونوساتها تنطف ، ومنه الحديث أنه

---

«280» كما قالوا قالى قلى : م س ، . قلا : ك ، ـــ : ز
«281» على هذا حادية عشرة : س ، على الحادية عشرة : ز .

---

(64) هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة ، تزوجها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بعد وفـــاة زوجهـــا الصحابى خنيس بن حذافة السهمى ، توفيت سنة 45 هـ .

كان للعباس (65) ضفيرتان تنوسان على ترائبه ، والحلى جمع ، ويقال بكسر الحاء ، وقرىء فى الكتاب العزيـز بهمـا جميعا ، والحلى واحد وهو كل ما تحلى به من ذهب وفضـة وجوهـر وشبهه ، وقولها « بجحنى فبجحت » أى فرحنـى ففـرحت ، قـال الراعـى :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ، ولكنا بقرباك نبجح

أى نفرح . هذا قول ابى عبيد ، وقـال ابـن الانبـارى : معناه عظمنى ، ويؤيده قولها : فبجحت الى نفسى ، أى عظمت عندى ، وتأول «282» البيت المتقدم : أى بقرابتنا منك نفخر ونتعظم «283» ، وقال يعقوب : بجحت فخرت ، وقال ابن ابى اويس : معناه وسع على وترفنى ، وقولها « وفرعى » فى رواية من زاده : فيحتمل أن تريد بالفرعين اليدين ، لانهما كالفرعين من الجسد ، تعنى أنه حلى اذنيها ومعصميها ، وقد يحتمل أنها أرادت بالفرعين العنق مع اليدين ، وأقامت اليديـن مقام فـرع واحد لكونهما جنسا ، وأصل الفـرع كل ما ارتفـع ، فالرأس واليدان من فروع الجسد ، فاذا حليا فقد حلى فرعاه ، ويحتمل

«282» وتأول : ز ، وتأويل : س .
«283» نتعظم : ز م ك ، نتعاظم : س .

(65) هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل فتح مكة بقليل ، واستسقى به سيدنا عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى بالمدينة سنة 32 هـ .

أن تريد « بفرعى » غديرتيها «284» وقرنى رأسها ، والعرب تسميها فروعا ، قال امرؤ القيس :

وفرع يغشى المتن اسود فاحم

وأضافت النوس اليه كما اضافتــه الى الاذنين لكونــه فيهما ، ولقربه من قرون رأسها ، ولان ما يرخى مع القرون من نواصى الحلى تنوس ايضا ، وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائــر شعورهن ، وتحلية نواصيهن وقرونهن ، فلعل هذه فعلت مثــل ذلك من فعلهن ، ومن رواه « فرعــى » فيحتمل فــرع «285» الشعر أو الرأس ، قال ابن ابى اويس : حلــى رأسى فلذلــك يتدلى من كثرته وثقــله .

## عــربــيــتــــه :

وقع فى بعض الروايات « اذنيــه ، وعضديه ، وفرعيــه واليه » بزيادة الهاء ، وهذه هــاء السكت الملحقــة فى الوقــف وانقطاع الصوت ، وبعضهم يسميها هــاء الاستراحة ، وهى تلحق الاسماء والافعال والحروف لثلاث علل : لصحــة الحركة التى فى آخر الكلمة قبلها وتبيينها ، كقولك : غلاميه ، وماليه ، ولم يغــزه ، ولم يتسنــه عند بعضهم ، وانه بمعنى نعــم ، وانيه «286» ، ولعله ، واشباه هذا ، أو لتمام الكلام المنقوص واستقلاله بها ، كقولك : عيه ؟ وامه ؟ وقه ، ولا تشه ، والوجه

---

«284» غديرتيها : ز ، غديرتها : س .
«285» فــرع : ز م ك ، فروع : س .
«286» وانيه : ك ، واينه : ز ، وابنه : س .

الثالث : للحاجة عند مــد الصوت قبلهــا فى آخــر الكامــة ، وذلك فى النداء والندبة ، وقد الحقوها فى الاسماء غير المتمكنة (66) اذا كان قبلها ألف لضعف الالف ، نحو : هاهناه وهاؤلاه ، ولم يفعــاوا ذلك فى المتمكنــة وبعــد الكنايــات ، فقالــوا : ضربتكه ، وضربيــه «287» ، وابيــه ، وغلاميــه «288» ، ففرعى واذنى من هذا الباب ، وذلك لخفاء الياء وان مــا قبلهــا ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها من غيرها فبينت بالهاء .

**مــعــنــــاه :**

وصفته بأنه أحسن اليهــا ، وحلاها ، ورفــه عيشهــا ، وسمنها ، وأراها المسرة فى أحوالها ، ومعنى قولها « ملأ من شحم عضدى » قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده ، وانمــا أرادت الجسد كله ، لان العضــد اذا سمنــت سمــن سائــر الجسد ، ووجه اختصاصها للعضد بذلك ــ والله أعلم ــ لأنــه أقرب ما يلى بصر الانسان من جسده ، وأول ما يظهر له فيــه سمنــه ، وفى حديث ابى هريرة : فجعلت أنظــر فى عطفى هل ســمــنــت ؟ .

وغريب قولها « وجدنى فى أهل غنيمة » هى تصغير غنم ، وقولها « بشق » والمحدثون يقولون بشق ، قال أبــو عبيــد :

---

«287» وضربيه : م س ، وضربته : ز ك .
«288» وغلاميه : س ، وعلايه وعلامايه وعلامــيه : ز ، وعلاميــاه وغلاميــه : ك .

---

(66) الاسم المتمكن هو المعرب ، وغير المتمكن هو المبنــى . وينقسم المعرب الى متمكن أمكن وهو المنصرف ، والى متمكن غير أمكن وهو غير المنصرف .

بالفتح هو موضع ، قال الهروى : وهو الصواب ، قال ابن الانبارى : هما بالفتح والكسر موضع ، قال ابن أبى اويس وابن حبيب : تعنى بشق جبل لقلتهم ، قال ابن ابى اويس : وقلة غنمهم .

**قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :**

كأنه يريد انهم «289» لقلتهم وقلة غنيمتهم حملهم سكنى شق الجبل أى ناحيته أو بعضه ، لان الشق يقع على الناحية من الشىء ويقع على بعضه ، والشق أيضا النصف ، فيكون على هذا وعلى ما جاءت به الرواية صحيحا ، وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح ، وهو أليق بقولها «290» لقلتهم أى شق فى الجبل كالغار ونحوه ، وله وجه آخر ذهب اليه نفطويه ، ورأيته للقتبى ، هو بالحديث أولى وأصح لغة ومعنى : أن الشق بالكسر الشظف من العيش والجهد منه ، قال ابن دريد يقال : هو بشق وشظف من العيش أى بجهد منه ، وعليه تأول قول الله تعالى ( الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ) «291» . وقولها « فى أهل صهيل واطيط ودائس ومنق » ، فالصهيل أصوات الخيل ، وعلى رواية « جامل وصاهل » أى جمال وخيل ، أو اصحاب جمال وخيل .

**عربيته :**

قولها « وجامل » فالجامل جمع جمل ، وهو اسم للجمع غير مكسر ، علبه الواحد ، قال النابغة :

---

«289» انهم : ز ك ، انه : م س .
«290» بقولها : م ك ، لقولها : س .
«291» سورة النحل ، الآية 7

أجادل يومـــا فى شوى «292» وجامل

يريد فى شاء وجمال ، ومثاله من « فاعـــل » الذى يـــراد بـــه الجمع قولهم باقر وطائر وسامر ودائر «293» ودابر «294» وكابر ، ولذلك قالوا كابـــرا عن كابـــر ، وقـــال على «295» : رؤوس كرؤوس الطائـــر ، وقال الله تعالـــى ( مستكبرين بـــه سامرا تهجرون «296» ) ، وقـــد يكـــون « جامل وصاهـــل » أسمـــاء فاعلـــين للرجـــال المـــالكـــين للجـــمـــال والخـــيـــل الصاهلة والطعام المداس ، كما قـــال :

فانـــك لابن بالضيـــف تـــامـــر

وقـــــال :

كايـــنى لهـــم يـــا أميـــمـــة ناصـــب

أى ذى نصب ، وذو تمر ولبن ، فيكون تقديره : فنقلنى من أهل جمال وخيل أو ذوى جمال وخيـــل ، وقولهـــا « وأطـــيـــط » : قال أبو عبيد : الاطيط أصوات الابـــل ، قال يعقوب : الاطيـــط الابل (67) وهو زفيرها من البطنـــة . ومن أمثالهم : لا أفعـــل ذلك ما أطت الابـــل .

---

«292» شوى : ز م ، شواء : س ، شواى : ك .
«293» ودائر : ز ، ــ : م ك س
«294» ودابر : م ك ، ــ : ز س .
«295» وقال على : س ، وقال . على : ز
«296» سورة المؤمنون ، الآية 67 .

---

(67) « الابل » : كذا بالاصول ، ولعلها : صوت الابل .

قـال الفقيه القاضي رضي الله عنه :

وأصل الاطبط صوت أعواد المحامل والرحال ، ويشبه «297» أن تريد بالاطيط هذا ، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة ، لان المحامل لا يركبهـا الا أصحاب السعـة والرفاهية «298» ، وكانت قديما من مراكب العرب ، ثـم ان الحجاج حسنها وزاد فيها ، فلهذا نسب اليه عملها ، ( فلهذا قيـل :

أول عبد صنع المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا ) «299»

وبهذا السبب غاط القتبى أبا عبيد وهو الغالط لما ذكرناه ، وفى الحديث فى ذكر سعة باب الجنة : « ليأتين عليه زمان وله أطيط ــ يعنى صوتـا ــ بالزحـام (68) » ، وفى حديـث غيـره : « وله أطيط كأطيط الرحل » ، قـال الهروى : الاطيط نقيـض صوت المحامل ، وفى الجمهرة : الاطيط صوت الرحل الجديـد والنسع اذا سمعت له صريرا ، وكل صوت يشبـه ذلك فهـو أطيط ، وقال ثعلب : الاطيط نقيض جلود الابل عنـد الكظـة ، و « الدائـس » قال أبو عبيـد : تأولـه بعضهم من ديـاس الطعام ، وهو دراسه ، وأهل العراق يقولون : الدياس ، وأهل الشام : الدراس ، قال ولا أظنها واحدة من هـاتين الكلمتين ،

---

«297» ويشبه : س ، والاشبه : ز .
«298» والرفاهية : ز س ، والرفاهة : م ك ، وكلاهما بمعنى واحد .
«299» فلهذا قيل .. وآجلا : ز ، ــ : م ك س

---

(68) هذا الحديث من مسند عتبة بن غزوان رضى الله عنه ، ونصه فى مسند الامام احمد ( 4 : 174 ) : « والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما ، وليـأتين عليه يوم كظيـظ الزحام » . والكظيظ هو المكتظ ، أى المتلىء ، الكثيف الزحام .

فان كان كما قيل فأرادت أنهم أصحاب زرع ، قـال الهـروى : درس الطعام وداسه واحد ، وحكى عن بعضهم الدائس الاندر ، قال يعقوب : الدائس الذى يدوس الطعام ، وقـال بعضهـم : الدائس الطعام الذى أهله فى دياسـه ، وعندهم من الطعـام غيره ، فخيرهم متصل وقولها « منـق » فالمحدثون يقولونـه بالكسر ، قال أبو عبيد : ولا أدرى مـا معناه ، قال : واحسبه « منق » بالفتح ، فأرادت بـه من ينقى الطعام ، وحكى الهروى عن بعضهم المنقى الغربال ، وقـال اسماعيل بن أبى اويـس : المنق بالكسر نقيق اصوات المواشى والأنعام ، تصـف كثـرة ماله ، وقال أبو سعيد النيسابورى : هو مأخوذ من نقـنـقـة الدجاج ، يقال أنق الرجل اذا كان له دجاج تنقـنق ، أى انهـم أهل طير أيضا ، وقال أبو مروان ابن سراج : ويجوز أن يكون منق بالاسكان ان كان روى ، أى وانعام ذات نقى أى سمان .

## معـنـاه :

وصفته انه نقلها من شظف عيش أهلها وتبلغهم بغنيمتهم ، ( ـ أو تبلغهـا هى بغنيمتها ـ على مقتـضى الروايـتين ـ ) «300» الى أهـل الثـروة ، والامـوال الواسـعـة ، مـن الـخـيـل والابـل والـرحـال والـزرع والـبـقـر ، والـدواب الـدائـسـة الكـثـيـرة «301» والـعـبـيـد والخول ، والآلات المنقية للاطعمة ، المصلحة لهـا ، والماشية

«300» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز ، ـ : م ك س .
«301» الكثيرة : ز ، ـــ : م ك س .

الكثيرة ، والطير المتنعم بأكلها ، وذلك أن اصحاب الغنم أهل شظف أو كفاف وعدم ثروة ، ومن دعاء العرب : أن كنت كاذبا فحلبت قاعدا ، أى صار مالك غنما يحلبها القاعد ، وبضد هذا أهل الخيل والابل ، وقد قال عليه السلام : « الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل الفدادين أهل الوبر ، والسكينة فى أهل الغنم » (69) ، فأخبرت هذه بانتقالها من تلك الحالة الى هذه ، ورغد عيشها بالبان هذه المواشى ولحومها ، وغير ذلك من الاطعمة ، لا سيما باشارتها بما «302» يداس وينقى الى الخبز ، وكان أرفع أغذية العرب وأعز أطعمتها ، اذ لا يجده منهم الا الكثير الثروة ومن قارب الارياف والحواضر ، والا فأكثر أطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان والتمر ، وعليه تدل أشعارهم . ومن غرابة أكل الخبز وعزته عندهم ما سمى عبد الله بن حبيب العنبرى « آكل الخبز » لاقتصاره عليه ، ورغبته عن غيره ، ولهذا قال كسرى ابرويز لهوذة بن على (70) وقد أعجبه كلامه : ما غذاؤك فى بلادك ؟ قال : الخبز ، فقال

---

«302» بما : س ، مما : ز .

---

(69) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى ، والفدادون : جمع فداد ، وهو مالك المئين من الابل .

(70) هو هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو ، الحنفى ، صاحب اليمامة ، وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الاسلام وفى العهد النبوى ، دخل على كسرى فأعجب به كسرى ، كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وارسل اليه سليط بن عمرو ، فأجاب بأنه ان جعل الامر له من بعده اسلم وسار اليه ونصره ، والا قصد حربه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، ولا كرامة ، اللهم اكفنيه » ، فمات بعد قليل .

كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر ، ومن غرابة حديث أبى (71) هريرة «303» قوله : وكنت أسمع أن من أكل الخبز سمن ، فجعلنا نأكل وننظر هل سمنا ، اذ وجدوا خبزة بخيبر «304» الحديث .

**وغريب قولها :**

« فعنده اقول فلا أقبح » ، أى يقبح قولى على ويرده ، وقولها « أتقمح » قال أبو عبيد : أى أروى حتى لا أحب الشرب ، مأخوذ من الناقة المقامح ، وهى التى ترد الحوض فلا تشرب وترفع رأسها ريا ، ومن رواه « فأتقنح » بالنون فان أبا عبيد قال لا أعرفه ولا أرى المحفوظ الا بالميم .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

وحكى أبو على القالى فى كتابيه «البارع» « والامالى » : يقال قنحت الابل تقنح ، بفتح النون فى الماضى والمستقبل ، قنحا باسكان النون ، وقال شمر : قنحا ، اذا كرهت «305» الشرب بعد الرى ، وأكثر كلامهم تقنحت تقنحا قاله أبو زيد ، وقال نحوه ابن السكيت وأبو حنيفة ، فهما اذا بمعنى ، والميم

---

«303» ابى هريرة : ز ك ، ابى برزة : م ، ابى بزرة : س ولعل الصواب الاول .
«304» بخيبر : ز ، تخبز : م ك س .
«305» كرهت : س ، تكارهت : ز ك .

---

(71) اختلف فى اسمه واسم ابيه اختلافا كثيرا ، لانه كان معروفا بكنيته لا باسمه ، واصح ما قيل فى ذلك : عبد الرحمن بن صخر ، ويجوز فى « ابى هريرة » التنوين وعدمه ، الا ان الاشهر عند المحدثين منعه من الصرف . وهو اكثر الصحابة رواية للحديث ، توفى سنة 58 هـ أو التى بعدها .

تتوارد مع النون كثيرا ، مثل غيم وغين ، وامتقع وانتقع ، وقال شمر عن أبى زيد : التقنح الشرب فوق الرى ، قال ابن حبيب : هو الرى بعد الرى ، قاله ابن أبى اويس ، وقال أبــو سعيد : هو الشرب على رسل لكثرة اللبن ، لانها ليست تتاهب غيرهــا الشرب ، انما يناهب عند القلة مخافة عجزه ، وقال يعقــوب : أتقنح : لا يقطع على شربــى ، ومن رواه « انفتــح » بالفــاء والتاء فان لم يكن وهما فمعناه عندى التكبر والزهو ، قال ابن دريد : الفتحة التيه والتكبر ، يقال فى فلان فتحــة ، ومثلــه فى كتاب العين للخليل ، ويكون هذا التيــه والكبــر من الشــراب لنشوة مسكرة ، كما قال حسان :

ونشربها فتحسبنا «306» ملوكا      واسـدا ما ينهنهنا اللقــاء

وقــال المنخل :

واذا شربت «307» فاننى      رب الخورنــق والسديــر

أو راجعا على الجملة لعزتها عنده ، وكثــرة الخير لديهــا ، فهى تزهو لذلك ، أو يكون « أتفتح » كنايــة عن سمــن جسمهــا واتساعه ، يقال باب فتح اذا كان واسعا ، وقولها : « أتصبح » أى أنام الصبحة ، وهى نوم أول النهــار ، وقولهــا « وآكــل فاتمنح » أى اطعم غيرى ، يقال : منحــه يمنحه ويمنحــه اذا أعطاه ، وأصله من المنحة والمنيحة ، وهو أن يجعــل الرجــل للرجل لبن شاته أو ناقته مدة ثم يردها ، ثم جعلت كل عطيــة منحة ، وجاءت بلفظة « أتفعــل » التى تقتضى تكــرار الفعــل

---

«306» فتحسبنا : س ، فتتركنا : ز .
«307» شربت : س ، انتشيت : ز ، وكلاهما صحيح .

وملازمته للفاعل ، ومطالبة نفسه أو غيره به ، فكأنها تطلب من نفسها من تمنحه ، أو تحرك اذلك غيرها لتنفضل عليـــه بما فضل من مأكوله لكثرتــه .

**معـــنـــاه :**

وصفت هذه بر زوجها بها وتدللها عليه وترفيهه لهــا وكثرة احسانه اليها ، فوصفت أنه لا يرد قولها ، ولا يقبح عليها ما تأتى به من كلام ، لاكرامه اياها ، وميله اليها وعزتهــا عنده ، وهذا مما يدل على العزة ، كما قال السموأل :

وننكر ان شئنا على الناس قولهم      ولا ينكرون القول حين نقول

وانها تنام صبحتها ، ولا تنبه من نومها حتى تنتبه ، ترفيها لها ، ودل من هذا الفصل أن غيرها يقوم بمؤونة بيتها ، ومهنة أهلها ، وان لها من الخدم من يكفيها ذلك ، فلذلك تصبحت فى نومهــا ، كما قال امرؤ القيس :

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقال الحطيئة :

ولا تقــوم باعلــى الفجــر تنــتطــق

أى تشد نطاقها للخدمة ، وانها تشرب حتى لا تجد لــه مساغــا فتكره الشرب بعد لتمام ريها ، أو أنهــا لا يقلــل مشروبهــا ، ولا تناهب ، ولا يقطع عليها ، حتى تتم شهوتها فيه ، لكثرتــه وكرامتها ، كما قال النابغة :

وتسـقى اذا مــا شئت غير مصــرد

أو أنها تعتريها لذلك نشوة وتيه ، وأنها تأكل وتفضل لها فضلات

تمنحها سواها . وجاءت بفاء التعقيب المقتضيـة ان اعطاءهـا ومنحتها كانت بعد أكلها وتمام حاجتها ، أوانها قد سمنت عنده وحسن جسمهـا .

تـنـبـيـه : قال أبو عبيد : ولا أراهـا قالت ذلك الا من عزة الماء عندهم ، يعنى قولها « أشرب فانتقمح » .

**قـال الفقيه القاضى رحمه الله :**

عنى أبو عبيد رحمه الله أنها لا تفخر بالرى من المـاء الا وهو عزيز ، والعجب منه ، وما اضطره الى هـذا التأويـل ؟ ، وكأنه لا شراب الا المـاء ، فأيـن أنـواع اللبـن والخمـر والنبيذ والسويق وسائر أشربة العرب التى كانوا يستحلونها ويستعملونها «308» من صريـف وضريب وصريح ورحيـق ونبيذ ومزر وجعة وبتع وفضيخ وطلاء وبـاذق وسويق (72) ،

«308» ويستعملونها : س ، — : ز .

(72) « الصريف » : اللبن الذى ينصرف به عن الضرع حارا . ( وهى فى الاصول كلها : ضريـف ، بالمعجمة ، وهـو تصحيـف ) .
و « الضريب » : الشهد ، بفتح الشين وضمها ، وهـو العسـل ما دام لم يعصر من شمعه . وعسل ضريب : مستضرب ، أى صار ضربا ، أى غلظ وابيض . و « الصريح » : اللبن اذا سكنت رغوته فأصبح خالصا . و « الرحيق » : صفوة الخمر و «النبيذ» : ما يعمل من الاشربة من التمر والزبيـب والعسـل والحنطـة والشعير وغير ذلك ، سواء كان مسكـرا او غيـر مسكـر . و « المزر » : نبيذ الشعير والحنطة والحبوب ، وقيل : نبيـذ الذرة خاصة . و « الجعة » : نبـيذ الشعير . و « البتـع » : نبيذ العسل . و « الفضيخ » : عصير العنب ، وهو أيضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده من غيـر ان تمسـه النـار ، و « الطلاء » : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلـثـاه . و « الباذق » : الخمر الاحمر . و « السويق » : الخمر ، وقيل : السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .

بل كانوا يذمون بشرب الماء ، ويهجون بـه ، كما قـال بعض الهـذليـين :

ومن تقلل حلوبتــه وينكــل     عن الاعداء يغبقــه القراح

أى من قل ماله وجبن عن الغارات ولم يصب المغانـم «309» رجـع شرابــه المـاء القــراح ، لاعـوازه اللبـن ، وقـال الآخــر :

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة     وأحسو قراح الماء والماء بارد

أى اوثر اضيافى وجيرتى بمطعومى ومشروبى ، واقنع بشظف العيـش وشـرب المـاء القـراح البـارد . بـل الـذى أرادت اللبن وشبهه ، والله أعلم .

وكان عمدة أغذية العرب على اللبـن وهو القائـم مقـام طعامها وشرابها ، وفى الحديث : « ليس شىء يقوم مقام الطعام والشراب الا اللبن (73) » ، وفى حديث بدر قال : « مـا رأيت كاليوم ، أمالكم رغبة فى اللبن ؟ » أى فى الغداء ، فيكون من ذلك بأيديكم ابل ذات لبن ، أو مال يتوصل به الى اللبن ، ففيه كان غالبا رغد عيشهم ، وطيب مطعمهم ، فهذا معنى قولها ــ والله أعلم ــ ، اذ لم يذكر فى أكثر الاحاديث سوى المشروب ، وقد

---

«309» المغانم : م س ، الغنائم : ز ك .

---

(73) اخرجه ابو داود من حديث ابن عبـاس مرفوعا : « ،، فانـه ليس شىء يجزىء من الطعام والشراب الا اللبـن » ، ( بـاب ما يقول اذا شرب اللبن ، من كتاب الاشربة ) ، واخرجه الترمذى فى الدعوات ، وابن ماجه فى الاطعمة ، والامام أحمد فى مسنـد ابن عباس ( 1 : 284 ) .

يكون قولها « اشرب » كناية عن الشرب والاكل لصحبة احدهما الآخر ، وقد استعملت العرب احدهما مكان صاحبه ، قال الشاعر :

شراب البان وتمر واقط

ولا نحتاج الى هذا ان ثبتت الزيادة المذكورة فى الاكل من قولها « وآكل فاتمنح » .

**وغريب قولها فى أم أبى زرع :**

« عكومها رداح » ، قال أبو عبيد وغير واحد من الائمة : العكوم الاحمال والاعدال والهنات التى تجمع الاطعمة والمتاع ، واحدها عكم ، والرداح الطعام الكثير الحشو ، قال الهروى : الثقيلة ، ومنه قيل للكتيبة الواسعة : رداح ، اذا كانت ثقيلة السير لكثرة من فيها ، ويقال للمرأة : رداح ، اذا كانت عظيمة الاكفال ، ثقيلة الاوراك ، وجفنة رداح عظيمة ، وجمل رداح عظيم ، وقال ابن حبيب فيما قرأته مضبوطا فى كتابه ولم أروه سماعا : انما هو دراح ، أى ملاء ، كذا سمعت ابن أبى اويس يقول : وليس كما قال شارح العراقيين ، الرداح غير هذا .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

ما قاله أبو عبيد وغيره صحيح معروف ، ومعناه ظاهر ، ولا أدرى لم أنكره ابن حبيب ، وهو بنفسه معنى ما فسره هو به مع مساعدة سائر الرواة لما قاله أبو عبيد ، فان روايتهم كلهم رداح ، لا كما قاله ابن حبيب عن ابن ابى أويس : دراح ، لم يذكرها غيره ولا شرحها سواه ، ولا سمعناها من شيخ ،

ولا وجدت هذه اللفظة فى جماهير اللغة ، وصحاح العربية ، الا أن تكون من قولهم رجل درحاية ، أى ضخم ، حكى ذلك ابـــن دريد قال : وهو من الدرح وهو فعل ممات ، وأنشد :

عكـــوك اذا مشى درحـــايه

وفى كتاب العين : الدرحاية القصير ، وقال يعقوب : الدرحايــة القصير الكثير اللحم ، الا أن يكون قد وهم عليه ، وانمــا أراد رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط ، ولقولــه وجــه ، ويكون رداح هاهنا بمعنى ما قال أبو عبيد لكنــه جمع رادح «310» كقائم وقيام ، ومنه الحديث : « أن من ورائكم فتــنا رادحــة (74) » ، وكذا وجدته مضبوطا عنــد بعــض رواة هذا الحديث بكسر الـــراء .

**عـــربـــيـــتـــــه :**

قولها « عكومها رداح » اعلم أن وجــه اعــراب رداح أن يكون خبرا لمبتدا مضمر ، ولا يصح أن يكون خبرا للعكوم لان العكوم جمع واحدها عكم ، والرداح واحد جمعه ردح ، ومنــه حديث على رضى الله عنه فى وصف الفتــن : متماحــلة ردح ، أى طويلة عظيمة ، وقال الشاعر :

الى ردح من الشيزى «311» عليها  لباب البر يلبـــك بالشهاد

«310» رادح : ك ، رداح : ز م س وهو غلط .
«311» الشيزى : ز ك ، الشيذى : س .

(74) لم أجده فى المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم . وعزاه ابن منظور الى سيدنا على رضى الله عنه بلفظ : ان من ورائكم فتنا مردحة ، ( لسان العرب ، مادة ردح ) .

فلا يصح أن يكون « رداح » خبرا للعكوم ، لانـــه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز ، والا أحرفـــا مسموعة ، مثل قولهم درع دلاص ، وادرع دلاص ، وقد قيـــل دلـــص ، وامرأة هجان ونسوة هجان ، وقد قيل هجائن ، وشمال «312» للواحـــد والجمـــع ، وفلـــك للواحـــد والجـمـــع ، فى احـــرف قليلة ، وقيل : منه قولهم : رجل سلم ، وخصم ، وعدو ، وقـــوم سلم ، وخصم ، وعدو ، فى أحرف سمعت ، وقد اختلف أهـــل العربية فى قوله تعالى « أوليـــاؤهم الطاغوت «313» » فقـــال بعضهم هو واحد ، وذهب المبرد الى أنه جمع ، وقرأ الحسن : أولياؤهم الطواغيت ، قال سيبويه : هو اسم واحد مؤنث يقـــع للجمع كهيئته للواحد ، وقـــال الفارسى : هو مصدر كالرغبوت والرهبوت ، كما قـــال :

فهـــم رضى وهـــم عـــدل

وأما رأس هذا العلم ومقتدى القوم الخليل بن أحمد فله فى هذه الكلمات مذهب ، فعنده أن هجانا واحد مع الواحد جمـــع مـــع الجمع ، وانه عنده فى الجميع بمنزلة ظراف ، قـــال الفارسى : كأنهم كسروا فعالا على فعال كما كسروا فعلا على فعـــل ، فى قولهم فلك للواحد والجمع ، قال فالحركـــة التى فى « هجـــان » للجمع ليست التى فى المفرد ، فان الحقنـــا هذا بمـــا ذكرنـــاه وادخلناه فى بابه على اختلاف مذاهبهم توجه لكونه مسموعا فى هذا الحديث ، أو نجعل « رداحا » مصدرا كالذهاب والثبـــات

---

«312» وشمال : س ، وشمائل : ز .
«313» سورة البقرة ، الآية 257 .

والطلاق والكمال ، فيكون خبرا للعكوم ، كما قالوا : قوم عدل ، ورضى ، على قول بعضهم انها مصادر ، أو تكــون على طريق النسبة والاضافة أى عكومها ذات رداح ، كما قال الخليل رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : « السماء منفطر بــه «314» » أى ذات انفطار ، أو تكون أرادت بعكومها الكفل ، فقالت « رداح » وردته على الكفل الذى كنت عنه بالعكوم لعظمه ، فكان « رداح » خبرا له حملا على المعنى اذا «315» كان واحدا ، كما قال :

ثــلاث شخوص كاعبان ومعصر «316»

فانث حملا على المعنى اذ كن نســاء ، والا فوجهــه أن يكون « رداح » خبر مبتدأ مضمر دل عليه مــا قبله ، وتقديــر ذلك : عكومها كلها رداح ، أو عكومها كل عكــم منهــا رداح ، كمــا قــال علقمــة «317» :

جدورهــا من أتــى المــاء مطــمــوم

على رواية من رواه بالجيم ، أى جدورها كل جدر منها أوكلهــا مطموم ، أى مملوء ، والجدور جمع جدر وهى حواجز الشربات التى تحبس الماء فى أصول النخل ، وأنشد بعض النحاة عليــه قول الاسود بن يعفر يصف جفنة :

تــرى جوانبــها بالشحــم مفتــوقــا

أى ترى كل جانب منها مفتوقا ، ولم تقبــح هذه المجازات فى

---

«314» سورة المزمل ، الآية 18 .
«315» « اذا » : كذا بالاصول ، ولعل الاصوب ( اذ ) .
«316» معصر : ز م ك ، معصم : س ، وهو تصحيف .
«317» علقمة : م س ، علفة : ك .

كلامها لاجل الازدواج والتسجيع ، على حد كلام العرب ومذهبهم فى الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع ، وقولها « فياح » الفياح والفساح بمعنى واحد ، أى بيتها واسع ، يقال بيت فسيح وفساح ، ودار فيحاء ، أى متسعة ، وبيت أفيح ، ومنه الحديث فى شدة الحر : « انه من فيح جهنم (75) » ، أى من سعة حرها وانتشاره ، ومن رواه « فياح » فعلى باب من المبالغة .

## معناه :

وصفتها بسعة المال وكثرة الخير والآلات ، وسعة فناء البيت وكبره ، وهذا لا يكون الا مع الوجد ، وقد يحتمل أن يكون كنى بالعكوم ورداحتها عن كفلها وعظمه ، كما قالوا جارية رداح ، أى عظيمة الكفل ، وجعل الكفل عكوما وهو جمع لعظمه ، كأن كل ناحية منه عكم ، وكنى بسعة البيت وفسحة الفناء عن كثرة خيره ، ورغد عيشه ، والبر بنازله ، كما كنوا بالرحب عن ذلك فى قولهم : مرحبا ، وقالوا : فلان رحب المنزل ، ولا يريدون سعة قطره ، بل كثرة خيره ، ووفور بره ، فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيان ، ووقع فى بعض روايات شيوخنا فى هذا الفصل : أم زرع وما أم زرع ؟ ، فان صحت هذه الرواية فانها انما وصفت نفسها ، وكذا حدثنا بها بعض ثقاة شيوخنا عن ابى العباس العذرى .

(75) رواه الامام مالك واحمد والدارمى والستة .

**وغريب قولها فى ابن أبى زرع :**

« كمسل الشطبة » قال أبو عبيد والحربى «318» : واصل الشطبة ما شطب من جريد النخل وهو سعفه ، وهو أن تشق منه قضبان رقاق تنسج منها الحصر ، قال يعقوب : الشطبة السقة (76) من سدى الحصير ، وقال ابن الاعرابى وأبو سعيد النيسابورى : أراد بمسل الشطبة سيفا سل من غمده ، وقال ابن حبيب : الشطبة العويد المحدد كالمسلة ، والجفرة : الانثى من أولاد المعز «319» ، والذكر جفر وهو ابن أربعة أشهر ، كذا قال أبو عبيد وغيره ، وجمعه جفار ، وقال ابن الانبارى : هو من ولد الضأن ، وكذا قال ابن دريد ، قال : وهو الثنى منها ، وفى كتاب العين : الجفر من أولاد الشياه ما استجفر أى صار له بطن ، قال الهروى : الجفر من أولاد الغنم ، فاذا أتى على ولد الغنم أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى قيل له جفر والفيقة : ما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والفواق : ما بين الحلبتين ، واليعرة العناق ، والذكر اليعر ، وقولها « وتميس » تتبختر ، والنثرة : الدرع ، وهو ما لطف منها ، كذا قال الهروى ، وقال نحوه ابن الانبارى ، قال : هى القصيرة ، وعند الخليل : هى السلسة الملبس ، وقال الثعالبى وثابت : انها الواسعة ومثله النثلة والزغفة والفضفاضة .

---

«318» والحربى : س ، الحربى : ز .
«319» المعز : ز ك ، العنز : م س .

---

(76) السقة : كذا بالاصول ، ولعلها « السفة » . والسفة : ما يسف من الخوص كالزبيل ونحوه ، أى ينسج .

## مـــعـــنــــــاه :

وصفته بأنه مهفهف الخلق ، ضرب اللحم ، ليـــس ببـــطين ولا جظ جعظرى جواظ (77) ، وكنت عن ذلـــك بأن مضجعـــه الذى ينام فيه فى الضيق كمسل شطبـــة واحدة اذا سلـــت من الحصير فبقى مكانها فارغا بين «320» أخواتها ، وهو ممـــا يتمادح به رجال العرب ، أو أنه مثل غمد السيف ، وهو قريب من الاول ، قال أبو سعيد : شبهتـــه بسيف مسلول ذى شطب يمان ، وسيوف اليمن كلها ذات شطب . قال ابن حبـــيب : عنت انه خفيف المئونة مهفهف ، وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف ، فوجه تشبيهها بذلك اما لخشونة جانـــبها ومضائهـــا «321» ، أو جمال رونقها ولألائهـــا ، أو كمـــال صورتهـــا فى اعتدالهـــا واستوائها ، كما قال الشاعر :

يشبهون سيوفـــا فى صرائمهم وطول أنضية الاعناق والامم

وقـــال آخـــر :

كان جبـــيـــنه سيـــف صقيـــل

«320» بين : س ، من بين : ز .
«321» ومضائها : س ، او مضائها : ز .

(77) فى هذا اقتباس من الحديث الذى رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال عند ذكر اهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . ( رقم الحديث 6580 ) ، و « الجعظرى » ( بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة ) : الفـــظ الغليظ المتكبـــر ، و « الجواظ » ( بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة ) : مثله . و « الجظ » : قريب منه .

وقـــال آخـــــر :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقـــال الاعشـــى :

ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائدا

وقالـــت الاعرابيـــة :

أحبـــه بازل عـــــام كالمهنـــد الصمصـــــام

وكذلك أيضا شبهوهم بالرماح ، كما قال :

هما رمحان خطيان كانـــا من السمـــر المثقفة الصعاد

وقـــــال آخـــــر :

مصاليت أمثـــال الرديـــنـــية السمـــر

ثم وصفته بقلة الاكل والشرب ، وهو مما يتمادح بـــه أيضا كما تقدم ، ثم وصفته بأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء فى موضـــع الـــقـــتـــــال .

**وغريب قولها فى ابنـــته :**

« صـــفـــر ردائـــهـــا » فـــالـــصـــفـــر : الـــخـــالـــى الفارغ ، وقولها : غيظ جارتها : أى ضرتها ، ويحتمل أيضـــا أن تكون الجارة بالسكنى ، فالضرة انما سميت جـــارة لمجاورتها ضرتها ، وتسمى الزوجة جارة أيضـــا لمجاورتهـــا الـــزوج ، قـــال الـــشـــاعـــر :

أيـــا جارتـــا بيـــنـــى فانـــك طـــالقـــه

و « عقر جارتها » فى رواية من رواه ، وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه عن الحسن بن على الحلوانى : أى دهش جارتها ، قال

صاحب كتاب الجمهرة : عقر فلان عقرا : اذا خرق من فزع ، قال صاحب كتاب العين : عقر الرجل : اذا دهش ، وقد قال أهل المعاني في قول الشاعر :

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبي العقير

انه الدهش ، وقد يكون أيضا من العقر الذي هو القتل ، من قولهم : عقر الرجل ابله ، أي نحرها ، ومنه : كلب عقور ، وفرس عقير ، وصيد عقير ، واصله من عقر النخل ، وهو قطع رأسها فتهلك ، ويكون هذا بمعنى الرواية الأخرى « حين جارتها » وهي رواية شيخنا القاضي التميمي في بعض طرق النسائي ، وكذلك قيده بخطه عن أبي علي الحافظ ، فالحين الهلاك ، أو يكون من العقر الذي هو الجرح ، قال الخليل : العقر كالجرح ، ومنه قولهم : سرج معقر «322» اذا كان يعقر ظهر الدابة ، أي يجرحه ، ومن معناه ما تقدم في قولهم كلب عقور أي يجرح ، وصيد عقير أي مجروح ، ومن رواه « عبر جارتها » حكى ذلك الانباري والهروي ، وهي رواية الهيثم بن عدي ، فمن العبرة التي هي البكاء ، أو العبرة التي هي الاعتبار ، أي أن ضرتها تبكي حسدا لما تراه منها من خلق أو خلق ، أو تعتبر من ذلك ، قال ابن الانباري : معناه أن ضرتها ترى منها ما يعبر عينيها «323» أي يبكيها ، قال وفيه معنى آخر : انها ترى من عفتها ما تعتبر به ، ومن رواه « غير

---

«322» معقر : م س ، معقار : ز ، معقرا : ك .
«323» عينيها : س ، عينها : م ك .

جارتها » وكذا رويناه فى بعض الاحاديث المنثورة «324» عن ابى بكر محمد بن عبد الله الفقيه من رواية ابى سلمة المنقرى ، فهو من الغيرة ، قال الخليل : غار الرجل غيرة وغيـرا «325» فهو غيران ، فكأن الهاء حذفت وابدلت من الالف ياء ، وقد حكى غيره : الغيرة والغير والغار بمعنى ، والغير أيضا مصدر غـار أهله ، أى مارهم ، قاله ابن دريد . ومن رواه « حيـر » فمن الحيرة ، وكذا وقع فى كتاب النسائى عند بعضهم ، وأراه هكذا عند ابن الاحمر القرشى ، قال صاحب العين : حار بصره يحار حيرا وحيرة اذا نظر الى الشىء فعشى وتحيـر ، واستحـار اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران ، وهذه الالفاظ كلها بمعنى متقارب من الرواية المشهورة ، أعنى « غيـظ جارتهـا » ، ومن رواه « حبر » بالباء ، وكذا وجدته فى بعض الاصول ولم اروه ، فان صح فهو من معنى قولها قبل : « طوع أبيهـا وأمهـا وحبـر جارتها » أى مسرة مجاورتها ، ولا تكون الجارة هنـا الضرة ، لكن المجاورة فى المحل والمنزل ، فهى مسرورة بما تـراه من جمالها وعفتها ، أو بما توليها من احسانها ونعمتهـا ، والحبرة السرور ، ومنه قوله تعالى « فى روضة يحبرون «326» » ، والحبر والحبار الاثر ، قالوا : ومنه سمى السرور ، لان اثـره يظهر فى وجه صاحبه .

«324» المنثورة : س ، المشهورة : ز .
«325» وغيرا : س ، وغارا : ز .
«326» سورة الروم ، الآية 15 .

**مـعـنـــــاه :**

وصفتها بأنها ممتلئة الجسم ، كثيرة اللحـــم ، وعبرت عن ذلك بامتلاء كسائها ، لانها لا تمتلىء الا لعظم جسمها ، وكمال شخصها ، وكثرة لحمها ، ونعمة جسمها ، وهذا مما يمدح بــه النساء ، ويذممن بضده ، قال امرؤ القيس :

وبيت عذارى يوم دجن ولجته      يطفــن بجماء المرافق مكسال
سباط البنان والعرانين والقنا      لطاف الخصور فى تمام ولكمال

وقـــــال غـــيـــره :

ومخملة باللحم من دون ثوبها      تطول القصار والطوال تطولها

وقال الحرمازى «327» فى ضده :

لا يعجــب المـــرء منهــا حين يعجلها
من دون أثـــوابهـــا عـــرض ولا طـــول
كأنهـــا مشجب شكت مآشره «328»
أو طائـــر من بـــنـــات المـــاء مهـــزول

وقــــال الآخـــــــر :

فى كل عضـــو لهـــا قـــرن تصـــك بـــه
جنـــب الضجيع فيضحى واهى الجسد

وفى المثل : لو قيل للشحم أين تذهب ؟ لقـــال : اصلح العوج ، وعابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن ، فعابـــوا الفرضاخة ،

---

«327» الحرمازى : ز ك ، الحرمازنى : م س ، ولعل الصواب الاول ، والحرمازى : هو اعشى بنى حرماز واسمه كهمس .

«328» مآشره : س ، مآسره : ز .

والمفاضة ، والعفضاج ، والعضنكة ، والجأنب (78) ، ومدحوا المبتلة ، والخدلجة ، والبرهرهة ، والعبهرة ، والدرماء ، واللفاء (79) ، وعابوا الدميمة (80) ، والقصيرة ، ومدحوا الطويلة والعطبول ، والفارعة ، والخرعبة ، والممشوقة ، والمهفهفة (81) ، قال الشاعر :

طويلة خوط المتن عند قيامها ولى بطويلات المتون ولوع

وقال الآخر :

وأنت التى حببت كل قصيرة الى ، وما تدرى بذاك القصائر

اردت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطى ، شر النساء البحاتر

---

(78) « الفرضاخة » : العريضة الغليظة كثيرة اللحم عريضة الثديين . و « المفاضة » : العظيمة البطن المسترخية اللحم . و « العفضاج » : مثله . و « العضنكة » : العجزاء اللفاء الكثيرة اللحم المضطربة ، وقيل : هى التى ضاق ملتقى فخذيها مع ترارتها وذلك لكثرة اللحم ، والترارة السمن . و « الجأنب » : القصيرة .

(79) « المبتلة » : التامة الخلق التى انفرد كل شىء منها بحسنه . و « الخدلجة » : الرياء الممتلئة الذراعين والساقين . و « البرهرهة » : السمينة التى لها بريق من صفائها . و « العبهرة » : الممتلئة الرقيقة البشرة الناصعة البياض . و « الدرماء » التى لا تستبين كعوبها ولا مرافقها لكثرة اللحم فهى غير ناتئة ، وهو دليل السمن . و « اللفاء » : ملتفة الفخذين ، أى ضخمة الفخذين مكتنزة .

(80) « الدميمة » : القبيحة .

(81) « العطبول » : الجميلة الفتية الممتلئة الطويلة العنق . و « الفارعة » : الطويلة . و « الخرعبة » : الشابة الحسنة الجسيمة فى توام . و « المشوقة » : حسنة القوام قليلة اللحم . و « المهفهفة » : الخميصة البطن الدقيقة الخصر .

وقال عروة بن الزبير : ما عشقت من امرأة قط الا شرفها ، قيل طولها ، وقيل حسبها ، ثم وصفتـها بعظم الروادف ، وقيـام الصدر ، وحسن بنـية الكتفين ، وضمور البطـن ، واندمـاج الخصر ، بقولها « صفر ردائها » أى ان رداءها كالفارغ الخالى منها ، اذ لا يمس من جسمها شيئا ، فردفها وكتفاها تمنع مسه من خلفها شيئا من جسمها ، ونهداها يمنعانه أن يمس شيئا من مقدمها ، وقد قال الآخر :

ابت الروادف والثدى لقمصها     مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشى تناوحت     نبهـن حاسدة وهجن غيورا

وذهب الهروى الى ان معنى قولها : « صفر ردائها » أى انهـا ضامرة البطن ، والرداء ينـتهى الى البطن ، وقال أبـو الحسن ابن ابى معشر النحوى : « صفر ردائها » تصفها بأنها خفيفـة موضع الاردية «329» ، وهو أعلى بدنها ، و « ملء كسائها » تقول : ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنهـا ، ونحوه لابن ابى اويس ، وهذا كما قال الآخر :

تساهم ثوباها ففى الدرع رادة     وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

وكما قـال ابن الطثـرية :

عقيـلية أمـا مـلأت ازارهـا     فدعص ، واما خصرها فبتيل

ويؤيد هذا المعنى ما وقع فى بعض الروايات « مـلء ازارها » فى موضع « كسائها » ، فجاء مطابقا للبـيتين ، فان الازار هو ما ائتزر به ، والمرط : كساء من صوف مربع كان النساء يأتزرن

---

«329» الاردية : س ، الردية : ز م ك .

به ، وقد يكون من غير الصوف ، وقال ابن دريد : المرط ملحفة يؤتزر بها ، فاستبان من هذا ان الكساء والازار هاهنا بمعنى المرط فى البيت ، ثم أكدت الثناء عليها بأنها خير نسائها ، أى نساء وقتها أو قومها ، وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها فى الكمال وخلقها : غيظ جارتها ، أى ضرتها ، أو مجاورتها ، وان ما تراه من ذلك يغيظها وتغار له ، وتحار منه ، وتعتبر حتى لا تهتدى لامرها ، ولا تستقيم لسبيلها ، ويكاد بصرها يعشى اذا نظرت الى جمالها وكمالها ، اذ ليست كذلك ، ويعقرها ويبكيها حسدا لها ، وغيرة بها ، فيكون معنى يعقرها : اما يهلكها حسدا ويسبب حينها ، أو يجرح لذلك قلبها ويبكيه «330» ، على ما تقدم من تفسير عقر ، ويكون معنى هذه الالفاظ كلها متشابها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

فى هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن مجهولات ، فبنت أبى زرع وان كانت منسوبة فهى فى حكم المجهولة ، لبعد وقتها ، وفناء زمنها ، ومجهلة عينها وابيها ، والذى يمنع من ذلك : وصف النساء المعينات بحضرة الرجال ، وان يذكر من أوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال اشفاف النظر اليه ، أو توصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء عليه ، وقد قال عليه السلام :

«330» يبكيه : م س ، ينكيه : ك .

« لا تصف احداكن جارتها الى زوجها حتى كأنه يراها (82) » .
وزجر عليه السلام « هيت » المخنث ، ويقال « ماتع » المخنث ، والقصة لهيت أشهر ، ومنعه الدخول على نسائه اذ سمع منه من وصفه لبادية بنت غيلان الثقفية ما سمع ، فقال له : لقد غلغلت النظر يا عدو الله ، وفى رواية الا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، ثم نفاه عن المدينة لذلك الى الحمى (83) . وكراهة

---

(82) رواه البخارى فى باب لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها من كتاب النكاح ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها » . ورواه أبو داود فى باب ما يؤمر به من غض البصر من كتاب النكاح ( رقم 2150 ) . ورواه الترمذى فى الاستئذان ، والنسائى ، والامام احمد ( رقم 3609 ، 3668 ، 4175 ) .

(83) روى البخارى فى باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المراة من كتاب النكاح ، عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عندها وفى البيت مخنث ، فقال المخنث لأخى أم سلمة عبد الله ابن ابى أمية : ان فتح الله لكم الطائف غدا ادلك على ابنة غيلان ، فانها تقبل باربع وتدبر بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هذا عليكم » . ورواه البخارى أيضا فى المغازى وفى اللباس . ورواه مسلم فى باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب من كتاب السلام ، وادخل فى الباب حديث عائشة قالت : كان يدخل على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث ، فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة ، قال : فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة ، قال : اذا اقبلت اقبلت باربع ، واذا ادبرت ادبرت بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا ارى هذا يعرف ما هاهنا ، لا يدخلن عليكن » . قالت : فحجبوه . ورواه الامام مالك فى الاقضية ، وابو داود فى الادب ، وابن ماجه فى النكاح وفى الحدود .

قال ابن حجر : وزاد ابن الكلبى فى حديثه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله » ، ثم أجلاه عن المدينة الى الحمى .

النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنـــه لوجـــوه :
احدها : ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من أجسامهن وعوراتهن بين النساء والرجال مما لا يجـــوز الاطلاع عليـــه .
والوجه الثانى : انه أنكر عليه غلغلة النظر الى أن وصل منـــه الى معرفة ذلك مـــما لا يبـــاح للنســـاء ، فكيـــف للرجـــال ؟
والثالث : انهم كانوا يعدونه من غير اولى الاربـــة من الرجال الذين يجوز لهم الاطلاع على ظواهر محاسن النساء ، فلما رآه يقصد من أوصاف النساء الى ما يستحسنه الرجال دل ذلك على أن عنده اربة فى النساء وميلا الى ما يرغبه الرجـــال ويميلـــون اليه ، وقولها « طوع أبيها ، وطوع امهـــا » أى انهـــا بـــارة بهما ، غير خارجة عن رأيهما ، وهذا يدل على عفتها وعقلهـــا ، ومن رواه « زين » فمعناه أن من له مثل هذه البنت فى كمالهـــا وجمالها يتزين بها ويتجمل ، قال الله تعالى : « المـــال والبنون زينة الحياة الدنيا » «331» .

**وغريب قولها** « برود الظل » أى انها حسنـــة العشرة ، كريمة الجوار ، يقال فلان يأوى الى ظل فلان ، اذا كان تحت اكرامـــه وعـــزه وحمـــايتـــه ، كـــأنـــه اســـتـــراح الـــيـــه استراحة المستجير «332» بالظل «333» ، والظل يعبر بـــه عن العز ، حكاه ابن دريد ، وهذا يؤيد رواية من روى « حبر جارتها » ، وقولها « وفى الال » أى العهد ، قاله ابن الانبـــارى

«331» سورة الكهف ، الآية 46 .
«332» المستجير : ز ، المستحر : م ك ، المستريح : س .
«333» بالظل : س ، للظل : ز ك .

والهروى ، و « الال » أيضـا القرابـة ، قـال الله تعالـى : ( لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة «334» ) أى قرابة ولا عهدا عند بعضهم ، وقولها « كريم الخل » أى الخليـل والصاحب ، وقد تصفها بشرف الزوج فهو خلها ، وقد تريد بـ « الخل » هنا المخاللة والصحبة ، قال الحربى : يقال فلان كريم الخـلة والخل والمخاللة أى الصحبة .

### عـربـيـتـه :

ذكر « برودا وكريما ووفيا » ، والموصوف به مؤنث لانها ذهبت به مذهب التشبيه ، أى هى كرجل بهذه الصفة ، قاله ابن «335» الانبارى وأنشد عليه لعروة بن حزام :

وعفـراء «336» عنـى «337» المعـرض المتوانى

وفيه وجه آخر : على تقدير الحمل له على مذكـر محـذوف ، كأنها قالت هى شخص أو شىء برود الظل وكذا وكذا «338» ، وقد حمل عليه معنى بيت عروة المذكور .

### مـعـنـاه :

وصفتها بحسن الصحبة والرعاية لمن صحبها وجاورها ، وكرم العشرة معهم وعزهم فى جوارها ، وانها ذات خل كريم ،

---

«334» سورة التوبة ، الآية 10 .
«335» ابن : ز س ، ـــ : م ك .
«336» عفراء : ز ك ، عقراء : م ، عضراء : س .
«337» عنى : ز ك ، اعنى : م س .
«338» وكذا وكذا : س ، او كذا : ز ، او كذا كذا : م ك .

وزوج شريف ، ان فسرنا الخل بالخليل ، اوانها كريمة المخاللة والمعاشرة ان كانت كنت بالخل عن ذلك ، وانها وفية لعهود الزوج والجار ؛ وصولة لمن بينها وبينه ذمة أو سبب .

**غريب قولها فى جارية ابى زرع : « لا تبث حديثنا » أى** لا تنشره وتظهره ، يقال بثثت فلانا سرى ، أى أظهرته له واطلعته عليه ، واصله النشر ، قال الله تعالى « كالفراش المبثوث » «339» ، ومن قال ( تنث ) بالنون : فمعناه تظهر ، يقال نث الحديث ينث ، قال ابن الاعرابى : النثاث المغتاب ، وقال ابن حبيب : النث والبث بمعنى ، ويؤيده «340» ما ورد مفسرا فى الحديث الآخر قولها « ولا تخرج حديثنا » ، و « تبثيثا » «341» مصدره ، ومن رواه « تفتيشا » «342» فمعناه استقصاء على حديثهم ونما بهم . وقولها « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » قال ابو عبيد : التنقيث : الاسراع فى السير ، أى لا تذهب به وتخون فيه ، وهذا مثل قوله فى الرواية الثانية « تنقل » ، واصله من قولهم : تنقثت العظم ، اذا استخرجت ما فيه ، وقال النيسابورى : التنقيث اخراج ما فى منزل أهلها الى غيرهم ، وهما متقاربان ، وقال ابن حبيب : معناه لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ،

---

«339» سورة القارعة ، الآية 4 .
«340» ويؤيده : س ، ويعضده : م ك ، وبعضه : ز وهو تصحيف .
«341» تبثيثا : ز ك ، تنثيثا : م س ، ولعل الاول اولى .
«342» تفتيشا : ز ، تغشيشا : ك ، تنشيشا : م س ، ولعل الاول اصوب .

وليس من الاسراع فى السير ، والتنقيث من الفساد والتفرقة ، وقال ابن السكيت : تنقيثا أى نقلا ، وقال ابن ابـــى اويـــس : لا تسرق ، وعلى رواية من قال تغث «343» فمعناه تفســد ، وكذلك روى « تفسد » مفسرا فى الحديث الآخر ، ومنه حديث ابى بكر : ان مما صغر عندى هذا الفتح وغثتــه «344» على بكاء الحى على القبيل ، قال ثابت : أى أفسده ، واصلــه مــن العثة «345» ، وهى السوسة ، يقال عثت الصوف اذا أكلته .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

فعلى هذا أيضا يصح معنى « تغث » أى تأكل أكل فساد كما تفعل السوسة (84) ، وقولها فى رواية الزبير « تفســد ميرتنا تقشيشا » «346» فمعناه عندى قريــب مــن الاول ، أى لا تفسد ميرتنا بالنقل والخيانة والاحتجــان والاسراف فى أكلهــا ، قال الخليل رحمــه الله : أقــش القــوم وانقشــوا اذا اختلطــوا ، قــال : والــقــش والاقــشــاش طــلــب الاكل ، قال ابن دريد : والتقشيش مثله ، قال : وقش مــا على الخوان اذا أكله أجمــع ، قــال : وقششــت الشىء قــشــا اذا جمعته ، وحكى الثعالبى عن الليث : القش والتقشيش طلب الاكل من هنا وهنا . و « الميرة » ما يمتاره البدوى من الحضر

«343» تغث : ز ، تعث : س .
«344» غثــته : ز ، عثــته : س .
«345» العثة : م ك ، الغثة : ز ، العثــته : س وهو غلط .
«346» تفشيشا : س ، تعشيشا : ز . ولعل الصواب : تقشيشا .

(84) « تغث » : بالغين المعجمة ، أما « العثة » التى هى السوسة : فبالعين المهملة . تأمل .

من دقيق «347» وغيره ، فمعانى هذه الالفاظ وان اختلفت متقاربة ، وقولها « ولا تملأ بيتنا تعشيشا » فمن رواه بالعين المهملة فمعناه أى انها مصلحة للبيت ، مهتبلة بتنظيفه والقاء كناسته وابعادها منه ، وليست ممن تضم كناسته وسقطه هاهنا وهاهنا ، وتتركها مجتمعة فى أماكن منه كأنها الاعشاش ، هكذا فسر هذا المعنى بعضهم ، وقال ابن ابى اويس عن أبيه : أرادت انها تقم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب فكأنه عش طائر فى قذره وقشبه . وقال الهروى : لا تفسد ميرتنا تعشيشا «348» ، معناه أنها لا تخوننا فى طعامنا فتخبأ فى هذه الزاوية شيئا وفى هذه شيئا كالطيور اذا عششت عششة فى مواضع شتى ، وقال الخطابى : هو مأخوذ من قولهم عشش الخبز اذا فسد ، يريد انها تحسن مراعاة الطعام ، وتتعاهده بأن تطعم منه أولا فأولا طريا ، ولا تغفله فيفسد ، ومن قال « تغشيشا » بالغين المعجمة فهو من الغش ، قال الهروى : وهو بمعنى الاول ، وقال ابن السكيت : هو من النميمة ، وقولها « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » أى لا تستخرجها استخراجا ، والنجيثة ما يخرج من البئر من تراب .

**معناه :**

وصفتها بالامانة على السر «349» والمال ، والقيام

---

«347» دقيق : س ، طعام : ز .

«348» لا تفسد ميرتنا تعشيشا : س ، ـ : ز . ولعل الصواب اثباتها .

«349» السر : س ، الاهل : ز .

بمصالح خدمتهم ، والنصح لهم ، وانها لا تفشى لهم حديثا ، ولا تبذر لهم طعاما ، ولا تخون فيه ، ولا تنقله الى غيرهم ، ولا تفسده ، ولا تسيء صنعته وتضيعه ، ولا تدخل بينهم الضغائن ، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم .

**وغريب قولها فى ضيف أبى زرع** « فى رتع ورى » أى تنعم «350» . قال الله تعالى ( نرتع ونلعب «351» ) (85) وأكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة ، وقولها : « طهاة أبى زرع » أى طباخوه ، قال أمرؤ القيس :

فظل طهاة اللحم من بين منضج

وقولها « لا تفتر » أى لا تسكن ولا تضعف فى خدمتها ، والفتور السكون ، والفتور الضعف ، وقولها « ولا تعدى » أى لا تصرف ، قاله ابن الانبارى ، يقال «352» عداه عن الشيء

---

«350» تنعم : س ، لهو : ز .
«351» سورة يوسف ، الآية 12 .
«352» يقال : س ، قال ابن دريد : ز .

---

(85) قوله تعالى : « نرتع ونلعب » بنون المضارعة فى الكلمتين ، وباسكان العين فى « نرتع » : على رواية حفص عن عاصم . والمعنى من الرتع ، أى الاكل والشرب ما شاء الانسان فى خصب وسعة ، أو هو الاكل والشرب رغدا فى الريف ، واكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة كما قال القاضى عياض رحمه الله .
أما رواية ورش عن نافع فهى : « يرتع ويلعب » بياء المضارعة فى الكلمتين ، وبكسر العين فى « يرتع » والمعنى فيها من الرعى .

يعدوه اذا صرفه عنه ، قال ابن دريد «353» : ويقال العداء والعدواء الشغل يعدوك عن الشيء ، وقولها « تقدح » أى تغرف والمقدحة المغرفة ، قاله الهروى وغيره ، « وتنصب » ترفع على النار ، قال ابن دريد : نصب القوم السير اذا رفعوه ، وكل شيء رفعته فقد نصبته ، والمنصب شيء من حديد تنصب عليه القدور ، وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ذو منصبة أى كد وتعب ، وقولها فى ماله « على الجمم معكوس » الجمم جمع جمة وهم القوم يسألون فى الدية ، قاله ابن الانبارى ، وأنشد :

نضرب فى الهيجا ونعطى فى الجمم

و « معكوس » أى مردود معطوف ، و « العفاة » ، السائلون ، و « محبوس » موقوف عليهم .

**معناه :**

وصفت توسعته على ضيفانه فى المأكول والمشروب ، واكرامهم بما يطربهم ويلهيهم ويسرهم ، وانه جواد كريم ، لا ينقطع اطعامه ، ولا تغب قدوره ، ولا تستريح طهاته ، وان ماله محبوس على السؤال والطالبين ، موقوف على مبتغى الرفد وقاصدى النيل ، مردود عليهم .

**وغريب قولها « والاوطاب تمخض »** : الاوطاب تختص بأسقية اللبن ، وتسمية غير اوعية اللبن بها على ضرب من

---

«353» ابن دريد : س ، الخليل : ز .

المجاز والمشابهة ، واحدها وطب ، وجمعه المعروف وطاب فى الكثرة وأوطب فى القلة ، وقد جمعوا اوطبا على اواطب ، وأما اوطاب فنادر . تنبيه : ذكر ابو سعيد النيسابورى أن جمع وطب على أوطاب فى هذا الحديث منكر فى العربية ، لان فعلا لا يجمع على أفعال .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

لم يقل ابو سعيد شيئا ، اما انكاره أن يجمع وطب على أوطاب فى العربية فهذه عربية صحيحة ، منقولة عن أفصح العرب ، وبأصح الطرق ، فحكاها النبى صلى الله عليه وسلم أو حكتها عائشة بحضرته ، ورواها فصحاء التابعين ، ولا يحكون لحنا ، وذكروها عن عرب عاربة وجاهلية بائدة قولها حجة ، وليتنا وجدنا مثل هذه الطرق فى أكثر اللغة ، ولا يقال فى مثل هذا منكر ولا خطأ ، ولكنه يقال نادر ، وكيف وأئمة هذا الشأن يخالفونه ؟ قال الخليل : جمع الوطب وطاب واوطاب ، وحكى مثله ابن دريد فى الجمهرة ، وأما قوله فان فعلا لا يجمع على أفعال ، فغير مسلم ، فقد جمع فعل على أفعال فى حروف معلومة ، قالوا : ازناد وأفراخ وأفراد واجداد ، وانف وآناف ، ورفغ وارفاغ ، ورأد وأرءاد ، حكاها سيبويه ، قال : وقد يجئ فى فعل افعال مكان افعل ، كما قال الشاعر :

وزندك أثقب ازنادها

قال سيبويه : وليس ذا بالباب فى كلام العرب ، يعنى انه ليس بالمطرد ، ومثله :

وأمست على آنافها غبراتها

قال : والقياس فى فعل أفعل فى القليل ، وفى الكثير فعال أو فعول ، وما سوى ذلك فلا يعلم الا بالسمع ، وحكى الفراء : احلاق جمع حلق ، وفى الحديث الصحيح : « على أنقاب المدينة ملائكة (86) » ، جمع نقب ، واما ما كان عينه ياء أو واو من باب فعل فجمعه فى القليل افعال ، نحو أسواط وأثواب وأنواع وأقواس وألواح وأبيات وأقياد وأشياخ وأعيار وأعيان ، وهو باب مطرد كثير مستعمل معروف فى المعتل ، وهو فى الصحيح نادر ، وقد قالوا أهل واهال وارض واراض ، ومثله أجفان وأشكال ، وحكى بعضهم حمل وأحمال وحبر وأحبار ، وقد يقال ان أفعالا هاهنا محمول على فعل ، فقد قالوا حبر أيضا ، وقالوا حمل ، كما حملوا أشعارا وأنهارا على فعل من شعر ونهر ، فلا ينكر ما جاء على هذا اذا سمع كما قال سيبويه رحمه الله ، وقد رأيت فى بعض روايات هذا الحديث فى أصل قديم من كتاب النسائى رواية حمزة الحافظ والاطاب تمخض ، مبشور الواو مصلحا ، فان صحت هذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا ، فهى على الاصل وجمع وطاب ، ثم ابدل الواو همزة ، كما قالوا اشاح ووشاح ، ووعاء واعاء ، ووكاف واكاف ، ووقاء واقاء ، ووسادة واسادة والله تعالى أعلم . ووقع فى رواية يعقوب بن

(86) رواه البخارى فى باب لا يدخل الدجال المدينة من كتاب الفتن ، عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على انقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » . واخرجه ايضا فى فضائل المدينة . ورواه مسلم ومالك واحمد

السكيت فى زيادة غريبة وقعت فى بعض نسخ الالفاظ لـه : « والوطاب تمخض » على الاصل ، حدثنا بهذه الزيادة «354» شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان النحوى عن خاله ابى محمد غانم بن وليد ، وفى أصله قرأت ومنه نقلت ، عن ابى عمر السهمى بسنده الى يعقوب .

معناه :

قولها « فخرج من عندى ابو زرع والاوطاب تمخض » يحتمل أنها أرادت تبكير خروجه من منزلها ، وغدوه لذلك ، لانه وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم ومهنهم ، وانطوى أثناء ذلك كثرة خير داره ، وغزر لبنه ، وان عندهم منه ما يشرب صريحا ومخيضا ، ويفضل عن حاجتهم ، حتى يمخضوه فى الاوطاب ويستخرجوا زبده وسمنه كما قالت : « فنقلنى الى أهل صاهل وجامل ودائس ومنق » ، ومن هذا حديث الحجاج وقد سأل وافدا عليه عن الغيث ، فقال له : كانت سماء ولم أراها ، وسمعت الرواد تدعو الى زيادتها ، وسمعت قائلا يقول : هلم أظعنكم ، الى محلة تطفأ فيها النيران ، وتشتكى فيها النساء ، وتتنافس فيها المعزى ، قال فلم يفهم الحجاج مراده ، فاعتل عليه ، وقال له : انما تخاطب أهل الشام فأفهمهم ، فقال : اما طفء النيران فاخصب الناس وكثر الزبد والسمن واللبن ، فاستغنوا عن النار للخبز ، واما تشكى النساء فان المرأة تربق بهمها ، وتمخض لبنها ، فتبيت ولها أنين من

---

«354» الزيادة : ز م س ، الرواية : ك .

عضديها ، فى حديث طويل ، ويحتمل أن تريد أنــه خــرج فى استقبال الزمن وطيبه وربيعه ، ووقت يمخــض الناس ، وان خروجه اما اسفر أو غيره كان فى هذا الزمان ، فتكون الفائدة فى الاحتمال الاول تعريفها بخروجه عنها بكــرة من النهــار ، وفى الاحتمال الثانى اعلامها بوقت خروجه عنها فى «355» فصول الزمان ، وقولهــا « معهــا ولــدان كالفهديــن » وفى روايــة « كالصقرين » وصفت ولديها بالفهدين أو الصقرين لاســـر خلقهما ، واكتناز اجسامهمــا ، واحتاجــت الــى ذكــرهــما هاهنا ــ والله اعلم ــ لتتبه أن ذلك كان احد أسباب تزويــج ابى زرع لها ، لان العرب كانت ترغــب فى الاولاد ، وتحــرص على النسل وكثرة العدد ، وتستعد لذلك بالنساء المنجبــات فى الخلق والخلق ، فيحتمل أن أبا زرع لما رأى هــذه المــرأة ، واعجبه خلقها ، وولداها ، لكمال خلقهما ، وظهور مخايل النجابة فيهما ، حرص عليهــا ، وقال اسماعيــل بن ابــى اويــس : « كالفهدين سارين حسنين نفيسين » ، ومن رواه « أخواها » خلاف المشهور والاصح والاكثر من الروايات ، فان حمل على ظاهره كان أمدح لها ، وأدل على صغر سنها ، ونهود ثديهــا ، كما قال الهذلى :

لهــا كنيــة عمرو وليس لهــا عمــرو

ويؤيده قوله فى رواية غندر « فمر بجارية شابة » «356» وقد يتأول فيجمع بينه وبين رواية من روى أنهما ولداها بأن يجعلا

---

«355» فى : م س ، من : ز ك .
«356» شابة : ز م س ، ــ : ك .

أخوين لها فى حسن الصورة ، وكمال الخلقة ، وقولها « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » ذهب بعضهم الى أنه أراد ثدييها ، ورد هذا أبو عبيد قال : وليس هذا موضعه ، وانما أراد أنها ذات كفل عظيم ، فاذا استلقت نتأ الكفل بها عن الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان ، ويؤيد تأويل أبى عبيد ما ورد فى أحد (87) الروايات المتقدمة « يرمى من تحت خصرها بالرمانتين » ولا يقال فى الثديين « يرميان » ، ويعضده أيضا ما وقع مفسرا فى حديث ابى معاوية عن هشام الذى قدمناه ، وقولها فيه « فمر بجارية يلعب معها أخواها ، وهى مستلقية على قفاها ، وأخواها معهما رمانة يلعبان بها ، يرميان بها من تحتها ، فتخرج من الجانب الآخر ، من عظم أليتها » ، ففسر الامر كما تراه ، فان سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال ، على أن هذا الكلام بعيد من نمط كلام أم زرع جدا ، ويعضد التأويل الآخر قولها فى الرواية الاخرى « يلعبان من تحتها » و « من تحت صدرها » وقوله فى رواية غندر « يلعب من تحت درعها برمانتين » ، ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم بالرمان تحت اصلاب امهاتهم ، وكيف تجلس هذه المرأة لهم وتستلقى حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم ؟ ، وأيضا فان حمل الرمانتين بالالف واللام على ما وقع فى بعض الروايات على رمانتين من الرمان لا يجوز فى العربية ، لان رمانتين من

---

(87) « أحد » كذا بالاصول ، والاولى : « احدى » .

الرمان نكرتان ولا يصح أن يدخل فيها الالف واللام ، ولا يصح أن تريد رمانتين من الرمان معهودتين ، والاشبه أن يكون المراد بهما النهدين ، ويكون قوله « يلعبان من تحت خصرها ، أو صدرها أو درعها » : أى أن ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين ، وان ولديها كانا فى حضنيها ، أو حفافى جنبيها ، وتشبيه النهدين بالرمانتين يدل على نهودهما وكعوبهما ، وذلك لصغرها ، وفتاء سنها ، وانها بعد ممن لم تسن وتترهل وتهبل فتتكسر «357» ثدياها وتتدلى ، وليسا يشبهان حينئذ بالرمان ، وذهب الداوودى الى أن معنى هذا : أى يرميان من تحتها اذا رقدت على جنبها لرقة خصرها ، والكلام فيه على ما تقدم .

وقولها : « وكل بدل أعور » فهذا مثل ، ومعناه أن البدل من الشىء لا يقوم مقام المبدل منه ، وانه دونه وانزل منه ، وقولها « أعور » أى معيب ردىء ، وليس من عور العين ، حكى ثعلب : الاعور الردىء ، قال : والعرب تقول للردىء من كل شىء أعور ، وللانثى عوراء ، ومنه قالوا كلمة عوراء ، أى قبيحة ، قال الشاعر :

اذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ، ولو شاء لانتصر

وقال الكميت :

ولا استعذب العوراء يوما فقالها

«357» فتتكسر : س ، فتنكسر : ز ، ولعل الصواب بياء المضارعة بدلا من التاء ، وتتدلى : لعل الصواب فيها : يتدليا .

فلخبرت أن هذا البدل لم يسد مسد أبى زرع كما فسرته بعد هذا ، و « السرى » بالسين المهملة الرجل السيد ذو السرو ، أى المروءة ، قال الحربى فى تفسيره : سخيا ، والسرى من كل شىء خياره ، ويقال بالشين المعجمة أيضا ، والجمع سراة وشراة ، حكاهما يعقوب ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن سراج رحمه الله عن ابى على القالى : أن الشراة بالشين المعجمة أيضا الردىء فهو من الاضداد ، والشرى أيضا «358» بالشين المعجمة الفرس الذى يستشرى فى سيره ، أى يلج ويمضى بلا فتور ولا انكسار ، قال ثابت : شرى البعير فى سيره اذا أسرع ، ومنه شرى البرق اذا كثر لمعانه ، وشرى الامر اذا تفاقم وترامى ، وقال معمر : معناه جاد «359» السير ، وقال يعقوب : فرس شرى خيار فائق ، ومن روى « اعوجيا » فهو منسوب الى فرس اسمه «360» أعوج ، هو من الخيل العراب المشهورة التى تنسب العرب اليها جياد الخيل ، وهما فرسان : احدهما فرس كان لكندة ثم تصير لسليم ثم لبنى هلال بن عامر ، قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك ، يعنى من كندة ، فغزا بنى سليم فقتلوه وأخذوا فرسه ، وقال ابو العباس المبرد : اعوج فرس لغنى ، وقيل لبنى كلاب ، قيل وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن

---

«358» والشري ايضا : س ، وقال الخليل الشري : ز ، والشري : ك .

«359» جاد : س ، حاد : ز .

«360» اسمه : س ، اسمها : ز ، وكلاهما صحيح لان الفرس تطلق على الذكر والانثى .

تشتد عظامه فاعوجت قوائمه ، وقيل بل اعوج ظهره ، وامه سبل فرس كانت لغنى مشهورة ايضا ، وهذا هو أعوج الاصغر ، واما اعوج الاكبر فمشهور أيضا ، وهو ولد فرس اسمه ارا الهجرس «361» ، والهجرس ولد فرس اسمه الدينار ، والدينار ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داوود عليهما السلام ، من بقية الخيل التى خرجت له من البحر ، وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه من جرهم ، وقال لهم تصيدوا على هذا الفرس ما شئتم ، فكان لا يفوته شىء ، فسمى زاد الراكب ، قال ابن خالويه : واليه تنتسب أكثر الافراس المشهورة ، ذكر لنا ذلك كله الاستاذ أبو عبد الله ابن سليمان ، وبعضه عن غيره ، وذكر مثله ابن لهيعة الاخبارى فى كتاب الحلائب والجلائب و « الخطى » الرمح ، نسب الى الخط ، وهو موضع من ناحية البحرين ، تأتى الرماح اليها من الهند ، ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب فينسب اليه ، ولا يصح قول من قال ان هذا الموضع ينبت الرماح ، وقيل ان سفينة فى أول الزمان مملوءة رماحا قذفها البحر مرة الى هذه الناحية ، فخرجت رماحها فيها ، فنسبت اليها ، وقيل الخط الساحل ، وكل ساحل خط ، حكاه صاحب الجمهرة عن بعض اللغويين ، قال والخط سيف البحرين وعمان ، و « أراح » من الرواح ، ومعناه أتى بها للمراح ، وهو موضع مبيت الماشية ، ولهذا سماها بعد « رائحة » ،

---

«361» ارا الهجرس : م ، اربى الهجرس : ز ، ارى الهجرس : ك ، ارا المبحرس : س .

وقال ابن ابى اويس : تقول غزا فأتى بنعـم كثيرة ، والنعم الابل خاصة ، جمع لا واحد له من لفظه ، وذكر بعضهم أنـه ينطلق أيضا على جماعة المواشى اذا كان فيها ابل ، والانعام المواشى من الابل وغيرها ، وقد قيل ان النعم والانعام بمعنى واحد ، والنعم تذكر وتؤنث ، قال الله تعـالى « ومن الانعـام حمـولـة وفـرشـا «362» » ، ثـم قـال « ثمـانـيـة أزواج «363» » فذكر أنواع الماشيـة ، ووقـع فى بعـض الروايات « نعما » جمع نعمة ، والاشهر « نعمـا » بالفتـح ، والثرى الكثير من كل شىء ، يقال ثرى بنو فلان بنى فـلان أى صاروا أكثر منهم ، ويقال اثرى الرجـل اذا كثـر مالـه ، وقوله « ميرى أهلـك » أى صليهم بالميـرة وهى الطعـام ، وأصله من امتيار البوادى من الحواضر

## عـربـيـتـه :

قولها « نعما ، أو نعما ثريا » والنعم مؤنثـة ، وجـاء بـ « ثرى » الذى هو وصف للمذكر ولم يأت فيه بعلامة تأنيـث فيقول « ثرية » ، وكذلك يلزم على القول بتأنيث النعم ، ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقى التأنيث فلك وجهان فى اظهار علامة تأنيثه فى الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركهـا ، وكذلـك فى جموع من المذكـر والمؤنث الحقيقى ، كما قـال الله تعالـى

---

«362» سورة الانعام ، الآية 142 .
«363» سورة الانعام ، الآية 143

( وقال نسوة «364» ) و ( قالت الاعراب «365» ) وقـــال :
( رجالا كثيرا «366» ) و ( أعجـاز نخـل منقعـر «367» )
وقال الـشـاعـر :

طويــلا سواريــه شديــدا دعـائمــه

وقـــــال :

لـئـيـم مآثره ، قعدد «368»

كما لو قال : كثيرة ومنقعرة وطويلة وشديدة ولئـيمة الوجهـان جائزان ، واما على رواية « النعم » والقول بأنها مذكرة فهـو الوجه ولا يحتاج فيه الى كلام .

**مـعـنـاه :**

وصفت هذا الرجل الذى تزوجتـه بالسـؤدد فى ذاتـه ، والسعة فى ذات يده ، وانه صاحب حرب وركوب ، وبالاحسان اليها ، والتفضل على أهلها «369» ، ثم أخبرت انه مع هذا كله لم يقع عندها موقع أبى زرع ، وان كثيره دون قليل ابى زرع ، فكيف بكثيره ؟ وان حال هذا الآخر عندها معيب اذا اضافته الى حال أبى زرع ، مع اساءة أبى زرع لها أخيرا فى تطليقها ،

---

«364» سورة يوسف ، الآية 30 .
«365» سورة الحجرات ، الآية 14 .
«366» سورة النساء ، الآية 1 .
«367» سورة القمر ، الآية 20 .
«368» تعدد : ز ، ممد : س وهو غلط ، والقعدد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .
«369» على اهلها : س ، عليها : ز .

والاستبدال بها ، ولكن حبها له بغض اليها الناس بعده ، ولهذا كره أولو الرأى تزويج (88) امرأة لهـا زوج طلقهـا ، لميـل نفسها اليه ، وقالوا : لا تتزوج حنانة ولا أنانة ولا منانة ، ففى الحنانة وجهان : احدهما التى لها زوج فهى تحن اليه ، والثانى الولد ممن قبلك ، فهى أيضا كثيرة الحنين اليه ، مشتغلة به عنك ، والانانة : الكثيرة الامراض ، فهى تئن أبدا ، فلا يصفو عيشك معها لذلك ، والمنانة : التى لها مال تمن به عليك ، وقولهـا « وأعطانى من كل رائحة » ويروى « وآتـانى من كل سائمـة زوجا » ، وآتـانى واعطانى بمعنـى واحـد ، والسائمـة : الـراعـيـة ، والـرائحـة : أصلـه الآتـيـة وقـت الرواح ، وهو آخر النهار ، ومنه سمى المراح ، وهو موضـع مبيتها ، والرواح ضد الغدو ، وفى الحديث : « لغدوة فى سبيل الله اوروحة (89) » ، وفيه : « كالطير تغدو خماصـا وتـروح بطانا (90) » ، وقد وجد للعرب استعمالـه فى النهـار كلـه ، حكاه الهروى وغيره ، وعليه حمل الشافعى وغيره حديث رواح

---

(88) « تزويج » كذا بالاصول ، والاولى : « تزوج » .

(89) رواه البخارى فى باب الغدوة والروحة فى سبيل الله من كتـاب الجهاد ، عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبـى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيـا وما فيها . ثم رواه من طريق ابى هريرة ، ورواه مسلم ايضا .

(90) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم 7420 ، ولفظه : « لو انكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير : تغـدو خماصا ، وتروح بطانا » . رواه الامام احمد ، والترمذى وابن ماجه فى الزهد ، والحاكم فى الرقائـق ، والنسائى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا .

الجمعة (91) ، ويقال تروح القوم وراحوا اذا ساروا أى وقت كان ، ومن رواه « وأراح على من كل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين » ، فالآبدة : أصلها «370» المتوحشة ، والجمع أوابد ، يقال أبدت تابد وتأبد اذا توحشت ، ومنه : كلمة آبدة ، ورماه بآبدة أى بكلمة غريبة لم يعهد مثلها ، والاوابد : الوحش ، قال امرؤ القيس :

قيد الاوابد هيكل

وقد تشبه بها الابل المؤبلة «371» والنعم المهملة .

**عربيته :**

ومن رواه « من كل ذى رائحة » فعلى قوله ذا صباح

---

«370» اصلها : ز ، ـ : م ك س .

«371» المؤبلة : ز ك ، الطويلة : م س ، ويقال للابل « مؤبلة » اذا كانت للقنية .

---

(91) حديث رواح الجمعة هو ما رواه الجماعة الا ابن ماجه ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وقد حمل الشافعى وغيره « الرواح » المذكور فى هذا الحديث على التبكير فى الذهاب للجمعة قبل الزوال ، فيكون قد فسر الرواح باستعماله فى النهار كله . اما المالكية فقالوا ان المراد بالساعات خمس لحظات لطيفة اولها زوال الشمس وآخرها قعود الخطيب على المنبر ، فيكون قد فسروا الرواح باستعماله فى العشى الذى هو ضد الغدو .

وذات يوم ، فكأنه دعم للكلام وصلة لــه ، والا فذى أصلهــا ألا تضاف الا الى الاجناس ، كقولك ذو مال وذو علم ، ولا تضاف الى الصفات فتقول ذو عالم ولا ذو عاقل ، لانه يكتفى بذكــر الصفة عنها ، بخلاف الجنس الذى لا تصف به اذا أردت الوصف الا بذى ، أو بتصريف اسم صفــة منــه ، فادخلــت « ذى » لنتوصل بها الى الوصف بالاجناس ، ولاجل ذلك لم تضف الى صفة مشتقة ، وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ، ولا أعلم لهذه اللفظة مثلا فى كلام العرب .

**مــعــنــاه :**

أرادت بقولها هذا كثرة ما أعطاها من جميع مــا يروح الى منزلها ويرعى بفنائها «372» ، من ابل وبقــر وغنــم وعبــيد ودواب ، وانه اعطاها أصنافا من ذلك ولم يقتصر على الفرد فى ذلك «373» ، حتى ثناه وضعفه احسانا اليها ، وتكرما عليها ، وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى مثنى ، ويضيفها الى ما اكتسب واقتنى ، و « الزوج » يقــع على الواحد ويقــع على الاثنين ، ولذلك قالوا زوجان ، ولكن لا يقــع على الواحــد الا اذا كان معه آخر ، قاله الهروى ، وقال ابن دريد : الاثنان زوج وزوجان ، والزوج : الصنف ، ومنه قوله تعالى ( أو يزوجهــم ذكرانا واناثا ) «374» وقوله ( وكنتم أزواجا ثلاثة «375» )

---

«372» ويرعى بفنائها : ز ، ــ : م ك س .
«373» الفرد فى ذلك : ز ، ــ : م ك س .
«374» سورة الشورى ، الآية 50 .
«375» سورة الواقعة ، الآية 7 .

أى اصنافا ، وانكر ابن الانبارى أن يسمى الاثنـــان زوجـا ، وانما يقال لهما زوجان .

**وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع »** : تطييبا لنفسها ، ومبالغة فى حسن معاشرتها ، لما ذكرته أم زرع من حسن صحبته لهـا ، وشكرته فى «376» جماع حاله معهـا ، ثم استـثـنى من ذلـك الامـر المكـروه منه ، بقوله عليه السلام « انه طلقها وانى لا اطلقك » تتمـيما لتطييب نفسها ، واكمالا لطمأنينة قلبها ، ورفعا للايهام ، لعموم التشبيه بجملة أحوال أبى زرع ، اذ لم يكن فيها ما يذم سوى طلاقه لها ، ومثله قوله عليه السلام فى الروايـة الاخرى « فى الالفة والرفاء لا فى الفرقة والخـلاء » ، أى فى الاتفـاق لا فى الافتراق ، لان الرفاء هو من باب الالفة والاتفاق ، والخلاء من باب الفرقة والطلاق ، قال أبو عبيد : يكون الرفاء بمعنـيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، ومنه رفء الثوب ، لأنـه يضم بعضه الى بعض ، ويكون الرفاء من الهـدوء والسكون ، وقال أبو زيد : الرفاء الموافقة ، وقيل الرفـاء المـال ، حكاه المفضل عن اليمامى فى منتخبه ، وقيل الرفـاء السرور ، وقـال ابن الانبارى : الخلاء المباعدة والمجانبـة ، وكأنه مأخـوذ من خلاء الابل ، وهو كالحران للدواب ، ومنه حديث النبـى صلـى

---

«376» فى : ز ك ، من : م س .

الله عليه وسلم يوم الحديبية : « ما خلأت القصواء (92) » ، لا سيما وقد ورد فى رواية ابى معاوية الضرير ما دل أن الطلاق لم يكن من قبل أبى زرع واختياره فانه قال « فلم تزل به أم زرع حتى طلقها » ، وقول عائشة رضى الله عنها « بأبى أنت وأمى ، بل أنت خير لى من أبى زرع » : جواب مثلها فى فضلها وعلمها ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرها انه لها كأبى زرع لأم زرع لفرط محبة أم زرع له واحسانه لها ، أخبرته هى أنه عندها أفضل ، وهى له أحب من أم زرع لأبى زرع .

**عربيته :**

قوله عليه السلام : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » أى أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، كما قال بعضهم فى قوله تعالى « كنتم خير أمة » «377» أى انتم ، وكان زائدة ، قالوا : «378» مثله قوله تعالى ( من كان فى المهد صبيا «379» ) أى هو فى المهد ، وقوله ( وما جعلنا القبلة التى كنت عليها «380» ) أى أنت عليها ، و ( صدقت أم كنت من الكاذبين «381» ) ،

«377» سورة آل عمران ، الآية 110 .
«378» قالوا : ز ، — : ك س .
«379» سورة مريم ، الآية 29 .
«380» سورة البقرة ، الآية 143 .
«381» سورة النمل ، الآية 27 .

(92) رواه البخارى فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط ، من كتاب الشروط ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وعلق هذه الفقرة من الحديث فى كتاب الجهاد . ورواه ابو داود والامام احمد .

وفى بعض هذا اختلاف ، قالوا : ومنه قوله فى الحديث : « كن أبا ذر (93) » . وقد يحتمل عندى هذا غير ما قالوه ، وانشدوا :

وجيـــران لنـــا كانـــوا كـــرام

وقد يصح أن تكون « كنت » هاهنا على بابهـــا فى النقص والاستعمال وافادة زمان محصل ، أى كنت لك فى سابق علـــم الله وقضائه كأبى زرع لأم زرع ، فى احسانه لهـــا ، ومحبـــتها فيه ، ويتوجه هنا فيها أيضا وجه ثالث : وهو ان تكون « كان » على بابها ، ثم يراد بها الاتصال ، أى كنت لك فيمـــا مضى من صحبتى لك وعشرتى اياك كأبى زرع وانا كذلك لا اتبدل عنه ، كما قالوا فى قول مرة بن محكان السعدى :

أنـــا ابن محكان اخوالى بنو مطر

انمى اليهم وكانوا معشرا نجـــبـــا

أى كان من مضى منهم نجيبا ومن بقى كذلك ، وفى الكتاب العزيز ( وكان الله سميعا بصيرا ) «382» ، و ( ان الله كان عليمـــــا حكيما ) «383» و ( انه كان حليما غفـــورا ) «384» فى أمثلـــة

---

«382» سورة النساء ، الآية 134 .
«383» سورة النساء ، الآية 11 .
«384» سورة الاسراء ، الآية 44 .

---

(93) رواه ابن هشام فى السيرة ، فى « غزوة تبوك » .
وأبو ذر هو جندب بن جنادة ، من بنى غفار ، صحابى جليل ، قديم الاسلام ، اصدق الناس لهجة ، وكأن كريمـــا لا يدخـــر من المال قليلا ولا كثيرا . توفى سنة 32 هـ .

كثيرة ، وهو تعالى كان فى الازل كذلك ، وكذلك هو جل اسمه ، وعليه حمل بعضهم قوله تعالى ( كنتم خير أمة ) «385» و ( من كان فى المهد صبيا ) «386» .

---

«385» سورة آل عمران ، الآية 110

«386» سورة مريم ، الآية 29 .

# فقــه

قال المهلب ابن أبى صفرة (94) الفقيه : فيــه من الفقــه جواز التأسى بأهل الاحسان من كل أمة ، الا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بجميل عشرته فامتثله النبى صلــى اللــه عليــه وسلم

**قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :**

وهذا عندى غير مسلم ، لأنا لا نقــول ان النبى صلى الله عليه وسلم اقتدى بأبى زرع ، بل اخبر أنــه لهــا كأبى زرع ، وأعلم ان حاله معها مثل حال ابى زرع «387» ذلــك ، لا على التأسى به ، وأما قوله بجواز التأسى بأهــل الاحسان من كل أمة فصحيح ما لم تصادمه «388» الشريعة .

وفيه من الفقه جواز قول المرء لصاحبه : بأبى أنت وامى ،

«387» ابى زرع : س ، ـــ : ز م ك .
«388» تصادمه : م س ، ترده : ز ، تضاده : ك ، وكلها بمعنى .

(94) هو ابو القاسم المهلب بن احمد بن اسيد ابن ابى صفرة التميمى ، المالكى ، من اهل العلم الراسخين فى الفقــه والحديث والعبــادة والنظر ، اختصر صحيح البخارى ، وشرح الموطأ ، وهو غيــر المهلب ابن ابى صفرة امير البصرة ، توفى سنة 433 هـ .

وفداك أبى وأمى ، وهما بمعنى واحـــد ، وقد قالـــه النبى صلى الله عليه وسلم لسعد (95) رحمه الله والزبيـــر (96) رضـــى الله عنهما وغيرهما ، وهو من معروف كلام العرب ، وقاله أبو بكر وغيره للنبى صلى الله عليه وسلم (97) ، وكذلك قولهـــم : جعلت فداك ، ونفسى فداؤك ، وقاله أبو طلحة (98) وأبو ذر

---

(95) قول النبى صلى الله عليه وسلم لسعـــد : « ارم ، فداك ابـــى وامى » : رواه البخارى فى بابه المجن ومن يترس بترس صاحبه ، من كتاب الجهاد ، عن على رضى الله عنه ، وفى مناقب سعد ابن ابى وقاص ، من ابواب فضائل اصحاب النـبى صلى اللـه عليه وسلم ، عن سعد ، ورواه الامام احمد ( 1 : 124 ) .
وسعد هو سعد ابن ابى وقاص مالـــك بن اهيـــب القرشى الزهرى ، فاتح العراق ، واول من رمى بسهم فى سبـــيل الله ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 55 هـ .

(96) قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير : « فداك ابى وامى » : قاله له حينما اتاه بخبر بنى قريظة ، رواه البخارى فى باب مناقب الزبير بن العوام ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى اللـــه عليه وسلم ، عن عبد الله بن الزبير . ورواه الامام احمد (1 : 164).
والزبير هو ابن العوام بن خويلد الاسدى ، ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، واحـــد العشرة المبشـــرين بالجنـــة ، توفى سنة 36 هـ .

(97) قول ابى بكر ذلك للنبى صلى الله عليـــه وسلم رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب ، وفى مناقب ابى بكر ، وقاله ابو بكر ايضـــا للنبى صلى الله عليـــه وسلم اذ توفى بعد ان جاء وكشف عن وجهه وقبله ، رواه الامـــام احمـــد ( 1 : 5 ) .

(98) رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتـــابه الادب . واخرجه ايضا فى الادب المفرد ( رقم الحديث 802 ) ، والامام احمد ( 3 : 261 ) .
وابو طلحة هو زيد بن سهل بن الاسود النجارى الانصارى ، صحابى ، من الشجعان الرماة ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان جهير الصوت ، توفى سنة 34 هـ .

(99) ورافع بن خديج (100) للنبى صلى الله عليه وسلـــــم (101) ، وفى شعر حسان :

فان أبى ووالـــده وعرضى     لعرض محمد منكم فداء «389»

وفيه الرد على من لم يجز قول هذا ، وما يحكى من انكاره عن الحسن ، ومن قال بقوله ، وانه لا يفدى احد بمسلم ، وان النبى صلى الله عليه وسلم انما قاله لأن ابويه مشركان . وهذه عائشة رضى الله عنها أبواها مسلمان ، وقد قالته له صلى الله عليه وسلم . وما روى من كراهية عمر لقول القائل لـــه جعلنى الله فـــداك ، وكراهـــة النبى صلى اللـــه عليـــه وسلـــم مثـــل ذلك من الزبير من قوله جعلنى الله فداءك يـــا رســـول اللـــه ،

«389» فداء : س ، وقاء : ز .

(99) رواه ابو داود فى كتاب الادب ( رقم 5226 ) ، والبخارى فى الادب المفرد ( رقم الحديث 803 ) ، وكـــذا رواه البخارى فى الرقـــاق ومسلم فى الزكاة .

(100) هو الصحابى رافع بن خديـــج بن رافـــع الانصـــارى الاوسى الحارثى ، كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد احدا والخندق ، توفى سنـــــة 74 هـ .

(101) ومما روى ايضا فى تفدية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رواه الامام احمد ان عمر فدى النبى صلى الله عليه وسلم بالاب والام ( 5 : 355 ) ، ومـــا رواه الامام احمـــد ان ابا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك ابـــى وامى ( 2 : 335 ، 355 ) ، ومـــا رواه البخـــارى فى الادب المفرد ان بريدة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : جعلت فداك ( رقم الحديث 805 ) ، ومـــا رواه الترمذى فى الشمائـــل ، باب ما جاء فى عيش رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ان ابا الهيثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيـــه وامـــــه .

وقوله له : ما تركت اعرابيتك (102) بعد : وقد ضعف الطبرى هذه الآثار ، وتأول انكارها ان صحت ، وبجواز ذلك قـــال هــو وغيـــره .

وفيه من الفقه شكر المرأة احسان زوجها ، وهكذا ترجـم أبو عبد الرحمان النسائى على هذا الحديث ، وخرج فى البـــاب معه حديث ابن عمر : لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها ، الا ترى أم زرع كيف شكرت فعل زوجهـــا بهـــا «390» ، ثــم انظر عائشة رضى الله عنها بعد كيف شكرت للنبى صلى اللـــه عليه وسلم واعترفت بأنه خير لها من أبى زرع لأم زرع .

وفيه من الفقه تقريظ الرجل فى وجهه بما فيه اذا علــم ان ذلك غير مفسد له ، ولا مغير نفسه ، والنبـــى صلى الله عليـــه وسلم مظنة كل مدح ، ومستحق كل ثنـــاء ، وان من أثنى عليه بما أثنى فهو فوق ذلك كله ، وقد ورد فى الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثناء الا من مكافىء (103) ، قـــال

---

«390» بها : ز ، ــ : ك س .

---

(102) روى هذا الاثر عن الزبير الطبرانى كما قال ابن حجر فى فتح الباري ، باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب .

(103) رواه الترمذى فى الشمائل عن سيدنا على رضى الله عنـــه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ( شرح جسوس 2 : 187 ) .

القتبى : معناه : الا أن يكون ممن أنعم عليه صلى اللـه عليـه وسلم فيكافئه الآخر بالثناء ، ورد هذا ابن الانبـارى وقـال : هذا غلط ، لا ينفك احد من انعام رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، لأن الله تعالى بعثه للناس كافة ، وهداهم ورحمهم به ، فكلهم تحت نعمته ، والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به ، وانما المعنى : لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ممن لا ينبز بنفاق ، وقيل : « مكافىء » مقارب فى مدحه ، غير مفرط فيه ، كما قال عليه السلام : « لا تطرونى كمـا اطـرت النصارى عيسى (104) » .

وفيه من الفقه جواز ترفيـة المتزوج بلفـظ الرفـاء على ما كانت عليه عادة العرب لقوله عليه السلام كنت لك كأبى زرع لأم زرع «391» فى الالفة والرفاء فيستفاد من هذا اللفظ ــ ان لم يصح النهى عنه ــ جواز قوله للمتزوج ، لأنه اذا قاله احد الزوجين لصاحبه فما يمنع أن يقوله الاجنبى لأحدهما ؟ .

وقد اختلف العلماء فى هذا ، فروى جوازه ، قال عبد الملك بن حبيب : واستحبوا تهنئة الناكح والدعاء له ، وكان مما يقال : بالرفاء والبنين ، بارك الله لك ، ولا بأس بالزيادة على هذا من

---

«391» لام زرع : ز ، ــ : ك س .

(104) رواه البخارى عن عُمر ، باب واذكر فى الكتاب مريم ، من كتاب احاديث الانبـياء .

ذكر السعادة وما احب من خير ، وحكى عن شريح انه قال لمتزوج : بالرفاء والبنين (105) ، وكرهه آخرون ، فروى عن عقيل ابن أبى طالب أنه تزوج امرأة فقالوا له بالرفاء والبنين ، فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لكم ، وبارك فيكم (106) » ، ذكره النسائى ، وفى رواية « عليكم » مكان « فيكم » ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم النهى أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين ، حدثناه القاضى أبو عبد الله التميمى وغيره ، قالوا حدثنا أبو مروان بن سراج ، حدثنا أبو القاسم الزهرى ، حدثنا أبو زكرياء بن عائذ قال : حدثنا احمد بن خالد ، حدثنا على بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا هاشم «392» بن القاسم عن شيخ سماه ، عن الحسن عن عقيل بن ابى طالب

---

«392» هاشم : ز ك ، هشام : م س .

---

(105) اخرجه ابن ابى شيبة وعبد الرزاق ، كما قال ابن حجر عند باب كيف يدعى للمتزوج ، من كتاب النكاح . وشريح هو ابو امية شريح بن الحارث ، من اشهر القضاة الفقهاء فى صدر الاسلام ، ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية ، توفى سنة 78 هـ .

(106) رواه النسائى والطبرانى كما قال ابن حجر ، ورواه الامام احمد ( 1 : 201 ، 3 : 451 ) .

وعقيل هو ابو يزيد عقيل ابن ابى طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، الهاشمى القرشى ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحابى ، فصيح اللسان ، اعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وانسابها ، توفى سنة 60 هـ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم (107) ، واختلف فى توجيهه : فحكى المفضل بن سلمة (108) فى كتابه « الفاخر » فيه وجهين : احدهما أن ذلك كان لأن العرب كانت تعتقد بقولها ذلك اجتماعا لا فرقة فيه ، وهذا ليس كذلك ، والثانى انه كلام ليس فيه ذكر الله ، والله أعلم ، وذكر هذا الحديث الطبرى والخطابى ، قال الطبرى : الا أن الحسن راوى حديث عقيل بن أبى طالب لم يسمع منه ، وقد حدث به غيره فلم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الطبرى : والذى اختاره ما صحت به الرواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رفأ الرجل يتزوج قال : بارك الله لك وبارك عليك ، قال : والزيادة غير محظورة ، وقد ذكر أبو داود (109) والترمذى هذا الحديث من طريق أبى هريرة وزاد فيه : « وجمع بينكما فى خير » .

اخبرناه هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه ، قال حدثنا أبو على الحافظ ، قال : حدثنا أبو عمر ابن عبد البر ، قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر ابن

---

(107) ورواه ايضا الامام احمد ( 1 : 201 ، 3 : 451 ) . وللامام احمد روايتان لهذا الاثر ، ذكر كلتيهما فى كلا الموضعين : احداهما ان النهى عن الترفية مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، والاخرى ان النهى موقوف على عقيل رضى الله عنه .

(108) هو ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغوي اديب ، من كتبه « البارع » فى اللغة ، و « الفاخر » فى ما تلحن به العامة ، و « الاستدراك على العين للخليل بن احمد » وغيرها ، توفى نحو سنة 290 هـ .

(109) باب ما يقال للمتزوج ، من كتاب النكاح ( رقم 2130 ) .

داسة ، قال : حدثنا أبو داود السنجى «393» ، حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن سهل «394» ، عن أبيه ، عن أبى هريـــرة ، أن النبى صلى الله عليـــه وسلـــم .... الحديـــث ، وترجم البخارى ( كيف يدعى للمتـــزوج ) وادخل حديث عبـــد الرحمان بن عوف وقول النبى صلى الله عليه وسلم وقـــد رأى عليه أثر صفرة : ما هذا ؟ قال : انى تزوجت امـــرأة ، قـــال : « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » وقد روى عن معاذ بن جبل شهد النبى صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال : « على الألفة والخير والطيـــر الميمـــون والسعـــة فى الـــرزق ، بارك الله لكم (110) » .

وفيه من الفقـــه جـــواز المـــزح فى الاحايـــين واباحـــة المداعبة مع الاهل ، وبسط الوجه واللسان مع جميـــع النـــاس بالكلام الحلو السهل ، فهو من حسن العشرة وطيب النفـــس ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وروى عنه أبو هريرة قال : قالـــوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنك تداعبنا ، قال : انى لا أقـــول الا حقـــا (111) ،

---

«393» السنجي : ز ، السجرى : ك .
«394» بن سهل : ك س ، من سهل : ز .

---

(110) قـــال ابن حجر : اخرجه الطبرانى بسنـــد ضعيف ، واخرجه فى الاوسط بسند اضعف منه ، واخرجه ابو عمـــرو البرقـــانى فى كتاب معاشرة الاهلين من حديث انس ، وزاد فيـــه « والرفـــاء والبنين » ، وفى سنده ابان العبدى وهو ضعيف .

(111) رواه الامام احمد ( 2 : 340 ) ، والترمذى فى البر ، وفى باب مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمائل .

ورويت عنه احاديث مشهورة فى ممازحته بـــلالا وأبـــا عميـــر وخواتا وزاهرا وأنسا وعائشة وغيرهم (112) ، وقال لعجوز : ان الجنة لا تدخلها العجوز (113) ، وقال لامـــرأة سألتـــه عن زوجها : أهو الذى بعينه بياض ؟ ، وقال لآخر : لاحملنك على ابن الناقة (114) ، وقال لجابر : فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ،

---

(112) روى الترمذى فى بـــاب مـــزاح النبى صلى الله عليه وسلم فى الشمائل عن انس بن مالك قال : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لى صغير : « يا ابا عمير ، ما فعل النغير » ؟ ورواه البخارى فى باب الكنيـــة للصبى وقبل ان يولـــد للرجل ، من كتاب الادب . وابو عمير هو كبشـــة بن طلحة بن زيد ، اخو انس من امه .

وروى ايضا عن انـــس ان النبى صلى الله عليـــه وسلم اتى زاهرا يوما وهو يبيع متـــاعه ، واحتضنـــه من خلفـــه ، ولا يبصره ، فقال ( اى زاهر ) : من هذا ؟ ارسلنى ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يالـــو ما الصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقـــول : « من يشترى هذا العبد » ؟ ، فقال : يا رسول الله ، اذن والله تجدنى كاسدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست بـــكـــاســـد » .

وروى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الاذنين » . يعنـــى يمـــازحـــه . ورواه ابـــو داود ( رقـــم 5002 ) .

(113) فولت تبكى فقال : « اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز » . رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن البصرى مرسلا . وروى الخبر الذى بعد هذا ابن ابى حاتم وغيره ، كما فى شرح الشمائل لجسوس ( 2 : 34 ) .

(114) فقال : يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلـــد الابـــل الا النـــوق » ؟ . رواه الترمذى فى الشمائل عن انس .

ويروى : تلاعبها وتلاعبك (115) ، في اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه ، وقد روى القاسم بـــن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسانيدهم عن عكرمة يرفعه ان «395» النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ، وذلك أن «396» مع المزح والانبساط التحبب والقبول لا سيما مع الاهل والاصحاب ، وقد مدح بمثلـــه الاشراف والكـــرام ، كما قـــال الشاعـــر :

هو الظفر الميمون ان راح أو غدا  به الركب والتلعابة المتحبب

ويحكى مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم ، ولا أعلـــم احـــدا منع

«395» ان : ز ك ، الى : م س .
«396» ان : ز ك ، ـــ : س .

(115) رواه البخارى فى باب تزويج الثيبات ، من كتـــاب النكـــاح ، ورواه ابو داود فى باب فى تزويج الابكار ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجـــه . والرواية فى كتب الحديث : « تلاعبهـــا وتلاعبك » ، اما رواية « تداعبها وتداعبك » والتى قدمهـــا القاضى عياض فى الذكر فلم اجدها ، وقد قال ابن حجـــر عنـــد شرحه لرواية « تلاعبها وتلاعبك » : ( زاد فى روايـــة النفقات « وتضاحكها وتضاحكك » ، وهو مما يؤيـــد انـــه من اللعب ، ووقع عند الطبرانى من حديث كعب بن عجـــرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل فذكر نحو حديث جابـــر وقال فيـــه « وتعضها وتعضك » ، ووقع فى رواية لابى عبـــيدة « تذاعبهـــا وتذاعبك » بالذال المعجمة بدل اللام ) . ولم اجـــد فى العربيـــة « ذاعب ، يذاعب » ، والظاهر ان رواية ابى عبـــيـــدة رويت بالمعنى ووقع فيها تصحيف فرويت بالذال المعجمة بـــدل الدال المهملة ، ولعل رواية « تداعبها وتداعبك » بالدال المهملة قـــد وقعت للقاضى عياض فى احدى رواياته للحديث ، والله اعلم .

الدعابة «397» مع الاهل والانبساط مع الحامة «398» وأهل البيت ، وقد قال عمر رضى الله عنه : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى ، فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأزمتهم اذا جلس مـــع الـــقـــوم .

وأما ما روى فى ذم المزاح والنهى عنه مثـــل مـــا حدثنـــاه القاضى محمد بن اسماعيل ، عن أبى الوليد هشام بن محمد بن مسلمة ، عن ابى محمد ابن النحاس ، عن أبـــى بسعيـــد ابـــن الاعرابى ، عن محمد بن عبد الله الحضرمى ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن عبد الملك ، عن عكرمة ، عـــن ابن عباس قال : قـــال رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم : « لا تمار أخاك ولا تمازحه (116) » ، وحدثنا احمد بن محمد الخولانى اجازة ، عن ابى عمر الطلمنكى ، عن احمد بن عون الله ، عن ابى سعيد ابن الاعرابى ، عن أبى داود ، حدثنـــا سليمان بن عبد الرحمان ، حدثنا شعيب بن اسحاق ، عن ابن أبى ذئب ، عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جادا لاعبا (117) » ، وقول عمر بن عبد العزيز : اياك والمزاح

«397» الدعابة : م س ، المداعبة : ز ك .

«398» « الحامة » : كذا بالاصول ولعله تصحيف ، ولعل الصواب : « الـــخـــاصـــة » .

(116) ورواه الترمذى فى البر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(117) رواه ابو داود فى باب من يأخذ الشىء على المزاح ، من كتاب الادب ، ( رقم 5003 ) والامام احمد ( 4 : 221 ) .

فانه يجر القبيحة ، ويورث الضغينة ، وقول خالد بن صفوان :
المزاح سباب النكى ، فليس هذا من المزاح
المحمود المباح ، فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب
والكذب أو يتسلط «399» به على عرض رجل أو ماله فليس
هو من المزاح المحمود ، ولا هو من جنس
ما مازح «400» به النبى صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس فى
«401» مزاح النبى صلى الله عليه وسلم شىء زائد على خفض
الجناح ، وبسط الجانب ، وجلب التودد ، ومن ذهب الى أنه
يسقط الهيبة كما قال اكثم بن صيفى فلعله فى الاكثار منه ،
والتخلق به ، حتى يؤدى الى سقوط المروءة واستشعار سمة
السخف والمجانة ، وانما المحمود منه
ما قل وندر ، واستجمت به النفس عند كلالها ، كما قدمناه فى
أول الكتاب وبيناه ، أو بسطت به «402» نفس الغير عند
انقباضها كما شرحناه ، وقد قال أبو الفتح البستى :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة    يجم ، وعلله بشىء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطى «403» الطعام من الملح

وأما قول من قال : انما سمى المزاح

«399» يتسلط : س ، تسلط : ز ك .
«400» مازح : ز س ، مزح : ك .
«401» فى : ز ك ، من : م س .
«402» به : ز ك ، له : م س .
«403» تعطي : ز ك ، يعطى : م س .

مزاحا لأنه زاح عن الحق ، فلا يصح لفظا ولا معنى ، أمــا المعنى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وأما االفظ فان «404» الميم فى المزاح أصلية ثابتــة فى الاسم والفعل ، ولو كان أصله كما قال كانت زائدة ساقطة من الفعل ، وأنشد أبو عبيد فى ذمه لبعضهم :

أمــا المزاحة «405» والمراء فدعهــما
خــلــقــان لا أرضــاهمــا لصــديــق

انــى بلــوتهــمــا فلــم أحمــدهمــا
لمــجــاور جــارا ولا لــرفــيــق

وانشدت أنا فى هــذا المعنى ممــا قلتــه قديمــا ، وهــو مــن المتشابه القوافى :

اذا مــا بسطــت بســاط انبــســاط
فمنه «406» فديتــك فاطــو المــزاح

فان المــزاح كمــا قــد رآه «407»
أولــوا العلــم قبــل عن الحلم زاحــا

وفيه من الفقه ان المشبه بالشىء لا ينــزل منزلتــه فى كل شىء ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد شبه نفسه النفيسة فى

---

«404» فان : ز س ، فلأن : م .
«405» المزاحــة : ك س ، المــزاح : ز ، ولعــل الصــواب الاول لضرورة الوزن .
«406» فمنه : ز م س ، فعنــه : ك .
«407» رآه : س ، راى : ز ك .

صحبة «408» عائشة رضى الله عنها بأبى زرع ، ومن فعل أبى زرع معها الطلاق ، فلم يكن لازما ، ولو أن رجلا ذكر امرأة له قد طلقها فوصفها لزوجة أخرى لـه بأوصاف كثيرة جيدة أو رديئة ، ثم ذكر انه طلقها ، ثم قال للاخرى : وانت مثلها ، ولم ينو مثلها فى الطلاق ، لم يلزمه الطلاق ، وحمل على مراده فى التشبيه «409» لها فيما تقدم ذكره ، ولم يلزمه طلاق حتى ينوى مثلها فى الطلاق ، أو يكون لم يذكر شيئا من الاولى سوى الطلاق ، مثل أن يقول : فلانة طالق أو قد طلقتها أو فلان طلق زوجه فلانة ، ثم يقول لزوجة له أخرى : وانت مثلها ، فهذا يلزمه الطلاق نواه أو لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة ، اذ لا احتمال لقوله سوى الزام الطلاق .

**تنبيه** : ذكر بعض من تكلم على معانى الحديث ان فى هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد ، قال : لأن أم زرع أخبرت بما أخبرت فامتثله النبى صلى الله عليه وسلم .

**قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :**

هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا قبوله ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا نقول انه امتثل حال أبى زرع فى احسانه لام زرع ، بل قد كان كذلك ، وانما أخبر عائشة أنه لها مثل أبى زرع لأم زرع ، الا تراه كيف قال : « كنت لك »

---

«408» صحبة : ز س ، صحبته مع : ك .
«409» فى التشبيه : س ، من التشبيه : ز .

فاخبر عن حالة «410» كائنة ثابتة ، وان كان انما تأسى بشيمة أبى زرع ، كما قال المهلب قبل ان فيه التأسى بأهل الاحسان من كل أمة ، فليس هذا من باب قبول خبر الواحد ، لان التأسى بمحاسن الاخلاق شيمة أهل الفضل ، وامتثال محاسن السير من شمائل «411» اولى العدل «412» ، وخبر الواحد من باب آخر ، مأخذه ومستنده الى صاحب الشرع ، وقبوله وامتثال مقتضاه حكم طريقه عند أهل التحقيق القطع ، وفيما المعنا به من القول كفاية لا يحتمل أكثر منها الوسع .

«410» حالة : ز س ، حال : م ك .
«411» شمائل : ز م ك ، شيم : س .
«412» العدل : س ، العقل : ز .

# بيان

ونحن الآن نفى بما وعدنا به من ذكر ما اشتمل عليه هـذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغـة ، والابـواب الملقبة بالبديع فى هذه الصناعة ، من لفظ رائق ، ومعنى فائق ، ونظم متناسب ؛ وتأليف متعاضد متناسق ، وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة فى الروايات المشهورة «413» من الكـلام الفصيـح الالفـاظ ، الصحيـح الاغـراض ، البليـغ العبـارة ، البديع الكنـاية والاشارة ، الرفيع التشبيـه والاستعـارة ، وبعضهن أبلغ قولا ، واعلى يدا وأكثر طولا ، وأمكـن قـاعدة وأصلا ، وكلام بعضهن أكثر رونقـا وديباجـة ، وأرق حاشية وأحلى مجاجة ، وبعضهن أصدق فى الفصاحة لهجة ، وأوضح فى البيان محجة ، وأبلغ فى البلاغة والايجاز حجة ، فانت اذا تأملت كلام أم زرع وجدته مع كثرة فصوله ، وقلة فضولـه ، مختـار الكلمات ، واضح السمات ، بين «414» القسمات ، قـد قدرت الفاظه قيس معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، وجعلت

---

«413» فى الروايات المشهورة : ز ، ـــ : م ك س .
«414» بين : م س ، مجلو : ز ، نير : ك .

لبعضه فى البلاغة موضعا ، وأودعته من البديع بدعا ، واذا لمحت كلام التاسعة صاحبة العماد والنجاد والرماد ، الفيتها لأفانين البلاغة جامعة ، ولعلم البيان رافعة ، وبعصا الايجاز والقصد قارعة ، واعتبر كلام الاولى فانه مع صدق تشبيهه ، وصقالة وجوهه ، قد جمع من حسن الكلام أنواعا ، وكشف عن محيا البلاغة قناعا ، وقرن بين جزالة الالفاظ «415» وحلاوة البديع ، وضم تفاريق المناسبة والمقابلة ، والمطابقة والمجانسة ، والترتيب والترصيع ، فاما صدق تشبيهها فعلى ما شرحناه قبل ، والتشبيه احد أنواع «416» البلاغة ، وابدع أفانين هذه الصناعة ، وهو موضوع «417» للجلاء والكشف ، والمبالغة فى البيان والوصف «418» ، والعبارة عن الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، والشىء بما هو أعظم منه وأحسن ، أو أخس وأدون ، وعن القليل الوجود بالمألوف المعهود ، وكل هذا لتأكيد البيان ، والمبالغة فى الايضاح ، فانظر أين قول القائل : الذين كفروا أعمالهم لا ينتفعون بها من قوله تعالى ( الذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة «419» ) الآية ، وتأمل بون ما بين الموضعين من البيان ، وفرق ما بين الكلامين فى «420» الايضاح ، وان

---

«415» الالفاظ : م س ، اللفظ : ز ك .
«416» انواع : س ، ابواب : ز .
«417» موضوع : ز ، موضع : س .
«418» الوصف : س ، الرصف : ز .
«419» سورة النور ، الآية 39 .
«420» فى : ز ك ، من : م س .

كان الغرض واحدا والموضوع سواء ، وكذلك قـول امـرأة : زوجي بخيل لا يوصل الى شيء مما عنده ، وبين كـلام هـذه المرأة المتكلم عليه ، ووجه بلاغة التشبيه مـا فيـه من الجلاء والايضاح ، كما قدمناه ، وأكثر تشبيهات الكتاب العزيز من هذا النمط ، كقوله تعالى ( مثل نوره كمشكوة فيها مصباح «421» ) الآية ، و ( مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء «422» ) الآية ، أو لما فيـه من المبالغـة والغلـو ، وهو من أبـواب البلاغة ، ومرجعه الى البيان والايضاح ، كتشبيه الشيء بمـا هو أعظم منه وأكبر ، نحو قوله تعالى ( وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام ) «423» ، أو أفضل منه واحسن ، كقولـه تعالى ( كأنهن الياقوت والمرجان ) «424» ، أو أحقـر منـه وأدون ، كقوله ( كمثل الكلب ) «425» الآية ، أو لمـا فيه من التخريج والتوليد لغريب الشبه ومخيلة «426» المثال ، وهو وجه بلاغته ، كقول المعرى فى كف الثريا :

كان يمينها سرقتك شيئـا ومقطوع على السرق البنان

وقد يقع تشبيه الشيء بالشيء تشبيها مجردا ، لضرب من الشبه ، ليس فى شيء من الابواب المتقدمة ، كقـول امـرىء القـيـس :

---

«421» سورة النور ، الآية 35 .
«422» سورة يونس ، الآية 24 .
«423» سورة الرحمن ، الآية 24 .
«424» سورة الرحمن ، الآية 58 .
«425» سورة الاعراف ، الآية 176 .
«426» مخيلة : س ، تحلية : ز .

كان قلـوب الطيـر رطبـا ويـابسـا
لدى وكرهـا : العناب والحشف البـالى

لكنه يلحق بنوع التوليد والتخريج ، الذى بلاغته الفطنـة لادراك التشبيه لا غير وصدقه فيه ، وان كان لبعضهم فى هـذا البيت مقال لا ارتضيه ، ولا بد أن يكون التشبـيه صادقـا من الوجه الذى وقع به التشبيه ، والا اختـل بـه الكلام ، وهـذه المرأة قد شبهت بخل زوجها ، وانه لا ينال ما عنده ، مع شراسة خلقه ، وكبر نفسه ، بلحـم الجمل الغـث ، على رأس الجبـل الوعث ، فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل ، وبعد خيره ببعد اللحم على رأسه ، والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد فى لحم الجمل الغث ، فاعطت التشبيه حقـه ، ووفتـه قسطه ، وهذا من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، ومما جاء فى كلام صواحبها من التشبيه قول الثالثة : « أنـا منه «427» على مثل حد السنان المذلـق » ، فصدقت التشبيه لأنها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان المحدد : اما أن تحيد عنه فتهلـك سقوطا ، أو تثبت فيهلكها ، فبينت بهذا التشبيه قولها قبل « ان اسكت اعلق ، وان انطـق اطلـق » ، وكذلـك وجـه «428» تشبيه الاخرى زوجها بليل تهامة ، وغيث غمامة ، وهذا كله من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، وهو من بـاب المبالغة والغلو ، ومثل هذا قـول أم زرع « مضجعـه كمسـل

«427» انا منه : ز ، ــ : م ك س .
«428» وجه : ز ، ــ : م ك س .

شطبة » ، فهو من باب الغلو ، الى سائـر مـا عندهـن مـن التشبيهات ، فكلها حسان بينات ، قـد تقدم الكـلام عليهـا فى مواضعها ، وقول الثامنة « المس مـس أرنـب ، والريح ريـح زرنب » تشبيه أيضا ، ولكن بغير أداة التشبيه ، فان التشبـيه على ضربين : بأداة وهى الكاف وكأن ومثل وشبه واخواتها ، وبغير أداة التشبيه ، ومثله قـول أم زرع « يلعبـان من تحت خصرها برمانتين » على تأويل انهمـا النهدان ، ومثلـه قـول الرابعة « والغيث غيث غمامـة » ، فهذا تشبـيه بغيـر آلـة التشبيـه ، كقوله تعالى : « تمـر مـر السحـاب «429» »
وكقول امرىء القيـس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها     سمو حباب الماء حالا على حال

ثم انظر حسن نظم كلامها وتطارده ، واخـذه حقـه من المؤالفة والمناسبة فى الالفاظ ، التى هى رأس الفصاحة ، وزمام البلاغة ، فانها وازنت الفاظهـا ، وماثلـت كلمهـا ، وقـدرت فقرها ، وحسنت اسجاعها ، فوازنت فى الفقرة الاولى لحم برأس فى الثانية ، وجمل بجبل ، وغث بوعث ، فى الروايـة الواحدة ، و « قحر » « بوعر » ، فى الرواية الاخرى ، فافرغت كل فقرة فى قالب أختها ، ونسجتها على منـوال صاحبتهـا ، ومن هـذا الباب فى القرآن العزيـز فى حسن التأليـف ومناسبة الالفـاظ ومقابلة الكلمات كثير ، كقوله تعالى : ( اذا بعثر ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور «430» ) وقوله : « فاثرن بـه نقعـا ،

«429» سورة النمل ، الآية 88 .
«430» سورة العاديات ، الآية 9 — 10 .

فوسطن به جمعا «431» » على أن هذا داخل فى باب الترصيع ، ومنه قول السادسة « ان أكل اقتف ، وان شرب اشتف ، وان هجع التف » ، وقول الخامسة : « ان خرج اسد ، وان دخل فهد » ، وقول الرابعة : « لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سئامة » ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ، فهذا كله من حسن النظم ، ومناسبة اللفظ ، وهو باب آخر من البديع يسمى المناسبة ، ومنه قول التاسعة « رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد » ، فكل لفظة على وزن صاحبتها ، وكقول أم زرع « أناس من حلى اذنى ، وملأ من شحم عضدى » ، وقولها « صفر ردائها ، وملء كسائها » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه لعائشة : « فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » ، وقولها « ارقد فاتصبح ، واشرب فاتقمح ، وآكل فاتمنح » ، وقول العاشرة « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » .

وفى كلام الاولى نوع ثالث من البديع يسمى « الترصيع » ، وقد يسمى بالموازنة وبالتسميط وبالتضفير وبالتسجيع ، وهو أن تتضمن الفقر أو بيت الشعر مقاطع اخر بقوافى متماثلة ، غير فقر السجع وقوافى الشعر اللازمة ، فيتوشح بها القول ، ويتفصل بها نظم اللفظ ، كما أتت هذه « بجمل » فى وسط الفقرة الاولى ، و « جبل » فى وسط الفقرة الاخرى ، ففصلت بذلك الكلام ، على حد من المقابلة ،

---

«431» سورة القارعة ، الآية 4 — 5 .

أثناء السجعين اللذين «432» هما « غث ووعث » ، فجاء لكل فقرة سجعان متماثلان متقابلان ، ومثله قول أم زرع فى احدى الروايات « لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تغث طعامنا تغثيثا » ، فان التزام الثاء فى « تبث وتنقث وتغث » ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقر ، وقول الثامنة « شجك أو فلك أو بجك أو جمع كلا لك » ، ومنه فى الحديث قول على رضى الله عنه : « انه انقى لثوبك ، وأتقى لربك » .

وفى طيه باب رابع من البديع ، وهو مجانسة جمل بجبل ، وهو ان لم يجانسه فى كل حروفه فقد جانسه فى اكثرها ، وقد اختلف أرباب البلاغة والنقد فى هذا النوع اذا لم يكن مشتقا من أصل واحد : فسماها بعضهم « مجانسة » تغليبا للاكثر . واما أبو الفرج قدامة فسمى هذا النوع «مضارعة » ، وهذا مثل قول أم زرع أيضا « رجلا سريا ، ركب شريا » وقولها « بيتها فساح ، وفناؤها فياح » ، وقول الثانية « عجره وبجره » ، وقول أم زرع « تعشيشا وتغشيشا » ، وأما التجنيس الحقيقى فهو أن يكون فى الكلام لفظتان احداهما مشتقة من الاخرى ، كقوله تعالى « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم «433» »

---

«432» السجعين اللذين : ز م ، السجعتين اللتين : س ، السجع الذي : ك .

«433» سورة التوبة ، الآية 127 .

و « يمحق الله الربا ويربى الصدقـات » «434» ، أو بمنـزلة المشتق كقوله تعالى ( تتقلب فيه القلوب والابصـار ) «435» وقوله ( واسلمت مع سليمان ) «436» وقولـه صلى الله عليـه وسلم : ( اسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله ) (118) ، وقال امرؤ القيس :

لقـد طمـح الطمـاح من بعد أرضـه

فى أمثلة كثيرة ، أو تكون لفظتـان على صيغـة واحدة ، مختلفة المعانى ، كقوله عليه السلام : ( الظلـم ظلمات يـوم القيامة ) (119) ، ومن قول من تقدم فيه قول الافوه الاودى :

واقطع الهوجل مستأنسا     بهوجل عيرانـة عنتريس

وقريب من هذا الباب قوله تعالى ( وجوه يومئـذ ناضرة ، الى ربها ناظرة ) «437» ، وولع المحدثون والمتأخرون بعد بـه «438» حتى اكثروا منه ، فمن مقصر ومجيد ، كقول البستى :

سمى وحمى بنى سام وحام     فليس كمثله سام وحـام

وقـول الـطـائـى :

ان الصفائح منك قد نضدت على     ملقى عظام لو علمت عظام

---

«434» سورة البقرة ، الآية 276 .
«435» سورة النور ، الآية 37 .
«436» سورة النمل ، الآية 44 .
«437» سورة القيامة ، الآية 22 — 23 .
«438» بعد به : ز م ، بعذ به : س .

---

(118) رواه البخـارى والترمذى فى المنـاقب ، ومسلـم فى فضائـل الصحابة ، والدارمى فى السير ، والامام احمد عن ابن عـمر ( 2 : 20 ) .
(119) رواه مسلم فى البر ، والامام احمد عن ابن عمر (2 : 92 ) .

وقــول الــخـــطــابـــى :

وكـــان عقـــابى فى سلـــوك عـــقـــاب

وكان ابو الفتح البستى يسمى مـــا كان على صيغة بيـــت الافوه بـــ ( المتشابه ) ، واخترع قـــوم من المتأخرين أنواعـــا غريبة سموها ( تجنيس التركيب ) كقول المعرى :

مقاليـــتا مقاليـــتـــا . ومطايـــا مطايـــا

وهو نوع متكلف من غير حدود البلاغة ، ولكن ربما يندر منـــه المستحسن ، كقول الميكالى «439» :

تمت محاسنه فما يزرى بهـــا مع فضلـــه وسخائه وكمالـــه
الا قصور وجـــوده عن جوده لا عون للرجل الكريم كمالـــه

وقول البستى : فهل لمنهاجي من هاجى ، وقوله : فدعنى فـــان يقينى يقينى ، وقول الآخر :

الى أجـــلى مشى قدمـــى أرى قدمى أراق دمـــى

والحقوا به أيضا ( تجنيس التصحيـــف ) ، وهو مشاركـــة «440» صورة الحرف فى الخط دون اللفظ ، وهذا لا يدخـــل فى باب البلاغة المستجادة ولا المتكلفـــة أصـــلا ، ولا فى شىء من حدود الكلام ولا «441» صناعته ، اذ لا يقرع السمع منـــــه لهجة ، ولا يقوم له فى النطق حجة ، وقد رأيـــت ابـــا منصور

---

«439» الميكالي : ز ك ، المكيالي : س .
«440» مشاركة : س ، مشاكلة : ز .
«441» ولا : س ، ولا فى : ز .

الثعالبى قد عد هذا الباب فى باب «442» التجنيس ، وذكر فيه قوله تعالى ( وهم يحسبون أنهم يحسنــون صنعــا ) «443» واشباها لهذا من الكلام ، وليس عندى من هذا الباب ، وهــو من الباب الاول الذى سماه قدامة بالمضارعة ، وهو التجنيس فى أكثر الكلمة أو بعضها ، وذكر فى هذا الباب قول بعضهم : النار فى الفتيلة كالتعادى للقبيلة ، وقول بعضهم : الصب مع الضب ، وســجــف وســخــف ، وصــحــاصــح وضــحــاضــح ، وشبه هذا ، فلم يحسن هذا ، ولم يقل شيئــا لاجــل صــورة الحروف ، اذ لاحظ لهذا كما قلنــاه فى الفصاحة ، ولاحظ له من التجنيس ، وانما حسن لوزن الكلمتين ، واتفــاق أواخرهمــا ، وقرب مخــارج أوائلهمــا وأواسطهمــا ، فهــذه هى أنــواع التجنيس ، الا أن قدامة بن جعفــر كان يسمى اتفــاق صيغتى اللفظ باختلاف المعنى الذى من جنس بيت الافــوه بالطبــاق ، والناس كلهم على خلافه ، وقد رد قولــه هذا الاخفش وابــو القاسم الآمدى وغيرهما ، وحكوا أن مذهب الخليل والاصمعى خــلافـــــه .

ثم أتت هذه المرأة فى كلامها بنوع خامس من البديــع ، وهو المسمى بالمطابقة عنــد الجمهور ، وهــو مقابلــة الشىء بضده ، فقابلت الوعر بالسهل ، والغــث بالسمين ، فى الفقرتين الاخيرتين ، وهو مما يحسن الكلام بمقابلته ، ويروق بمناسبته ، لا خلاف بين ارباب النقد فى ذلك ، وانما اختلــفوا فى تلقيبــه ،

---

«442» فى باب : س ، من باب : ز .
«443» سورة الكهف ، الآية 104 .

فكان قدامة يخالف فيه أيضا ، ويسمى هـذا ( المتـكافىء ) ، وخالفه فى هذا الجميع ، ولا يكون هذا النوع عنده متكافئـا الا اذا كانت الكلمة وضدها الحقيقى ، كما وقع هاهنـا من مضادة السمن للهزال والسهولة للوعورة ، ومثل السواد مع البياض ، والنطق مع السكوت ، فاما اذا لم يكن له بضد حقيقى ، ولا جاء معه على طرف نقيض بين ، ولكن على حـد مـا من التقـارب كالبياض مع الحمرة ، والسواد مع الضوء ، فبعضهم يجعـله ( طباقا ) ، وبعضهم يسمى الاول بطباق محض ، وهذا بطباق غير محض ، وبعضهم يسمى هذا ( مخالفا ) ، والاول ( مطابقا ) ، ومن الباب الاول قول الله تعالى ( ان ينصركم الله فـلا غالب لكم ، وان يخذلكم ) «444» الآية ، وقوله تعالى ( تحسبـهم جميعا وقلوبهم شتى ) «445» ، وقول النبى صلى الله عليـه وسلم لعائشة فى هذا الحديث ( فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء ) ، فطابق الالفة بالفرقة ، التى هى ضدهـا ، والرفـاء بالخلاء ، ومثله قول أم زرع ( صفر ردائها ، وملء كسائها ) ، فصفر ضد ملء ، ومثله قول الثالثة ( ان انطق اطلق ، وان اسكت اعلق ) ، فطابقت انطق باسكت الذى هو ضده ، وقـول الرابعة ( لا حر ولا قر ) ، وقول الخامسة ( ان دخل فهـد ، وان خرج أسد ) ، فدخل وخرج طباق فى اللفظ ، وأسد وفهد طبـاق من جهة المعنى ، ولكنـه لا يسمـى طباقـا ويسمـى مقابلـة ، ومنه قول العاشرة ( كثيرات المبـارك ، قليـلات المسارح ) ،

«444» سورة آل عمران ، الآية 160 .
«445» سورة الحشر ، الآية 14 .

ومثال الوجه الثانى مقابلة وعث ـ على رواية من رواه ـ بسهل ، وانما ضد وعث الصلب أو اللبد ، وضد السهل الوعر أو الحزن ، وان كان قد روى أيضا ( ليس بلبد ) ، وهذا ضد ( وعث ) فيكون طباقا حقيقيا ، ومن هذا الباب قول أم زرع ( اشرب فاتقمح ، وآكل فاتمنح ) ، فجاءت بالاكل والشرب لتقاربهما وتناسبهما ، وكذلك قولها ( تشبعه ، وترويه ) ، وقولها ( ملء كسائها ، وصفر ردائها ) ، فجاءت بالرداء والكساء لمناسبتهما ، وقول السادسة ( ان أكل ، وان شرب ) .

وفى كلام هذه المرأة اعنى الاولى من الفصاحة وفنون البلاغة نوع سادس من البديع ، وهو حسن التفسير ، وغرابة التقسيم ، وابداع حمل اللفظ على اللفظ ، والمعنى على المعنى ، فى المقابلة والترتيب ، وذلك فى قولها ( لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى ) ، فانها فسرت ما ذكرت ، وبينت حقيقة ما شبهت ، وقسمت كل قسم على حياله ، وفصلت كل فصل من مثاله ، وجاءت للفقرتين الاوليين بفقرتين مفسرتين ، وقابلت ( لا سهل فيرتقى ) بقولها ( لا سمين فينتقى ) ، وهذا يسمى ( المقابلة ) عند أهل النقد ، لا سيما على رواية وقعت فى النسائى ، بتقديم ( لا سمين ) ، فيكون أول تفسير لأول مفسر ، وهو قولها : ( كلحم جمل ) ، والثانى للثانى ، فحملت اللفظ على اللفظ ، وردت المقدم الى المقدم ، والمؤخر الى المؤخر ، فتقابلت معانى كلماتهما ، وترتبت ألفاظها ، ومثاله

قوله تعالى ( لا فيها غول ، ولا هم عنهـا ينزفون ) «446» ، على ما قـدمنـاه أول هـذا المجـمـوع ومـثـالاتـه بما يغنى عن اعادته ، ولا أعلـم فى كلام صواحبها له مثـالا ، الا فى التفسير من قول الرابعة ( زوجى كليل تهامـة ، لا حـر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة ) ، فانهـا أجـادت التفسيـر ، وحسنت التعبير ، بـل «447» قوله صلى الله عليـه وسلـم لعائشة ( كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، فى الالفـة والرفـاء ، لا فى الفرقة والخلاء ) من هذا .

ومما فى كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع ، وهو التزام ما لا يلزم فى سجعهـا ، وبعضهم يجعلـه احـد انـواع الترصيع فى قولهـا ( فيرتقى ، وينتقى ) ، فالتزمت القاف والتاء فى كل سجـع قبل القافية ، وقافيـة سجعها الألف المقصورة ، وكذلك قولها فى الرواية الاخرى « ينتقل ، ويتوقل » ، فقافيتهـا اللام والتزمت قبلها القاف ، وهذا نوع زيادة فى تحسين الكلام وتماثله ، واغراق فى جـودة تشابهـه وتناسبـه ، ولهـذا فى الاسجاع والقوافى طلاوة وديباجة ، يشهد الطبع لـه ، ويجده الذوق ، وعلته المشابهة والمناسبة لا سيما عند المقاطع وفصـل الكلام ، وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا ، وأولع به المتأخرون ولوعا كثيرا ، فمن مجيـد ومقصر ، وبالجملة فـلا يحسن منـه ومن جميع ما مخضنا «448» القول عنه الا مـا ساقه الطبع ،

---

«446» سورة الصافات ، الآية 47 .

«447» بل : ك ، بلى : ز س .

«448» مخضنا : ز م ، محضنا : ك ، حصلنا : س .

وقذف به الخاطر ، دون تكلف ولا مقاساة «449» ، ووجد لفظه تابعا لمعناه ، منقادا له ، موضوعا عليه ، غير مرغم فيه «450» ، ولا منافر له ، وقد جاء من مليح الالتزام فى كتاب الله تعالى فى فواصله ومقاطع آياته ما لا شىء فى الحسن والفصاحة وقلة التكلف مثله ، كقوله تعالى (والطور، وكتاب مسطور) «451» و(فلا اقسم بالخنس ، الجوار الكنس ) «452» ( والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق «453» ) و « فاما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر «454» و ( أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ) «455» » و « ما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون «456» » وقوله ( فاذا هم مبصرون ، واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » «457» وقوله ( كلا اذا بلغت التراقى ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئذ المساق ) «458» ، فى اشياء كثيرة ، والقرآن منزه عن أن يقال انه مسجع ، أو على اسلوب من اساليب كلام العرب ، ولكن الفاظه عربية ، وبلاغته جامعة لمحاسن البلاغة ، معجزة بانفرادها ، على الصحيح من اقوال أهل الحق ، ومثاله

---

«449» مقاساة : ز م س ، معاناة : ك .
«450» فيه : ز ك ، له : س ، له فيه : م .
«451» سورة الطور ، الآية 1 — 2 .
«452» سورة التكوير ، الآية 15 — 16 .
«453» سورة الانشقاق ، الآية 17 — 18 .
«454» سورة الضحى ، الآية 9 — 10 .
«455» سورة الاسراء ، الآية 16 .
«456» سورة القلم ، الآية 2 — 3 .
«457» سورة الاعراف ، الآية 202 — 203 .
«458» سورة القيامة ، الآية 26 — 30 .

من كلام صواحبها قول أم زرع ( واشرب فانتقنح ، وآكل فاتمنح ) ، وقولها فى وصف ابنه ( الجفرة ، ثم اليعرة ، ثم النثرة ) وقولها أيضا فى وصف الخادم فى بعض الروايات ( ولا تغش طعامنا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ) ، وقولها ( رجلا سريا ، ركب شريا ) ، ثم ذكرت بعد ذلك ( ثريا ) ، وقول السابعة ( شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلا لك ) ، وقول السادسة ( اقتف ، والتف ، واشتف ) ، وقول الثامنة ( أرنب ، وزرنب ) ، فروى سجعها الباء ، والتزمت قبلها حرفين الراء والنون ، وجاء فى كلام التاسعة ( مالك ، وذلك ، ثم مهالك ، وهوالك ) فالتزمت اللام فى أكثر سجعها ، وفى كلام الثالثة ( اطلق ، واعلق ، ومخلق ) فالتزمت اللام المشددة قبل قاف سجعها ، ومثل هذا الالتزام هو المحمود ، لما فيه من عدم الكلفة .

وفى قول هذه الاولى أيضا نوع ثامن من البديع يسمى ( الايغال ) ، ويسميه قوم ( بالتبليغ ) ، وهو ان يتم كلام الشاعر قبل البيت ، أو الناثر قبل السجع ان كان كلامه مسجعا ، أو قبل الفصل والقطع «459» ان لم يكن كذلك ، فيأتى بكلمة لتمام قافية البيت ، أو السجع ، أو مقابلة الفصول والقطع ، يفيد معنى زائدا كقول امرىء القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا البيت (120)

---

«459» والقطع : ز ك ، والمقطع : م س .

---

(120) وتمام البيت :

وارحلنا ، الجزع الذى لم يثقب

فشبه عيون الوحش بالجزع ، فتم قوله ، ثم قال : الذى لم يثقب ، فزاده كمالا ، وقول ذى الرمة : رسوما كاخلاق الرداء ، فتم ، ثم قال : المهلهل ، فافاد اغياء ، فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل ، على رأس جبل ، لاكتفت ببعد مناله ، ومشقة الوصول اليه ، والزهد فيه ، وهو غرضها ، لكنها زادت بسجعها ( غث ، ووعث ) معنيين بينين ، وبالغت فى القول ، وافادت بزيادتهما التناهى فى غاية الوصف ، وكان من هذا الباب قوله تعالى ( كأنهم أعجاز نخل خاوية «460») وقوله ( كعصف مأكول ) «461» ، فخاوية ومأكول ضرب من الايغال ، ومنه قوله تعالى ( كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة ) «462» ، فان التشبيه اكتفى بقوله ( حمر مستنفرة ) ، وانتهى : مستنفرة ، فلما قال ( فرت من قسورة ) بالغ فى وصف النفار ، وأوغل فى الاغياء فيه بذلك ، ومثله قوله تعالى ( حتى عاد كالعرجون القديم ) «463» ، وقوله ( فجعلناه هباء منثورا ) «464» ، فان ( القديم ، ومنثورا ) افادا زيادة فى الوصف بعد اكتفاء المعنى بما تقدم قبل واستقلاله .

وفى قول الثالثة ـ سوى ما تقدم ذكرنا له فى كلامها وكلام الثانية والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام وتشبيه ـ اشارة الى الاستعارة بقولها ( اعلق ) ، فان الشىء المعلق ليس

---

«460» سورة الحاقة ، الآية 7 .
«461» سورة الفيل ، الآية 5 .
«462» سورة المدثر ، الآية 50 ـ 51 .
«463» سورة يس ، الآية 39 .
«464» سورة الفرقان ، الآية 23 .

بمطمئن الثبوت والقرار فى السفـل ولا فى العلـو ، وهـو بين الحالين ، ولهذا قيل : علقت هذا الامر ، أى تركته مـرددا بين الامضاء والترك ، وقيل للمرأة اذا لم تكن مطلقـة ولا مراعـاة الصحبة ( معلقة ) تشبيهـا بالشىء المعلـق ، والاستعارة فى الحقيقة نوع من التشبيه ، الا انها قد انفصلت عنه فى الصيغة واللقب ، وقد فصل أبو الحسن الرمانى بينهما بأن التشبيه لـه أداة ، يريد حروف التشبيه ، ولا اداة للاستعارة ، والحق مـا قال غيره : ان الفرق بينهما غير هذا ، اذ قد يكـون التشبيـه بأداة وبغير أداة ، بل ان التشبيه مبقى على وضعه ، ممثل به ، والاستعارة منقولة عن موضوعها ، مستعملة استعمال غيرهـا للابانة ، وقد اشار الى هذا الرمانى ايضا ، والاستعارة باتفاق من أهل البلاغة ارفع درجات البديع ، واعلـى محاسن الشعر ، وآنق منظر الكلام ، واعجب تصرفات البليغ ، ولهـا موقـع فى الابانة لا يقعه سواها ، ومنزع فى الايجاز والاختصار لا يوجد فى غير بابها ، فانظر ما بين قولك : كثر شيـب رأسى ، وقولـه تعالى « واشتعل الرأس شيبا » «465» ، وبين قولك : تذلـل لهما ، وقوله « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » «466» ، وبين قولك : انتشر ضوء الفجر حتى غابت النجوم ، وقول ذى الـرمـة :

ولـف الثـريـا فى مـلاءتـه الفجـر

وبين قولك : فرس سابق الاوابـد حتى كأنها مقيـدة لـم

---

«465» سورة مريم ، الآية 4 .

«466» سورة الاسراء ، الآية 24 .

تسابقــه ولا جرت معه حين جرى ، من قول امرىء القيـــس :
« قيد الاوابد هيكل » «467» ، وكذلك انظــر قــول التاسعــة
( رفيع العماد ) على من جعله الحسب ، أين هو فى باب «468»
البلاغة من قولها لو قالت : زوجى حسيب أو شريف ، وانظــر
ايجاز قولها ( أيقن أنهن هوالك ) وما تحته من المبالغة فى كثرة
نحره ، واستمرار عادته ، وجلاء ما قصدته من ذلك باستعارتها
لهن اليقين ، وما بينه وبين قولها لو قالت : اذا ضرب المزهــر
نحــرن ، واذا «469» كانت المعـــانى فى هذا كلــه واحـــدة ،
والمقاصد متفقة ، ولكن للاستعارة فضل بيان وابـــلاغ ، وحسن
طلاوة «470» وابداع ، وجودة اختصار فى بعـــض المواضـــع
وايجاز ، كما ورد فى قول الخامسة ( ان دخل فهــد ، وان خرج
اسد ) ، فانها استعارت له فى كل واحدة من الحالتين خلق واحد
من هذين الحيوانين ، فجاء كلامها «471» فى «472» غاية من
الايجاز والاختصار ، ونهاية من المبالغة والبيـــان ، فان مثـــال
قولها ( فهد ، واسد ) : اذا دخل تغافل وتـــناوم ، واذا خـــرج
صال وشجع . وليس يقتضى هذا انه أبدا فى دخوله وخروجه
بهذه الاوصاف ، فلمـــا استعارت لـــه خلقى هذيـــن السبعين فى
الحالين اللازمين لهما ، المختصين بوصفهمـــا ، اعربت بذلـــك عن

---

«467» هيكل : ك ، ــ : س .
«468» باب : ز ، ــ : س .
«469» واذا : ك ، وان : ز م س .
«470» طلاوة : س ، وطلاوة : ز .
«471» كلامها : ز م س ، كلاهما : ك .
«472» فى : س ، على : ز ك .

تخلقه بهما ، والتزامه لوصفيهما ، وعبرت عن جميع ذلك كلــه بكلمة كلمة كل واحدة من ثلاثة حروف ، حسنة التركيب ، غيــر عسيــرة ، مع جمالهما فى اللفــظ ، ومناسبــتهما فى الــوزن ، وسهولتهما فى النطق ، ثم جاءت باشارة بديعة عن كرمــه وكثرة جوده ، وبذل ما بيده ، وللاخذ بالحزم لجميــع اموره ، بقولهــا ( ولا يرفع اليوم لغد ) ، فان هذا نوع من الاشارة ، وضرب من الكناية ، وهو عندى ادخل فى باب التتبيع والارداف ، وكله من باب الكنايات والاشارات ، وهــو التــعبــير عن الشىء بأحــد توابعه ، كما سنبينه ، واما كناية السادسة بقولها ( لا يولــج الكف ) ـ على المذهب الصحيح ـ فمن الكنايات الحسنة ، كما قد فسرناها قبل فى شرح كلامها ، وكذلك قولهــا ( واذا هجــع التــف ) من هــذا البــاب ، وهو داخــل فى بــاب التــتــبيع والارداف ، لأنها عبرت بقولهــا ( التــف ) واكتفــت بــه عن الاعراض عنها ، وقلة الاشتغال بهــا ، وذكرنا هاهنــا مــا فى كــلامهــا من مــنــاسبــة ومــلاءمــة وطــبــاق والــتــزام ومضارعة ، كما ذكرنا ما فى كلام السابعة من ترصيع والتزام ، مع ما فيه من حسن التقسيــم ، وبديــع الوحــى والاشــارة ، بقولها ( كل داء له داء ) ، فهــذا من لطيــف الوحى والاشارة ، على مذهب قدامة بن جعفر ، وذلك انــه انطــوى تحت هــذه اللفظــة «473» كلام كثير ، واشتملت هذه الكلمــة على شرح طويل ، كقول امرىء القيس :

«473» اللفظة : ز م س ، الالفاظ : ك .

يعطيــك قبل سؤالـــه افـــانين جـــرى

فتحت قوله « افانين » جملة كثيرة ، وأما على مـــا حـــكاه الحاتمى عن غيره : فان الوحى والاشارة أرق وجوه الاستعارة ، كـــقـــولـــــه :

جعلن السيف بين الجيد منه      وبين سواد لحيـــته عـــذارا

ومن بـــاب الوحى والاشارة عندى على القول الاول قولـــه تعالى « قضى الامر » «474» وقوله ( يحسبـــون كل صيحـــة عليهم ) «475» وقوله ( لو كان فيهما آلهـــة الا الله لفسدتـــا ) «476» وقوله ( فغشيهم من اليم ما غشيهم ) «477» ، وهذه جمل أنبأت بوجازة الفاظها ، واعربت بلطائف اشاراتهـــا ، عن معان كثيرة وفصول طويلة ، فهى كما قيل : البلاغة لمحة دالة .

وفى قول الـــثامنة سوى ما ذكرنـــا من المناسبة والالتـــزام «478» : صحة المقابلة ، وهى من أنـــواع البلاغـــة ، وذلـــك فى قولها « وأغلبه والناس يغلب » ، فقابلت غلبتـــها ايـــاه بغلبتـــه للناس ، وهى مطابقة من جهة المعنى .

وفى هذه الفقـــرة نفسها نـــوع آخـــر من البديـــع يسمى « التتميم » ، فانها لو اقتصرت على قولها « وأغلبـــه » لما كان مدحا ، ولتخيل انه جبان ضعيف ، فلما قالت « والناس يغلب »

---

«474» سورة يوسف ، الآية 41 .
«475» سورة المنافقون ، الآية 4 .
«476» سورة الانبياء ، الآية 22 .
«477» سورة طه ، الآية 78 .
«478» « الالتزام » : لعل الصواب هكذا ، وهى بالاصول : (والتزام) .

دل على ان «479» غلبهـا ايـاه من حسن عشرتـه ، وكـرم سجاياه ، فتممت بهذه الكلمة قصدها ، وابانت جهد ما عندها ، ومثله قوله تعالى « كونـي بردا وسلامـا » «480» وقولـه ( تخرج بيضاء من غير سوء ) «481» ، ومثله قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيـع وديمة تهمى

وفى قول التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من البلاغة يسمى « الارداف والتـتبيع » ، وهو من اجلى وجوه البلاغـة ، وارق أنفـاس البديـع ، ولـه من الايجـاز والاختصار المحل الرفيع ، وهو لاحق بابواب الاشارة والوحى والكناية ، وموضوعه أن يقصد الابانة عن معنى فيـترك اللفـظ الخاص به ، الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ من توابـع معنـاه اللازمة ، واسبابه المتعلقة ، وارداقه المتضمنة ، وهو نوع يسميه البلغاء بالارداف ، وبعضهم بالتـتبيع ، وفى الوصف بـه والتعبير مع ايجازه نوع من المبالغـة ، ومنـه قولـه تعـالى « مدهامتـان » «482» ، فانـه عبر بهـذه اللفظـة الواحـدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمـة هـذه الجنـة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريهـا ، وجمال منظرها ، وتمـام حسن اشجارها ، ورونق نباتها ، بتـابع من توابعهـا ، وهى دهمـة خضرتها ، التى لا تكون الا مع تناهى الرى ، وشباب النبات ،

---

«479» على ان : س ، ان : ز م ك .
«480» سورة الانبياء ، الآية 69 .
«481» سورة طه ، الآية 22 .
«482» سورة الرحمن ، الآية 64 .

وعدم الآفات ، وكذلك قوله تعالى فى ذكر المسيح وأمه « كانا يأكلان الطعام » «483» ، فعبر عن حدوثهما ، وابان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى أكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار الى أن من يأكل الطعام يكون منه الحدث ، وكل هذا مناف اصفات الجلال والالهية ، فتضمنت الآية الارداف والتتبيع والكناية والوحى والاشارة ، فان تحت قوله « يأكلان الطعام » معانى عظيمة ، وفصولا كثيرة .

ويجب أن يتحقق أن الوحى والاشارة قد تتداخل صورها أحيانا مع الارداف والتتبيع ، ومع الكناية ، كما فى هذه الآية ، وأحيانا تدخل فى باب الاستعارة كقوله : قيد الاوابد ، وقد عد قوله « قيد الاوابد » فى الابواب الثلاثة : الاستعارة ، والوحى والاشارة ، والارداف والتتبيع ، واحيانا تأتى الكناية والارداف كشىء واحد كما فى هذه الآية ، فانها تدخل فى باب الوحى والاشارة ، وفى باب الكناية والتعريض ، وفى باب الارداف والتتبيع ، وذلك ان وجه بلاغة هذه الابواب واحد ، وهو المبالغة فى الوصف والايجاز ، ولذلك تشاركها الاستعارة احيانا ، فتأمل هذه التنبيهات تستفيد بها معنى ما تجده متفرقا ومختلفا فى كتب ارباب هذا الشأن : من تسمية بعضهم شيئا بغير ما يسميه به الآخر ، وادخال بعضهم الاية أو البيت فى غير الباب الذى يدخله الثانى فيه «484» ، وعلة

---

«483» سورة المائدة ، الآية 75 .

«484» فيه : ـــ : ز م ك س ، واثباتها ضروري لتتضمن العائد على اسم الموصول .

ذلك ما قلته من تغليب احد الالقاب عليـه ، لظهـوره فى احـد الابواب أكثر من ظهوره فى الآخر ، فكذلك قول هذه « طويـل النجاد » ، فان طول النجاد من توابع الطول ولوازمه ، فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا ، وكذلك قولها « عظيـم الرمـاد » من توابع الكرم وروادفه ، لأنه لا يكثر رماده الا لكثـرة وقوده النيران للضيفان ، وكذلك قولهـا « قريب البيت من النـادى » من التتبيع البديع أيضا ، اذ العادة انه لا ينـزل قرب النـادى الا المنتصب للضيفان ، فكان ردفا لجوده وكرمه ، وكان قولـها « طويل النجاد » اكمل وابلغ من قولها : طويلا ، اذ ثـم طول دون طول ، فلما عبرت عنه بما هو من توابعه بقولها « طويـل النجاد » بالغت فى طوله ، وكأنها أظهرت طولـه للسامع صورة يراها ، مع ما فى هذه الصيغة من طلاوة اللفـظ مع الايجـاز ، اذ لو أرادت تحقيق طوله المحمود لطال كلامها ، وكذلك العبارة بكثرة النيران ، ونزول قرب النادى ، مبالغة فى الوصف بالكرم ، وتحت هذه الالفاظ الوجيزة جمل كثيرة ، أعربت هذه الكنـايات اللطيفة والاشارات الخفيفة عنها ، وأينها فى البلاغـة والمبالغـة من قولها لو قالت : زوجى كريم كثير الضيفان ، أو أكرم الناس وأكثرهم ضيفانا ؟ فان واحـدا من هذه الاوصـاف على كثـرة الفاظها ، ومبالغـة أوصافها ، لا ينتهى منتهى واحد من قولهـا « عظيم الرمـاد » ، أو « قريب البيت من النادى » ، ومن هذا الباب قول العاشرة « قليـلات المسارح ، كثـيرات المبـارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » .

على أن هذه قد امتد نفسها فى الوصف قليلا ، ولكن باحسن عبارة ، واملح استعارة ، والطف اشارة ، وليس من شرط الارداف والتتبيع أن يكون موجز اللفظ ، ولكنه قد يأتى أحيانا كذلك ، ولكن يأتى فى الكلام على هذا النحو كيفما جاء من الديباجة والحسن ما لا شىء فوقه ، ومثاله قول أم زرع ( أناس من حلى أذنى ) ، فعبرت عن كثرة ما حلاها به بأحد توابعه وهو صوت حركته ، ولا يكون ذلك الا مع كثرته ، ولو قالت « حلى اذنى » لم يقع من المبالغة وحسن اللهجة موقع قولها « اناس من حلى اذنى » ، ومنه قولها « أقول فلا اقبح ، وارقد فأتصبح ، واشرب فأتقمح ، وآكل فاتمنح » ، فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملا من الكلام ، حسب ما قدمناه ، فكنت عن العزة والكرامة عنده بأنه لا يقبح قولها ، وهو ردف من روادف العزة لازم ، وفصل من فصولها ثابت ، فاكتفت بذلك عما وراءه ، وعبرت عن ترفيهها عن المهنة ، واعفائها من الخدمة ، وكونها مكفية المئونة مدالة ذات خدم وسعة : بنومها الصبحة ، اذ لا ينامها الا من هو بهذه الصفة ، ثم ابانت عن رغد عيشها ، وكثرة نعمتها ، ووفور طعامها وشرابها ، وفضلته عن حاجتها ، بقولها « أتمنح » و « أتقمح » ، اذ لا يكون الرى بعد الرى ، ولا تمنح المرأة وتعطى — مع وصفهن بالبخل — الا مع كثرة الشىء ، وبعد فضلته عن حاجتها ، ومن بديع هذا الباب قول أم زرع « ملء كسائها ، وصفر ردائها » ، فعبرت عن اعتدال خلقها ، وتقسم جسمها بين الرقة والغلظ ، وكون كل عضو منها موفى حقه ، بتابع من توابعه ، وهو ملء الكساء ، وصفر الرداء ،

ثم جمعت كل ثناء ، وطوت كل مدح ، وادمجت كل حسن : من خلق وخلق ، تحت لفظتين ، بقولها « غيـظ جارتها » ، فهـو من باب الارداف ، وان شئـت قلـت «485» من بـاب الوحـى والاشارة ، فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجـاز كل مذهـب ، وأتت فيها من البلاغة والمبالغة والغلو بكل معجز .

وفى كلام أم زرع من البديع حسن التسجيـع ، وكذلك فى كلام هذه التاسعة ، بل كلهن حسان الاسجاع ، متفقات الطباع ، غريبات الابداع ، غير مستكرهات الالفاظ ، ولا ملفقات القوافى ، ولا قلقات الفواصل ، لا سيما هذه التاسعة ، فلا شىء أسلـس من كلامها ولا أربط من نظامها ، ولا اطبع من سجعها ، ولا أغرب من طبعها ، وكأنما فقرها مفرغة فى قالب واحـد ، ومحذوة على مثـال متـوارد ، ثـم مدت نفسهـا فى الفـقـرة الرابعـة ، فأطالتها شيئا استرواحا للخروج ، واشارة للقطع ، وهذا حكـم الاسجاع ، فانها تحتاج الى تقدير ، ويكره فيهـا التطويل ، فان وقع فى أول فقرة من الفقرتين كان عيا ، وخرج عن حد البلاغة ، وتخاذل به الكلام ، وهو فى آخر الفقرتين غير معيب ، بل ربمـا جاء مستحسنا - لا سيما ان توالت الفقر على سجـع واحـد ، وجاءت «486» على تقدير متعاضد ، فالخروج من آخرها بعـد زيادة فيها على تقدير اخواتها أحسن فى السجـع ، واوقـع فى

---

«485» قلت : س ، ــــ : ز م ك .
«486» جاءت : ز م ك ، توالت : س .

السمع ، وهذا ما «487» لا ينكره حسن الذوق فى الكتابة ، ولا يجهله «488» الا طبع الطبع فى الخطابة .

وأما تكرير أم زرع اسم أبى زرع فى كلامها ، وتصريحها به فى أول فصولها ، فليس من عيب الكلام ، ولا من باب التكرار ، لأن التكرار المعيب انما يكون اذا كان فى جملة واحدة ، واما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينها فليس بعيب . ولكنه منه ما يكون محتملا ، ومنه ما يكون حسنا ، من باب البلاغة ، كقولها « أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ » ، فان التصريح هنا أبلغ من الكناية ، لما فيه من التعظيم والتعجب ، كما قلناه فى قول العاشرة « مالك ، وما مالك ؟ » وقوله تعالى ( الحاقة ، ما الحاقة ) «489» ، فقد تقدم فيه ما أغنى ، وانما يقبح اذا كان على غير هذا الوجه وكان فى جملة واحدة ، وأما فى جمل مختلفة فليس بقبيح «490» ، قال الله تعالى « مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته » «491» ، وقد عد الحاتمى وغيره بعض هذا النوع من أبواب البديع ، وسماه « الترديد » ، وهو أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت ــ أو الناثر فى الفصل ــ بمعنى ، ثم يرددها فيه ويعلقها بمعنى آخر ، كقول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة منه والندا خلقا

---

«487» ما : ز م ك ، مما : س .
«488» يجهله : م ك ، ينكره : ز ، يجعله : س وهو تصحيف .
«489» سورة الحاقة ، الآية 1 ــ 2 .
«490» بقبيح : م س ، يقبح : ز ك .
«491» سورة الانعام ، الآية 124 .

وقـــال الآخـــر :

لبس (121) البلى مما لبسـن اللياليـا

فكرر ( بلـق ) و ( لبسن ) .

ونازعه في ذلك الخفاجي ، وقال : ان هذا الترديد كسائـر التـأليـف .

**قال الفقيه القاضي الاجل وفقـه الله وسـدده :** والـذى عندى ان ما كان من ذلك يضطر الكلام اليـه ، ولا يتـم المعنى الا به ، فهو على ما قاله الحاتمى ، وهو يفيـد الكـلام حسنـا ورونقا ، لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى ، نحو مـا ذكرنـاه من المثال ، ومثله قوله تعـالى « واذا رأيت ثـم رأيت نعيمـا «492» » وقولـه ( الـذى علـم بالقلـم ، علـم الانـسـان «493» ) وما كان منه على غير ذلك وكان من جملـة أو جملتين كقـول الفـرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه ولا منسىء معن ولا متيسر

وقـول الآخـر :

لا أرى المـوت يسبـق الموت شـىء

نغـص المـوت ذا الغنـى والفقيـرا

وقـول امـرؤ القيـس :

الا انني بال : على جمل بال يقود بنا بال : ويتبعنا بال

«492» سورة الانسان ، الآية 20 .
«493» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .

(121) « لبس » : كذا بالاصول . ولعلها : « لبسن » .

فغير مستحسن ، بل هو قبيح ، الا أن يأتى للتعظيم كقول الله تعالى ( الله اعلم حيث يجعل رسالاته ) «494» ، وعليه حمل بعضهم ما تكرر فى البيتين الاولين من ذكر «معن» ، والموت ، أو للتأكيد كقوله تعالى ( فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا ) «495» على قول بعضهم ، وكتكراره عليه السلام كثيرا من كلامه ، أو للبيان كقوله تعالى ( الذى خلق ، خلق الانسان من علق ) «496» وقوله تعالى ( الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ) «497» ، أو يكون تكرار ذلك اللفظ مما يستلذ الناطق به ، كما قال :

« وبالافواه اسماؤهم تحلو »

وقد قال المعرى فى قول الشاعر :

الا حبذا هند ، وارض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

فقال : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيبا ، فهو يجد اللفظ بها حلاوة ، فأم زرع فى تكرار اسمه فى فصول كلامها مصرحة به غير مضمرة له ، ولا مكتفية بما تقدم من اظهاره : اما لعظمه فى نفسها ، وبأوها «498» به وفخرها ، أو لحلاوة ذكره فى فمها ومكانته من قلبها ، بدليل آخر الحديث ، أو لابانة وصفها ، وكشف اللبس فى قصصها ، لانها لو قالت :

---

«494» سورة الانعام ، الآية 124 .
«495» سورة الانشراح ، الآية 5 — 6 .
«496» سورة العلق ، الآية 1 — 2 .
«497» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .
«498» بأوها : ز ك ، برها : س .

ابنته ، وجاريته ، وطهاته ، ومـــاله ، وضيفه ، على مـــا ورد فى بعض الطرق ، حتى : كلبه ، فقد ذكر ابن الانبارى وابو القاسم البغوى من رواية هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونـــس ، عن هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله ، عن عروة انه قال : وقـــد كانت عائشة وصفت لى كلب أبى زرع فانسيته ، فلو ذكرت أم زرع هذه الاشياء مضافة ، بعد وصفها لابنه ، لادخلت الايهـــام بينه وبين ابنه ، فكان قولها « بنـــت أبى زرع » « جاريـــة أبى زرع » « خرج أبو زرع » اجلـــى فى الوصف ، لا سيمـــا مع أن تكرار ذكره انما هو فى «499» ابتداء جملة واستئـــناف قصة ، فهو غير قبيح . وأما تكرارها فى أول كل قصة اسمه مرة أخرى من قولها « فما ابن أبى زرع ؟ » « فمـــا جارية أبى زرع ؟ » ، فقد تقدم أنه بمعنى التعجب والتعظيم ، وان الوجه فيه الاظهار ، وهو الفصيح ، لأنه المقصـــد والغـــرض من التـــنـــويه ، وفى الاضمار اخفاء وتمويه .

هنا انتهى بنـــا القول فيما حررنـــاه من الكـــلام فى هـــذا الحديث ، وقد احتوى على جمل من فنون العلم حسان ، وفقـــر من ضروب الادب غراب «500» ، وخرجنا فيه نحـــو عشرين مسألـــة من الفقـــه ، ومثلهـــا مـــن العـــربيـــة ، مـــع كثـــرة ما ذكرنا فيه من كلام الشارحين واصحاب المعانى ، وترجيـــح الصواب ، وتوليد كثير مما لم يتـــقدم فيـــه كلام بلغـــه علمى ،

---

«499» فى : ك ، من : ز م س .
«500» غراب : ز م ك ، عذاب : س .

وانتهى اليه ذكرى ، واقتصرت فى أكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا العلم ، واستغنيت بذلك عن الشاهد الا فى النادر ، حرصا على الاختصار ، واكتفاء بقول اولئك القدوة ، اذ هم المقلدون فى ذلك ، وذكرت الشواهد فى المعانى تمهيدا لها ، واظهارا لوجوهها ، وحجة على صحة تأويلاتها ، لاشتراك الخواطر فيها ، وتوارد العقول عليها ، وحررت فى هذا الفصل الاخير من علم البلاغة ، واستنثرت ما فى كلامهن من سر الفصاحة ، وغرائب النقد ، وبديع الكلام ، ما فيه غنية لمتأمليه ، ممن شدا فى باب الادب شيئا ، وتطلع لأن يعلم صناعة تأليف الكلام ، ويفهم منازع أرباب هذا الشأن ، وعلى الله ــ جل اسمه ــ الاعتماد فى العفو عن الزلل ، والرغبة فى غفران المباهاة فى القول والعمل ، فهو ــ جل اسمه ــ ولى العصمة ، ومولى الرحمة ، ومؤتى شكر النعمة ، لا اله غيره ، وصلواته على مصطفاه من خلقه ، محمد نبيه ، وعلى آله ، وسلامه كثيرا .

## فى آخر النسخة الزيدانية :

تم الكتاب بحمد الله تعالى ، وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، المصطفى من بريته ، وسلم كثيـــرا ، وذلـــك فى الرابع عشر من شهر الله المبارك شعبان ، عام ثمانية وثلاثين ومائـــة والـــف .

## وفى آخر النسخة الملكية :

تم الكتاب والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خيـــــر خلقه ، محمد عبده ورسوله ، واهلـــه وصحبه ، وسلم تسليمـــا كثيرا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتبه العبد الفقير ، الراجـــى رحمة الله ، احمد رشيد .............. الانصارى الدمشقى لنفسه ، بـــدار الحديث الكاملية ، بالقاهرة السعيدة ، وكان الفـــراغ من نسخة يوم .............. السادس والعشرين من ربيع الآخر ، سنة اثنتين واربعين وستمائة .............. .

## وفى آخر النسخة الكتـــانية :

انتهى بحمد الله وحسن عونه ، على يـــد كاتبه الفقير الى الله ، الراجى عفو مولاه ، محمـــد البجائى ، الشريف نسبـــا ، ابن على بن احمد ابن الحاج الجود ، غفر الله لـــه ولوالـــده ، آمـــــين .

# تفسير حديث أم زرع

من تاليــف سيدى عبد الرحمن السيوطى

فى تــعلــيــقــه علــى الــبــخــارى

## بسم الله الرحمن الرحيم
## وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حديث أم زرع أفرد شرحه بالتصنيف خلائق ، آخرهم القاضى عياض . ( حدثنا عيسى بن يونس .... ) أكثر الرواة عنه وقفوه ، الا أحمد بن داود الحرانى فانه رواه عنه فقال فى أوله : عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه النسائى وغيره من أوجه أخرى مرفوعا . قال ابن حجر : ( ويقوى رفعه ان قوله فى آخر الحديث « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » متفق على رفعه ، وذلك يقتضى أن يكون صلى الله عليه وسلم سمع (1) القصة وعرفها فأقرها ، فيكون كله مرفوعا من هذه الحيثية (2) ) . « جلس احدى عشرة امرأة » . زاد الزبير بن بكار : « من أهل اليمن » .

قالت الاولى : ــ اسمها مهدد بنت أبى مهزومة ــ : « زوجى لحم جمل غث » ، بالجر صفة جمل ، وبالرفع صفة

---

(1) كلمة « سمع » غير موجودة بالاصل ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى .

(2) فتح البارى ( 11 : 165 ) ، والنص منقول بتصرف .

لحم ، وهو بفتح المعجمة وتشديد المثلثة أى الهزيل ، لأنه يستغث من هزاله أى يستكره ، من قولهم غث الجرح سال قيحا ، واستغثه صاحبه ، وأكثر استعماله فى مقابلة السمين . « على رأس جبل » زاد الترمذى : « وعر » ، والزبير بن بكار : « وعث » ، وهو أوفق للسجع ، والوعث بمثلثة : الصعب المرتقى ، بحيث يشق فيه المشى ، ويصعب فيه التخلص منه ، والوعر : الكثير الصخر الشديد الغلظة ، يصعب الرقى اليه . « لاسهل » بالفتح بلا تنوين ، وبالرفع على تقدير هو ، وبالجر منه (3) ، وللنسائى : « لا سهلا » بالتنوين ، وله أيضا « لا بالسهل » وكذا « ولا سمين » بالخمسة (4) . « فيرتقى » أى يصعد فيه . « ولا سمين فينتقل » بمعنى ينقل ، أى لهزاله لا يرغب فيه أحد فينقله (5) اليه . ولأبى عبيد « فينتقى » وهو أوفق للسجع ، أى ليس له نقى يستخرج ، والنقى المخ ، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردىء . قال عياض : ( فيه تشبيه شيئين بشيئين ، شبهت

---

(3) وجه الجر كما قال عياض : ( على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة . وقد يكون له ايضا وجه آخر : وهو ان تقدر « لا » بمعنى « غير » ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها ) .

(4) اى انه يجوز فى قولها « لا سهل ولا سمين » خمسة اوجه : لا سهل ولا سمين ببناء الاسمين على الفتح ، لا سهل ولا سمينا الاول على الفتح ورفع الثانى ، لا سهل ولا سمين برفع الاول ببناء الاول على الفتح ونصب الثانى ، لا سهل ولا سمين ببناء وبناء الثانى على الفتح ، لا سهل ولا سمين برفع الاسمين .

(5) فينقله : ت ، فينتقله : ع .

زوجها باللحم الغث ، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعـر ، ثـم فسرت ما أجملت فكأنها قالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا ، لان الشيء المزهود فيه قد يؤخـذ اذا وجد من غير نصب ، ولا اللحـم سمين فيحتمل المشقـة فى صعود الجبل لأجل تحصيله ، وشبهته بلحم الجمل دون غيره من اللحوم لأنه ليس فى اللحوم أشد غثاثة منه ، لانـه يجمع خبث الطعم وخبث الريح ) (6) .

قالت الثانية : ــ لم تسـم ــ ، « زوجى لا أبث خبره » بالموحدة ثم المثلثة ، أى لا أظهر حديثه ، وروى « لا أنث (7) » بالنون ، وهو ذكر خبر الشر ، وللطبرانى : لا أنـم . « انـى أخاف أن لا أذره » أى أن لا أترك شيئـا من خبره ، فالضميـر للخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقـدر على تكميـله ، فاكتفت بالاشارة الى معايبه خشية أن يطـول الخطب بايـراد جميعها . وقيل الضمير للزوج ، أى أخاف أن لا أقدر على تركه لعلاقتى به وأولادى منه ، فاكتفت بالاشارة الى أن لـه معايب وفاء بما التزمته من الصدق ، وسكتـت عن تفسيرهـا للمعنى الذى اعتذرت به . «ان أذكره أذكر عجره وبجره » بضم العين المهـملـة أول الاول والمـوحـدة أول الـثـانى وفـتـح الجيم فيهما ، جمع عجرة وبجـرة ، فالاولى تعقـد العصـب

(6) بغية الرائد ، فى الكلام على قول المراة الاولى ، والنـص منقـول باختصار وتصرف ، ومعظمه منقول من فصل « بيان » عند الكلام على قول الاولى ، وآخره منقول من « غريب قول الاولى » .

(7) لا انث : ع ، انث : ت . ولعل الاولى بالصواب اثباتهـا مع اداة الـنـفـى .

والعروق فى الجسد حتى تصيـر ناتئـة ، والثانيـة كذلـك ، الا أنها مختصة بالتى فى البطن ، وقيل العجرة نفخة فى الظهر (8) والبجـرة نفخـة فى السـرة ، وقيـل العجـر العقـد فى البـطـن واللسـان والبـجـر العـيـوب ، وقـيـل العجر فى البطن والجنب والبجر فى السـرة . هذا أصلهما ثـم استعمـلا فى الهموم والاحزان وفى المعـايب . قال الخطابى : أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة .

قالت الثالثة : ــ اسمها كبشة بنت الارقـم ــ : « زوجى العشنـق » بفتـح المـهـلة ثـم المعجـمـة ثـم النـون المشـددة وقـاف ، أى الطويـل المـذمـوم الطـول ، وقيـل القـصـيـر ، وهـو مـن الأضـداد ، وقـيـل السـىء الخلق ، وقيل المقدام الجرىء الشرس ، وقيـل هو الطويـل النجيب الذى يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيـه بـل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته فهى تسكت على مضض (9) ، قال الزمخشرى : وهى من الشكايـة البليغـة ، « ان أنطق » بأمر أراجعه فيه « أطلق ، وان أسكت أعلق » أى أكون عنده معلقة لا ذات زوج فأنتفع به ولا مطلقة ، زاد ابـن السكيت بعده : « على حـد السنان المـذلق » بفتـح المعجمة وتشديد اللام ، أى المجرد وزنا ومعنى ، تشير الى أنها منـه على حـذر .

---

(8) الظهر : ت ، البطن : ع . ولعل الصواب هى الكلمة الاولى اخـذا من كلام القاضى عياض .

(9) فى الاصلين : « مفض » ، ولعل الصواب ما اثبـته .

قالت الرابعة : ــ لم تسم ــ : « زوجى كليل تهامة » ، هو مما يضرب به المثل فى الحسن لأنها بلاد حارة وليس فيها رياح باردة فاذا كان الليل كان وهج الحر ساكنا فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار ، ولهذا قالت « لا حر ولا قر » أى شدة برد ، وللنسائى : « ولا برد » بدله ، وهما بالفتح بلا تنوين ، ولأبى عبيد بالرفع منونا ، « ولا مخافة ولا سآمة » أى ملل ، زاد الهيثم : « ولا وخامة » بخاء معجمة ، أى ثقل ، زاد الزبير : « والغيث غيث غمامة » والحاصل أنها وصفت زوجها بطيب العشرة وحسنها ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، وعدم الشر فلا يخاف أذاه ، وعدم السآمة منها أو منه ، لحسن عشرته ، ولين جانبه ، وخفة وطأته

قالت الخامسة : ــ اسمها حبى ، بضم المهملة وتشديد الموحدة ، مقصور ، بنت علقمة ــ : « زوجى ان دخل فهد » ، بفتح الفاء وكسر الهاء ، أى فعل فعل الفهود ، شبهته بالفهد فى لينه وغفلته مدحا ، لأن الفهد يوصف بالحياء ، وقلة الشر ، وكثرة النوم ، « وان خرج أسد » بفتح أوله وكسر السين ، أى فعل فعل الاسود من الشهامة والصرامة بين الناس ، « ولا يسأل عما عهد » : أى انه كثير الكرم ، شديد التغاضى ، لا يتفقد ما ذهب من بيته من مال وطعام ، وقيل انها أرادت الذم ، وهو أنه يثب عليها بالجماع كالفهد ، لغلظ طباعه ، وليس عنده ما عند الناس من المداعبة والملاعبة قبله ، أو بالضرب والبطش ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد فى

الجرأة والاقدام ، ولا يتفقد حالها وحال بيتها وما تحتاج اليه . والاكثر شرحوه على المدح . ووقع فى رواية الزبير بن بكار مقلوبا : « اذا دخل أسد ، واذا خرج فهد » ، فان صح فالمراد أنه اذا خرج الى الناس كان فى غاية الرزانة والوقار وحسن السمت ، واذا دخل منزله كان متفضلا مواسيا ، لأن الاسد يوصف بأنه اذا افترس أكل من فريسته بعضا وترك الباقى لمن حوله من الوحوش ولم يهاوشهم عليها ، وزاد : « ولا يرفع اليوم لغد » ، أي لا يدخر ما حصل عنده اليوم من أجل الغد ، كناية عن جوده ، وهو يؤيد ارادة المدح .

قالت السادسة : ــ اسمها بنت أوس بن عبد ــ : « زوجى ان أكل لف » ، أى استقصى ما قدم اليه فلا يترك منه شيئا ، وروى رف بالراء بمعناه ، وللنسائى : اقتف ، بقاف ، ومثناه ، أى جمع واستوعب ، « وان شرب اشتف » بمعجمة ومثناة : استقصى ، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف ، وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربها الذى شرب الاناء قيل اشتفها ، وروى بمهملة وهى بمعناها « وان اضطجع التف » : أى رقد وحده وتلفف بكسائه وانقبض عن أهله اعراضا . زاد النسائى بعد هذه : « واذا ذبح أغتث » أى تحرى الغث ، وهو الهزيل ، « ولا يولج الكف ليعلم البث » أى لا يمد يده اليها ليعلم ما بها من حزن أو مرض أو أمر مكروه ، لقلة شفقته عليها .

قالت السابعة : ــ اسمها هند ــ : « زوجى غياياء » بفتح المعجمة وتحتيتين خفيفتين ، أو عياياء بمهملة ، شك من عيسى

بن يونس ، وللنسائى من طريق غيره الجــزم بالاولــى ، وهو مأخوذ من الغى ضد الرشد ، وهو المنهمك فى الشـــر . والثانى من اعى بالكسر وهو الذى تعييه مباضعة النساء . « طباقاء » : هو الأحمق ، وقيل : الثقيل الصدر عند الجماع ، يطبــق صدره على صدر المرأة فيرتفع عجزه عنها ، وهو مذموم عند النساء ، « كل داء له داء » : أى كل ما تفــرق فى النــاس من المعايب موجــود فيــه . وخبــر « كــل » جــمــلــة « لــه داء » ، و « له » صفة ما قبله : « شجك » بمعجمة وجيم مشددة : أى جرحك فى رأسك . زاد ابن السكيت : « أوبجــك » بموحــدة وجيم : أى طعنك ، « أوفلك » بفــاء ولام مشددة : أى جــرح جسدك ، « أو جمع كلا لك » : المراد أنــه ضروب للنســاء ، فاذا ضرب فاما أن يشج رأسا ، أو يجرح جســدا ، أو يجمــع الأمرين معا . وفى رواية الزبير : « ان حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والا جمع كلا لك » .

قالت الثامنة : ـــ اسمها عمرة بنت عمــرو ـــ : « زوجــى المس مس أرنب » هى دويبة لينة المس ناعمة الوبر ، « والريح ريح زرنب » بزاى أوله ، نبت طيب الريح . واللام فيها نائبــة عن الضمير . وصفت لين جسده وطيب رائحته ، أو كنت بذلك عن حسن خلقه وجميل عشرته . زاد النسائى : « وأنا أغلبــه والناس يغلب » ، فوصفته مع جميل عشرته لها وصبره عليهــا بالشجاعة ، فهو احتراس فى غاية الحسن .

قالت التاسعة : ـــ اسمها كبشة ـــ : « زوجى رفيع العماد »،

أى عالى البيت ، كناية عن الشرف ، فان الاشراف كانوا يعلون بيوتهم ويضربونها فى المواضع المرتفعة ، ليقصدهم الطارقون والوافدون . « طويل النجاد » بكسر النون وتخفيف الجيم : حمائل السيف ، كناية عن طول القامة ، وكانت العرب تمدح بذلك وتذم بالقصر . « عظيم الرماد » : كناية عن كونه مضيافا . « قريب البيت من الناد » : أصله النادى ، فحذفت الياء للسجع ، وهو مجلس القوم ، وكذلك كانت بيوت الأشراف بين مجالس القوم ، لتسهل مراجعتهم فى الامور ومشاورتهم ، زاد الزبير : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف » .

قالت العاشرة : — اسمها حبى بنت كعب — : « زوجى مالك ، وما مالك ؟ » استفهام تعظيم وتفخيم ، أى انه أمر عظيم لا يعبر عنه . « مالك خير من ذلك » أى انه أعظم مما ذكر به من خير ، وفوق ما اعتقد فيه من سؤدد ، فالاشارة بذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح ، أو الى ما ستذكره به ، أو الى ما تقدم من الثناء على الذين قبله . « له ابل كثيرات المبارك » بفتح أوله : جمع مبرك ، بفتحتين ، موضع بروك الابل . « قليلات المسارح » جمع مسرح ، وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه ، اشارة الى كثرة ضيفانه واستعداده لهم ، فهى باركة حول بيته ليذبح منها عند مفاجأة الضيف ، ولا يوجه منها الى المسارح الا قليلا ، « اذا سمعن صوت المزهر » بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء : آلة من آلات اللهو ، وقيل دف مربع ، وغلط من زعمه بضم الميم وكسر

النهاء ، قائلا انه الذى يوقد النار فيزهرها للضيفـان . « أيقـن أنهن هوالك » أى لما علم من عادته بنحر الابل لقرى الضيف . زاد ابن السكيت « وهو امام القوم فى المهـالك » أى الحروب ، لـشـجـاعـتـه .

قالت الحادية عشرة : ــ وهى أم زرع بنت اكيمـل بـن ساعدة ــ : « زوجى أبو زرع ، وما أبـو زرع ؟ » استـفهام تعظيم كما تقدم ، وكذا ما بعده ، ( أنـاس ) : أى أثقـل حتى تدلى واضطرب ( من حلى ) بضم المهملة وكسر اللام ( أذنى ) بالتثنية . زاد ابن السكيت : ( وفرعى ) أى يـدى ، تعنى أنـه حلى أذنيها ومعصميها ( وملأ من شحم عضدى ) قال أبو عبيد : لم ترد العضدين وحدهما ، بل الجسد كله لأن العضد اذا سمن سمن سائر الجسد « وبجحنى » بموحدة ثم جيـم خفيفـة ، وللنسائى شديدة ثم مهملة ، « فبجحـت » بسكون المثنـاة ، ولمسلم « فتبجحت الى نفسى » قال أبو عبيد : أى فرحهـا ففرحت . وقال ابن الأنبارى : عظمهـا فعظمت . وقـال ابـن السكيت : فخرها ففخرت . وقال ابن أبى أويس : المعنى وسع عليها وترفها ( وجدنى فى أهل غنيمة ) تصغير غنم ( بشـق ) بكسر المعجمة ، قال الخطابى : والصواب فتحها ، اسم موضع كانوا فيه ، وقال الأنبارى : هو بالفتح والكسر موضع ، وقـال ابن قتيبة وغيره : هو بالكسر أى بجهد من العيـش كقولـه : « بشق الأنفـس » . ( فجعلنى فى أهـل صهيـل ) أى خيـل ( واطيط ) أى ابل ، وهو صوت أعواد المحامل والرحال عليها ،

( ودائس ) اسم فاعل من الدوس : أى زرع يداس ، أى يدرس كالقمح والشعير ، ( ومنق ) بضم الميم وكسر النون وتشديد القاف : أى أهل نقيق ، وهو أصوات المواشى ، وقيل الدجاج ، والمراد أنه نقلها من أهلها أهل الضيق فى المعيشة الى أهل رفاهية (10) وسعة ، ( فعنده أقول فلا أقبح ) أى فلا يقبح قولى ، ولا يرد على ، لاكرامه لها ( وأرقد فأتصبح ) أى أنام الصبحة ، وهى نوم أول النهار ، فلا أوقظ ، اكراما لها أيضا ، ( وأشرب فأتقنح ) بالقاف والنون المشددة وحاء مهملة ، وبالميم خارج الصحيحين بدل النون ، وهما بمعنى الرى بعد الرى ، أى تشرب حتى لا تجد مساغا ، زاد الهيثم : ( وآكل فأتمنح ) أى أطعم غيرى .

( أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها ) بضم المهملة ، جمع عكم ، بكسرها وسكون الكاف : الاعدال والاحمال التى يجمع فيها الأمتعة ، وقيل : نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها « رداح » بكسر الراء وفتحها آخره مهملة : ملاء أو عظام كثيرة الحشو « وبيتها فساح » بفتح الفاء والمهملة خفيفة : أى واسع . ولأبى عبيد « فياح » بوزنه ومعناه .

« ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسل شطبة » هى الواحدة من سدى الحصير ، أى قدر ما يسل منها فيبقى مكانه فارغا ، كناية عن هيف القد وأنه ليس ببطين (11)

---

(10) رفاهية : ت ، رفاهة : ع . وكلاهما بمعنى .

(11) ببطين : ت ، ببطن : ع . والبطين : العظيم البطن ، والبطن : الذى لا هم له الا بطنه . ولعل الصواب الاولى .

ولا جاف ، « ويشبعه ذراع الجفرة » بفتح الجيم وسكون الفاء : الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر . زاد ابن الأنباري « وترويه (12) فيقة أيعرة » بكسر الفاء وسكون التحتية وقاف : ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، واليعرة بفتح التحتية وسكون المهملة وراء : العناق ، أي انه قليل الاكل والشرب ، زاد أيضا : « ويميس » بمهملة ، أي يتبختر ، « في حلق النثرة » بنون وسكون المثناة (13) : الدرع اللطيفة ، أي انه ملازم لآلة الحرب .

« بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟ طوع أبيها وطوع أمها » أي انها بارة بهما زاد الزبير : « وزين أهلها ونسائها » أي يتجملون بها « وملء كسائها » أي ممتلئة شحما . زاد ابن السكيت : « وصفر ردائها » بكسر المهملة وسكون الفاء : أي خال فارغ لسمن أكتافها ، وقيام نهودها ، فلا يمس شيئا من ظهرها ولا من بطنها « وغيظ جارتها » أي ضرتها ، لحسنها . ولمسلم بدل وغيظ : « وعقر » ، ولغيره : « وغير » من الغيرة ، وللهيثم : « وعبر » بمهملة وموحدة ، من العبرة ، وللنسائي : « وحير » بمهملة وتحتية ، من الحيرة ، وله أيضا « وحين » بالنون ، أي : هلاك ، زاد ابن السكيت : « قباء » بفتح القاف وتشديد الموحدة ، أي ضامرة البطن ، « هضيمة (14)

---

(12) ترويه : ت ، يرويه : ع .

(13) قوله « وسكون المثناة » : غلط وقع فيه تبعا لابن حجر ، والصواب : بسكون المثلثة . اما « النترة » بالمثناة فهي الطعنة النافذة .

(14) « هضيمة » : هكذا في شرحي ابن حجر والقسطلاني ، وهو الصواب ، وفي الاصل : « عظيمة » ، وهو غلط .

الحشا » وهو بمعناه ، « جائلة (15) الوشاح » أى يدور وشاحها بضمور بطنها ، « عكناء » أى ذات اعكان ، « فعماء » بمهملة ، أى ممتلئة الجسم ، « نجلاء » بنون وجيم ، أى واسعة العين ، « دعجاء » أى شديدة سواد العين ، « رجاء » بالراء وتشديد الجيم ، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه ، أو بالزاى ، أى مقوسة الحاجبين ، « قنواء » أى محدودبة الأنف ، « مؤنقة » بنون شديدة وقاف « مفنقة » بوزنه ، أى مغذاة بالعيش الناعم . زاد ابن الأنبارى : « برود الظل » أى حسنة العشرة ، « وفى الال » أى العهد ، « كريم الخل » بكسر المعجمة ، أى الصاحب .

« جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا » وروى « تنثيثا » بالموحدة والنون ، أى لا تظهره ، وهما بمعنى ، الا أن النث بالنون فى الشر خاصة ، « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » بتشديد القاف بعدها مهملة ، أى لا تسرع فى الطعام بالخيانة ولا تذهبه بالسرقة ، وضبطه عياض بسكون النون وبضم القاف ، وضبطه الزمخشرى بالفاء المشددة ، وللزبير بدله : « ولا تفسد » ، وله أيضا : « ولا تنقل » ، ولابن الأنبارى : « ولا تغث » بمعجمة ومثلثة ، أى لا تفسد ، من ( الغثة ) بالضم وهى السوسة (16) ، وللنسفى :

---

(15) « جائلة » : هكذا فى شرحى ابن حجر والقسطلانى ، وهو الصواب ، وفى الاصل : « حائلة » ، وهو تصحيف .

(16) « الغثة » : الشىء اليسير من المرعى ، وقيل : هى البلغة من العيش ، وقد اخطأ السيوطى فى تفسيرها حيث فسرها بالسوسة . اما السوسة فهى « العثة » بالعين المهملة .

« ولا تقش » من ( الاقشاش ) ، وهو طلب الاكل من ها هنـا وها هنا ، وكلها راجعة الى معنى الافساد .

« ولا تملأ بيـتنا تعشيشا » بمهملة أى انها مصلحة البيت مهـتمـة بتنظيفـه ، وبمعجـمـة مـن ( الـغـش ) ، أى لا تملؤه بالخيانة بل هى ملازمة للنصيحة فيما هى فيه ، وقيل هو كناية عن عفة فرجها ، أى انها لا تملأ البيت وسخـا بأطفالهـا من الزنا ، وقيل : عن وصفها بأنها لا تأتيهم بشـر ولا نميمة ، وللهيثم : « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » بنون وجيـم ومثلثة ، أى لا تستخرجها .

زاد الحارث ابن أبى أسامة والاسماعيلى : « قالت عائشة .. حتى ذكرت كلب أبى زرع » .

زاد الهيثم بن عدى فى روايته : « ضيف أبى زرع ، فمـا ضيف أبى زرع ؟ فى شبع ورى ورتع ، طهـاة أبى زرع ، فمـا طهاة أبى زرع ؟ لا تفتر ولا تعدى ، تقدح قدرا وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة بالاولى ، مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ على الجمم معكوس ، وعلى العفاة محبوس » . قوله « طهاة » بضم المهملة ، هم الطباخون ، « ولا تعدى » : لا تصرف ، « تقدح » أى تغرف ، و « تنصب » : ترفع على النار ، و « الجمـم » : جمع جمة : القوم يسألون فى الدية ، و « معكوس » : مـردود و « العفاة » : السائلون ، و « محبوس » : موقوف .

قالت : « خـرج أبـو زرع » زاد النسـائى من عنـدى

« والاوطاب تمخض » جمع وطب بالفتـــح وسكون المهملـــة : وعاء اللبن « فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهـــدين » ، لابـــن الانبارى : « كالصقرين » ولغيره : « كالشبلـــين » اشـــارة الى صغر سنهما ، وشدة خلقهمـــا « يلعبـــان من تحـــت خصرهـــا برمـــانتين » قـــال أبو عبيد : تريـــد أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت ارتفع كفلها بها من الارض حتى تصير تحتهـــا فجـــوة تجرى فيهـــا الرمانـــة « فطلقنـــى ونكحهـــا » زاد الحـــارث : « فأعجبته » وفى بعض طرقه أنه نكحها فلم تزل به حتى طلق أم زرع . « فنكحت بعده رجلا » للنسائى : « فاستـــبدلت وكل بدل أعور » ، وهو مثل معناه أن البدل من الشىء غالبا لا يقوم مقام المبدل منه ، بل هو دونه ، والاعور : المعيـــب والردىء . « سريا » من سراة الناس أى شرفـــائهم « ركـــب شريـــا » بمعجمة بوزن ما قبله : أى فرسا خيارا فائقـــا . وللحـــارث : « ركب فرسا عربيا » ، « وأخذ خطيا » بفتح المعجمة وكســـر المهملة المشددة : هو الرمـــح ، ينسب الى الخـــط ، موضـــع بنواحى البحرين تجلب منه الرمـــاح ، « وأراح » أفعـــل من الرواح ، وهو مجىء الابل آخر النهـــار « على نعمـــا ثريـــا » بمثلثة : أى كثيرة « وأعطانى من كل رائحة » بـــراء وتحتيـــة ومهملة : أى نعم آتية وقت الرواح ، ولمسلم « ذابحة » أى من كل شىء يذبح « زوجا » أى اثنين .

« كنت لك كأبى زرع لأم زرع » زاد الهيثم : « فى الالفـــة والرفـــاء ، لا فى الفـــرقـــة والـــخـــلاء » زاد الـــزبـــيـــر :

« الا أنه طلقها وانى (17) لا أطلقك » فقالت عائشة : بأبى أنت وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لام زرع .

**فائدة** : فى رواية أبى يعلى فى هذا الحديث : وذكر **شعر أبى زرع فى أم زرع ولم يسقه . قال ابن حجر** : ( ولم أقف فى شىء من طرقه عليه ) (18) .

قال العلماء : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ولم ينكره مع ما فيه من غيبة الأزواج لانهم مجهولون ، ولا حرج فى سماع الكلام فى مجهول لأنه لا يتأذى الا اذا عرف أن (19) من ذكر عنده يعرفه .

---

(17) وانى : ت ، وانا : ع .
(18) فتح البارى ( 11 : 185 ) .
(19) كلمة « ان » غير موجودة بالاصلين ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى ( 11 : 186 ) .

# محتوى « بغية الرائد »

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

---



( وهو شرح مختصر لطيف لحديث ام زرع ، ارتأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تجعله في ختام شرح القاضـي عيــاض رحمهما الله ليعم بهما النفع وتتم الفائدة ) .